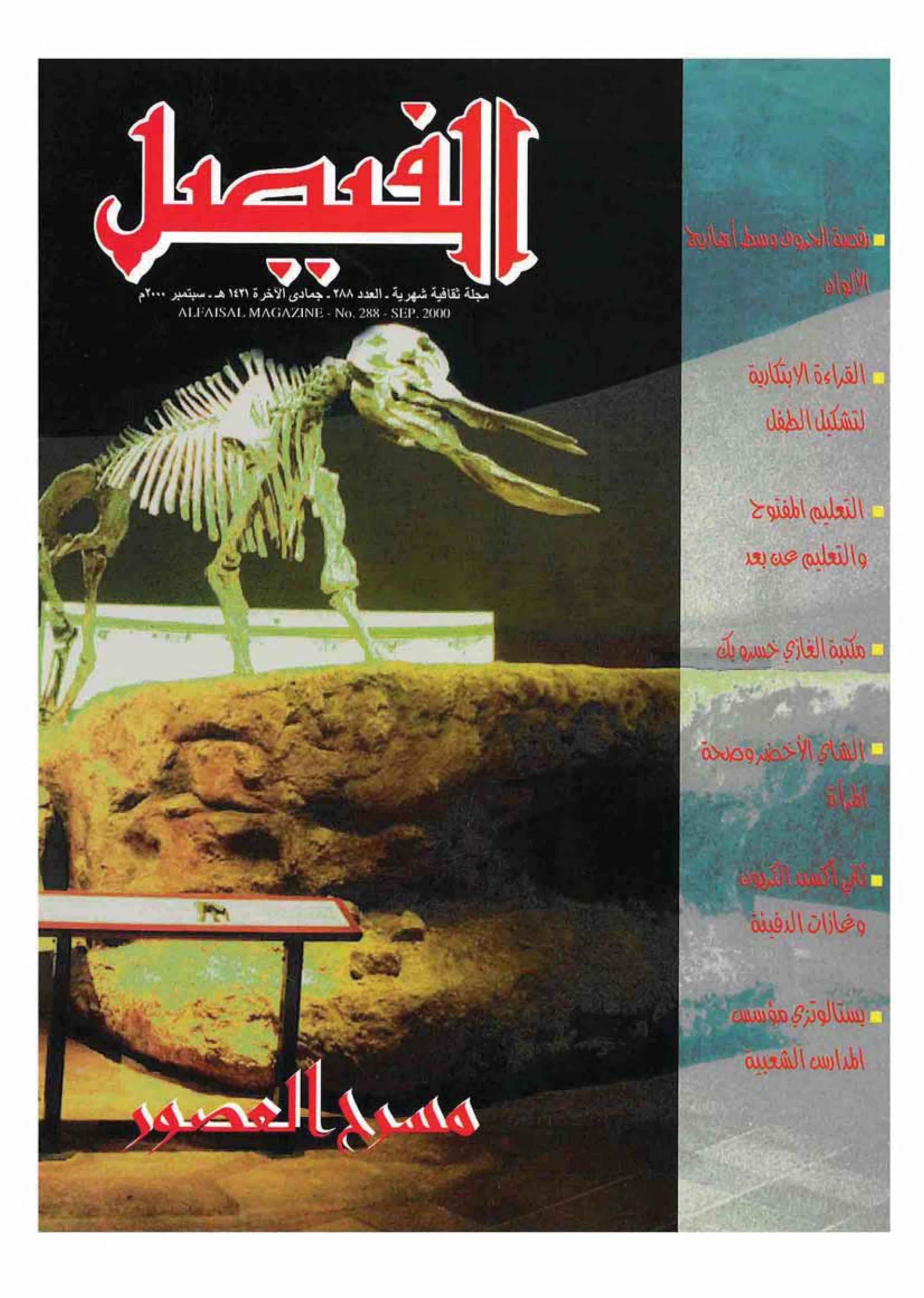

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٢٨٨ ـ جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ ـ سبتمبر ٢٠٠٠م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 288 - SEP. 2000
رقصة الحروف وسط أهازيج الألوان
القراءة الابتكارية لتشكيل الطفل
التعليم المفتوح والتعليم عن بعد
مكتبة الغازي خسرو بك
الشاي الأخضر وصحة المرأة
ثاني أكسيد الكربون وغازات الدفينة
بستالوتزي مؤسس المدارس الشعبية
مسرح العصور

شـركة واحـدة فقـط
توفـرّ لك كل هـذه الخدمات

REDIAL

ABC
النقل بين المدن

DEF
الخدمات المحلية

النقل الدولي

JKL

MNO
خدمات الحج والعمرة

GHI
العقود و التأجير

TUV
النقل المدرسي

WXYZ
البرامج السياحية

PQRS
الخدمة المميزة

الشركة الرائدة في مجال النقل البري توفر خدمات متعددة لكافة الأغراض ، لمسة واحدة فقط وتحصل على الخدمة التي تحتاجها.

اتصل مجاناً على الرقم ٩٩٩٩ ١٢٤ - ٨٠٠

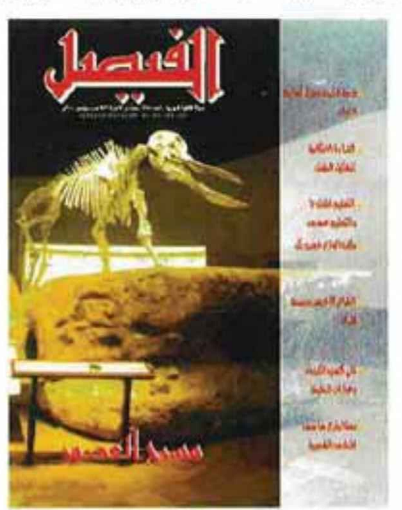


SAPTCO النقل الجماعي

الفيصل
الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

مجلة ثقافية شهرية ـ السنة ٢٤ ـ العدد ٢٨٨ ـ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ـ سبتمبر ٢٠٠٠م
ALFAISAL MAGAZINE - No 288 - SEP. 2000



مسرح العصور

لبعض الأماكن حضورها الطاغي الذي تكتسبه من الأحداث والشخوص، وتتميز منطقة المربع في مدينة الرياض بمثل هذا الحضور، فعندما جاء التفكير في إنشاء مركز تاريخي يرصد تاريخ الجزيرة العربية على امتداد القرون الماضية، كان من الطبيعي أن تكون هذه المنطقة مكاناً لهذا المركز الذي أطلق عليه مركز الملك عبد العزيز التاريخي. وقد استحق أن نصفه بمسرح العصور لما يضمه من تقنيات وآثار تحكي قصة الإنسان والمكان عبر الأزمان في هذه المنطقة الحيوية من العالم.

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف ٤٧٨٣٠٠٠، فاكس ٤٧٨١٣٣٣، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢٠٠، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢١٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١، ٩٦٣٠٠، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣ نهج المغرب ـ فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ١ ـ ٢١٦٠٠، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٦٦١٨٦٥ ـ ٩٧٤٠٠، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ ـ ٩٦٢٠٠، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٩٧٣٠٠، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٩٧١٠٠، الجزائر ـ مؤسسة E.B.D. PRESSE لتوزيع الصحافة، ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ ـ ٢١٣٠٠، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٩٦٥٠٠، السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب ـ CAS - SOCHPRESS - CAS ٢٤٥٧٤٥ CASABLANCA - MOROCO TEL: فاكس ٤٠٤٠٣١/٣٢ ـ ٢١٢٠٠، باكستان ٥٦٨٣٤٩٤ PARADIS BOOK STALL - KARACHI 3. PAKISTAN TEL: ـ فاكس ٥٦٨٢٧٠٤ ـ ٢١ ـ ٩٢٠٠، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ ـ ٣ ـ ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨، سلطنة عمان ـ المتحدة لخدمة وسائل الإعلام ـ ص.ب ٣٣٠٥ روي ١١٢ ت: ٧٠٠٨٩٥ / ٧٠٧٩٣٢ ـ فاكس ٧٠٦٥١٢ ـ ٩٦٨٠٠

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨



كلاهما طوسي

لي ملاحظة أود أن أرفعها إليكم بخصوص السؤال الثالث في مسابقة العدد (٢٨٢) عن نصير الدين الطوسي. فجميع المصادر تقول: إنه عالم فلكي ورياضي وله آثار في «التربيع الدائري».

كما أن بعض المصادر وخاصة في أعداد المجلة السابقة تقول: إن العالم نصير الدين الطوسي مبتكر الأسطرلاب الخطي وعليه فإن الاحتمالين صحيحان. والتقدير يعود لكم.

رُلى كمال أسعد
ص.ب ٧٢٢٦ ـ الرمز ١١١١٨
عمان ـ الأردن

التحرير:

ما ذكرتيه عن العالم نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) بأنه عالم فلكي ورياضي وله آثار كثيرة منها: «التربيع الدائري، صحيح إلا أنك عدت وذكرت أنه هو مبتكر الأسطرلاب الخطي بناءً على ما جاء في أحد أعداد مجلة الفيصل وهذا خطأ محض. فما ورد في المجلة هو أن مكتشف الأسطرلاب الخطي هو شرف الدين المظفر بن محمد الطوسي (ت ٦٠٦هـ) وليس نصير الدين الطوسي صاحب كتاب «تربيع الدائرة». ويبدو أن الأخت لم تدقق بين الاسمين ووهمت بسبب نسبة كل منهما إلى الطوسي، ويمكنك ـ للتوثق من هذه المعلومات ـ مراجعة الأعلام (١٠/٧): محمد بن محمد بن الحسن أبو جعفر نصير الدين الطوسي و(٢٥٧/٧): المظفر بن محمد شرف الدين الطوسي؛ ومجلة الفيصل: العدد ٢٦٩ ص٨٦. والمورد لمنير البعلبكي: الأعلام ص٧.

هل من سبب مقنع؟!

بادئ ذي بدء لا يسعني إلا أن أشكر كل من يسهم في إصدار هذا السفر الثقافي الذي يرافقني منذ خمسة عشر عاماً وأدين له بالكثير. ولا أنكر دهشتي على التغيرات التي طرأت على الفيصل وارتقائها إلى مستوى أفضل مما كانت عليه قبل سنوات. وقد اضطرتني ظروف خاصة للانقطاع عنها.. ولا يخفى على قارئ المجلة حرصها على المحافظة على طابعها الخاص مع مواكبة آخر التطورات في الميادين كافة.

طالعنا في عدد الفيصل ٢٨٢ حواراً مع الدكتور رشدي راشد حول تحقيق التراث أجراه معه الدكتور ثابت عيد، وقد كان حواراً متسماً بالموضوعية ومعرفاً بالكثير من إنجازات الدكتور رشدي وآرائه. ولكن المؤسف هو قراءتنا للموضوع نفسه ـ وإن كان بشكل مختصر أكثر ـ في عدد مجلة العربي ٤٩٧ أبريل. ولا أعلم ما السبب المقنع الذي أباح للأخ ثابت بأن يبعث الموضوع إلى مجلتين مرموقتين مثل العربي والفيصل في الوقت نفسه دون أن يتأكد من رفض المجلة الأولى لموضوعه، فهو بفعلته هذه حرمنا من موضوعات أخرى كان من الممكن أن تنشر مكان موضوعه.

وفي الختام أرجو التكرم بإرسال عنوان مؤسسة الفيصل ورقم الناسوخ.

كما أرجو التفضل بتزويدي بالأعداد ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١ من مجلتكم والتي لم أستطع الحصول عليها من موزع الفيصل في الأردن، ولكم الشكر الجزيل.

ختاماً تقبلوا أحلى التحايا. والسلام عليكم.

فراس جعفر كريم النجار
ص.ب ١٣١٢٨ ـ عمان ١١٩٤٢
الأردن

التحرير:

إشارة إلى ما أثرته حول إرسال موضوع واحد إلى مجلتين كما حدث من الأخ ثابت عيد، نفيدك أن المجلة كانت قد أبلغته بموضوع نشر الحوار، وبوصفه أحد الكتاب القدامى في المجلة يعلم أنها لا تنشر أي مقالة نشرت في أية دورية أخرى. ولكن فوجئنا ـ مثلك ـ بما حدث من نشر الحوار في المجلتين معاً في الشهر نفسه، وبناءً عليه قررت المجلة وقف مكافأته وإخباره بما بدر منه مما يستوجب إيقاف التعامل معه مستقبلاً.

قارئ جديد

أشكر لكم جداً هذا الجهد الكبير الذي تقومون به في إخراج هذه المجلة الفذة، فلقد غمرني شعور جميل وإحساس باهر عندما قرأت العدد ٢٨٤ من مجلة «الفيصل» الزاخرة بالمعارف والمعلومات التي يطلبها كل مثقف عربي. وهو بالنسبة إليّ العدد الأول، وسوف أسعى ـ بمشيئة الله ـ إلى اقتناء كل أعدادها القادمة، وإني عاقد العزم على ألا يفوتني أي عدد مهما كانت المشاغل والظروف فهي بالنسبة إليّ عين لا تنضب من الثقافة العربية الأصيلة، إذ تقدم لكل عربي مثقف مادة معرفية وثقافية في ثوب جميل وفي أسلوب نير.

فأهنئكم بهذه المجلة وأتقدم إليكم شاكراً لهذا الجهد الكبير لتنويع مادة المجلة وابتكار أبواب وفصول جديدة فيها؛ وهو ما جعلها تحفة في شكلها وفي محتواها.

بعد إعجابي الكبير بمجلة «الفيصل» الزاهرة في شكلها الجديد أبدي ندمي وأسفي على الأعداد التي لم أتمكن من اقتنائها وخاصة بعد هذا الشكل الجديد للمجلة، وإن شاء الله سأكون مستقبلاً من أول مقتني هذه المجلة. لذا أرجو من سيادتكم أن تتفضلوا مشكورين بإرسال بعض الأعداد من مجلتي الجديدة «الفيصل» ولكم كل الشكر والامتنان مسبقًا. وأتمنى أن تلبوا طلبي هذا وأنتم محل ثقة وإخلاص.
ويسعدني أن أكون من المشتركين في المسابقة الشهرية التي تنظمها المجلة الغرة بدءاً من العدد ٢٨٤ إصدار صفر ١٤٢١هـ، وإن هذه المسابقة تتيح لنا فرصة البحث في المعاجم، والدوريات والكتب التي ستمنحنا زاداً ثقافياً. والمجلة مشكورة في جميع الأحوال إن فزنا أم لم نفز. ويكفينا فخراً واعتزازاً أن نكون من أصدقاء «الفيصل» وأحبائها.
وفي الختام أهنئكم بهذا الإنجاز العظيم «الفيصلية» وسأل الله أن يوفقكم ويعينكم ويمدكم بالصحة والعافية حتى يستمر عطاؤكم المتجدد بإذن الله. واسأله تعالى أن يحقق لمجلتنا مزيداً من التقدم والرقي في عالم الصحافة الثقافية.

رضا الشريف
جامعة الزيتونة - المعهد الأعلى لأصول الدين
صفاقس - تونس

التحرير:
نشكر لك هذا الإطراء، ونأمل أن نتلقى ملاحظات القراء وآراءهم حول كل تجديد يطرأ على المجلة، ونتمنى لك الفوز بإحدى جوائز المسابقة.

أنا المترجم

فقد جاء في العدد ٢٨١ في مراجع مقال الدكتور خالص جلبي ما يلي:
كتاب «سجناء العالم الذري» الذي نسب إلى «أرفين أوبناهيمر»، ترجمة شخاشيرو ذكرت فيه معلومات مثيرة عن تركيبا الألمان أول سلاح ذري.إلخ.
ولما كنت أنا الذي قمت بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية، وليس الدكتور شخاشيرو، وقد نشرت الترجمة المكتبة العباسية في دمشق عام ١٩٧١م لذلك أرجو التفضل بالتنويه.
وتفضلوا بقبول فائق الود والتقدير

د. صلاح يحياوي
ماديسون - الولايات المتحدة الأمريكية

التحرير:
نعتذر للدكتور صلاح عن هذا الخطأ غير المقصود حتماً، ولعل هناك ما يتطلب التوضيح من الدكتور خالص جلبي، لأنه عرف بالدقة في إيراد المعلومة.

ردود سريعة

الأخ عبدالله محمد قائد عاطف - تعز - اليمن:
نتمنى لك الفوز في مسابقة «الفيصل»، وفي حال الفوز سوف نعمل على تحقيق رغبتك في الاشتراك في المجلة بقيمة الجائزة النقدية، أما اقتراحك بإعداد موضوع عن النقوش والزخارف اليدوية أو «الخضاب والحناء في المناسبات والأعراس في اليمن»؛ فإننا نأمل أن تشرع في تنفيذ اقتراحك، على أن يأتي الموضوع مدعماً بالصور المناسبة، ووفق الأسس الموضوعية للنشر التي تعلمها من خلال متابعتك للمجلة.

الأخ هادفي حمزة - ولاية تبسة - الجزائر:
نشكر لك ما جاء من إطراء في رسالتك التي عنوانها «قارئ مسحور»، ونأمل أن نكون عند حسن ظن جميع الإخوة القراء، وسنعمل على حل مشكلة التوزيع في بعض الدول العربية، وسننظر أيضاً في زيادة الكميات المخصصة لها.

الأخت منال عارف خليل الجبوري - إذاعة صوت الشعب - دمشق - سورية:
نشكر لك الاهتمام بمتابعة المجلة، والحرص على اقتنائها، أما مشكلة تأخر عملية توزيع بعض الأعداد فهي ترجع إلى عوامل كثيرة تحتاج إلى بعض الوقت للوصول إلى حل ملائم ودائم إن شاء الله.

الأخ عبدالفتاح بن يحيى - تونس:
نرحب بمقالاتك عن التراث العلمي عند العرب، وبأي مقالات أخرى ترى أنك قادر من خلالها على إغناء الحوار الفكري والثقافي، ونجدها فرصة للترحيب بمشاركات جميع الإخوة القراء وفق الشروط الموضوعية للمجلة.

الأخ سلامة سليم سلامة غراب - محافظة شمال سيناء - مصر:
نشكر لك ما كتبته من ملاحظات «من باب الغيرة» كما تقول، أما بخصوص فتح مكتب للمجلة في القاهرة، فهناك بعض الإخوة الصحفيين الذين نكلفهم بموضوعات محددة، كما أن أغلب الكتاب يفضلون إرسال مقالاتهم بطريقة مباشرة إلى المجلة، أما ما جاء في رسالتك بخصوص المسابقة فسوف يجد منا الاهتمام، وهناك اتجاه لتطوير المسابقة من حيث الأسئلة والمكافآت المقررة.

أعمال جليل رسولي:
رقصة الحروف وسط أهازيج الألوان

صادق العبادي
طهران - إيران



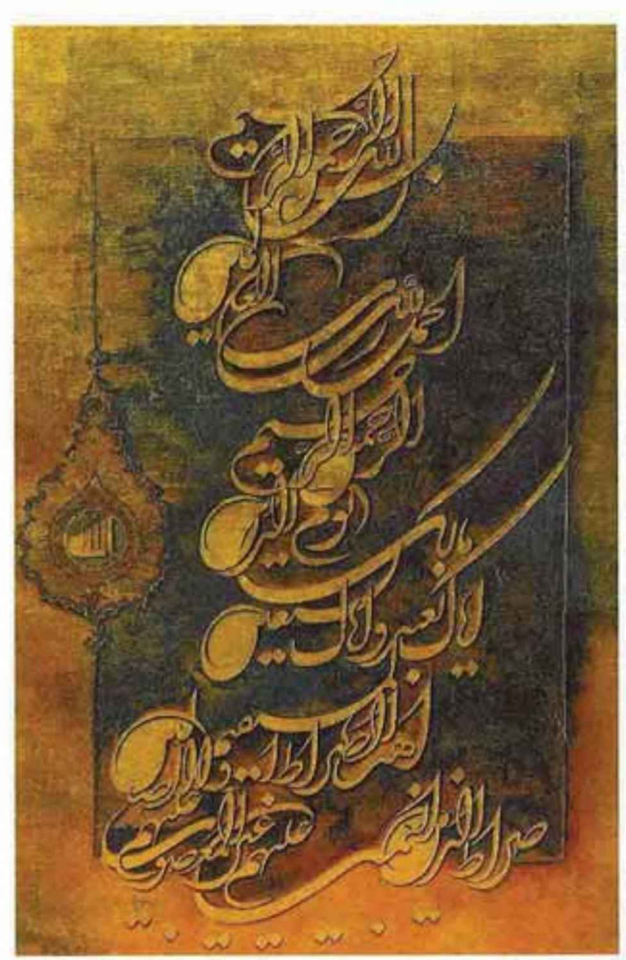
آية قرآنية

الخط الفارسي أحد أشهر أنواع الخط العربي، وهو يشكل فناً من الفنون الجميلة التي تجذب كل متذوق للفن، وقد شهد في العقود الأخيرة نقلة نوعية تحققت بفضل الإبداع والتطور والتقنية الفنية، مما أوصله إلى المستوى العالمي. وأعمال الخطاط الإيراني جليل رسولي نموذج واحد من التجارب المعاصرة في عالم الخط الذي نشاهد فيه رقصة الحروف وسط أهازيج الألوان، وأغاني الكلمات.

كان الخط دائماً، ومازال، له مكانته المقدرة في المجتمع الإسلامي، وقد بدأ يتعاظم دور الخط والكتابة منذ نزول الوحي على محمد صلى الله علي وسلم، فكان رمزاً للثقافة، والفن الإسلاميين، ومنذ أن ظهر الخط الكوفي بأشكاله المختلفة، ومروراً بالخطوط الستة التي طورها ابن مقلة، وانتهاءً بأعمال الخطاطين المعاصرين في العالم الإسلامي.

وللخط العربي دور كبير في الدعوة الإسلامية؛ إذ له حضوره في القرآن الكريم، والكتاب، والمسجد، وله حضوره في الحياة والعمارة و(الديكور) وحتى في أدوات المنزل؛ فالخط عصارة الفن الإسلامي، وأقرب وسيلة لإيصال الرسالة والكلمة إلى المسلمين، وليس هناك فن خدم الإسلام أكثر من الخط الذي هو حاضرٌ في أي مكان.

ومما يؤكد مكانة الخط بوصفه فناً من الفنون الإسلامية الرفيعة؛ ماورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «حُسن الخطِ لسانُ اليد، وبهجة الضمير».



جملة من خط الثلث

ومنذ بداية التاريخ الإسلامي تحول الخط السامي، والنبطي، والخطوط الأخرى غير الجميلة، إلى خطوط ذات إشعاع جمالي وروحي، خصوصاً عندما امتزجت بآيات الذكر الحكيم التي ازدادت عبرها أجواء الإيمان والإحساس الديني.

ومنذ أن وضع ابن مقلة (ت ٣٢٨هـ) قوانين للخط، ومقياساً للحروف بناءً على النقطة، وحرف الألف، وجعلهما مقياس طول الحروف السبعة والعشرين الأخرى وحجمها، تحول الخط من وسيلة للكتابة إلى أداة جمالية أيضاً، ذلك أن الألف هو خط عمودي يساوي الواحد«١»،وحسب التحليل العرفاني فإن الواحد هو تعبير عن التوحيد ووحدانية الله(١). وحرف الألف بشكله القائم والعمودي تعبير عن الجلال الإلهي، والأصل المتعالي الذي هو منشئ المخلوقات، ولذلك فإن الألف هو منشأ الحروف، وأول حرف لكلمة الجلالة «اللّه» جلّ وعلا(٢).

إن الخط الإسلامي، بالإضافة إلى جماليته وجانبيته، يحمل معه رسالة لا يدركها إلا صاحب الذوق الرفيع، والحس المعنوي الذي لا يقف عند الشكل، بل يدخل في المعنى والإيحاء.



الله أكبر

فالخط الإسلامي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالكلام الإلهي الخالد، ومن هذا الخلود يستمد الخط جماله وعروجه وصفاءه، وحيويته؛ ولذلك لا يمكن له أن يذبل مادام متصلاً بالوحي الإلهي، والكلمة القرآنية الخالدة.

تاريخ الخط العربي في فارس

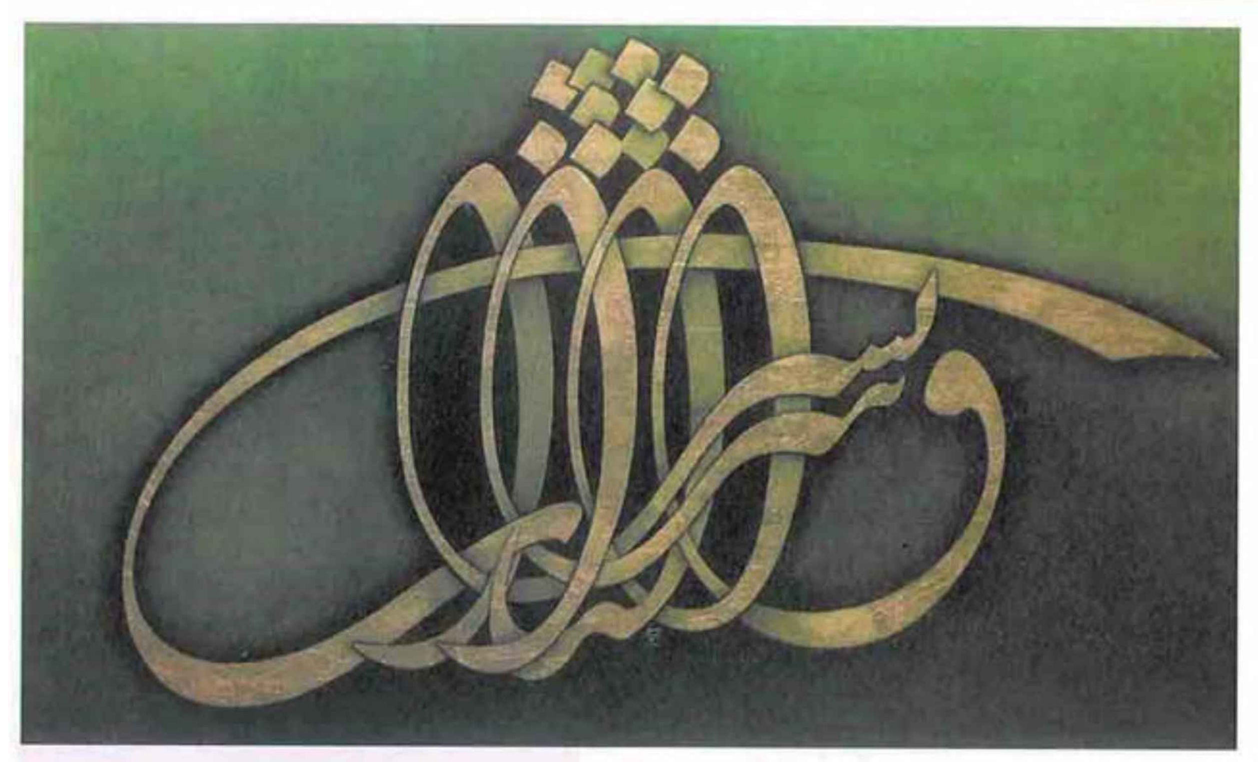
تاريخ الخط العربي في فارس هو امتداد للتاريخ الإسلامي فيها، فمنذ أن دخل الإسلام هذه البلاد، تخلّى الفرس عن ديانتهم القديمة: (الزرادشتية) وآمنوا بالإسلام، ومن ثم بدأ التأثير الإسلامي يظهر في الفكر والكتابة واللغة، ومنها تخلوا عن الخط البهلوي، وراجت الحروف العربية إلى يومنا هذا، حتى إنهم قاوموا المحاولات الاستعمارية لتغيير الحروف إلى اللاتينية التي طبقت في تركيا وآسيا المركزية. ولا غرابة في أن يظهر خطاطون كبار، مزجوا بين الخط والفن، والمكتبات الإسلامية ملأى بالمخطوطات التي كتبها ونسخها هؤلاء إلى جانب التفنن والتزويق.

وتطورت قواعد الخط التي وضعها ابن مقلة، وتحسنت على يد ابن البواب (ت٤٢٣هـ) بأن جعل لكل حرف حجمًا معينًا تحدده النقاط، وأوجد تناسبًا وتناغمًا بين الحروف.

وفي إيران حاول الخطاطون تطوير قواعد الخط التي وضعها ابن البواب لكي ينسجم أكثر فأكثر مع الخط الفارسي، فأبدعوا خط النسخ المعلق الذي يمتاز بانسيابيته ودورانه، وعملوا على تطويره حتى أصبح النستعليق عروس الخط الإسلامي لنسخ الكتب والأشعار الفارسية والتركية والأردية. ويعدّ مير علي التبريزي (ت٨١٨هـ) واضع قواعد هذا الخط التي استلهمها من حركة الحيوان الطائر في السماء وحالاته الانسيابية والممتدة.

إن نظام خط النستعليق أكثر خفة ورشاقة من التعليق. ومن الخصائص المميزة لهذا الأسلوب الأقواس الأفقية المفرطة الطول والانسياب، وامتلاء الدوائر الصغيرة، والرقة الشديدة في نهاية الحروف المدببة، وتوكيد الحركات الأفقية دون العمودية، والفرق الكبير في عرض الخطوط، وقد أصبح هذا الخط هو الخط الوطني لبلاد فارس لنسخ الأعمال الأدبية، وكتابة المجموعات الفنية(٣).

لقد بدأ الإبداع في الحرف العربي، وفي الخط



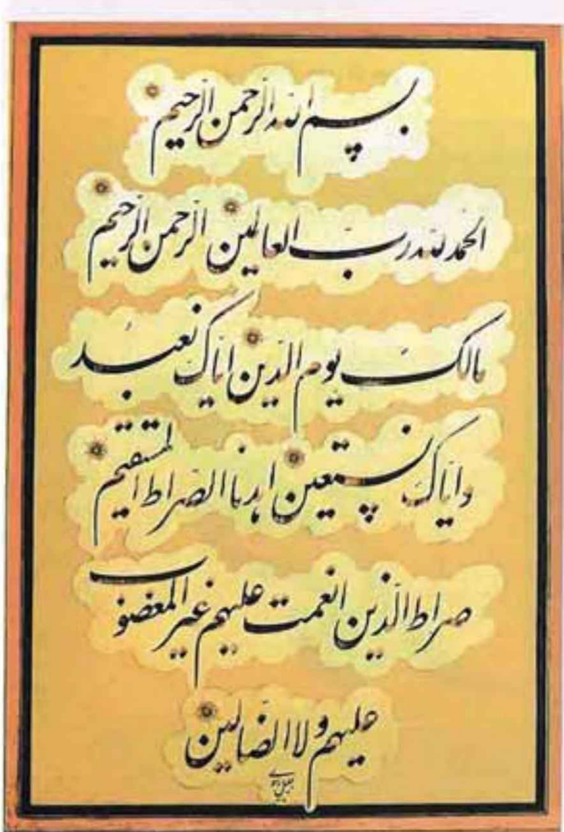
والناشرات نشراً

ماهرين من أمثال درويش، وبايسنقر ميرزا، والإمامي، وميرزا شفيع، وميـر عماد الحسني، وكلهر الذين أبدعوا في خطـوطهم وكـتـاباتهم التـي تزين مـتـاحف العـالم الأوربي والإسلامي.

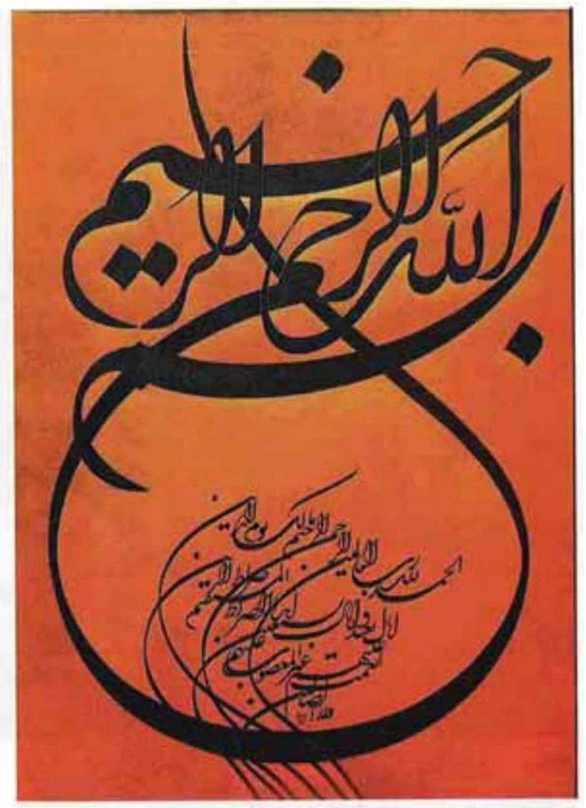
ومن النستـعليق خرج خط شكستـه، أي (الخطـ المكسور) الذي ظهـرت فيـه حالة الانسيـاب والحركـة، وهو شكل من أشكال التعليق ظهر في هرات (أفغـانستان) في أواسط القرن الحـادي عـشـر الهـجـري، ويكتب هذا الخـط البـالغ الكثـافـة بحروف على زوايا مستدقـة ذات خطوط عمودية مائلة بالغة القـصـر وخـاليـة من الحـركات، وتـوضع الأسطر على زوايا مختلفة من الصفحة(٤).

الخط الإسلامي المعاصر

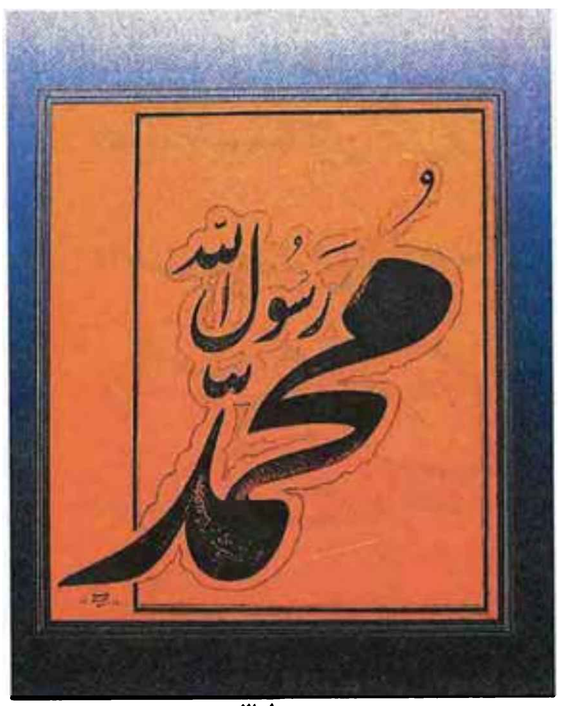
مع تنـامي الوعي الإسـلامي والإحـسـاس بالهـوية الدينية والوطنية، أدّت الفئات الاجتماعية دورها في تفي تفـعـيل السـاحـة من مـثـقـفين وأدباء وفنانـين، وكـان



الفاتحة



بسم الله الرحمن الرحيم



محمد رسول الله

فعيل الساحة من مثقفين وأدباء وفنانين، وكان للخطاطين والرسامين أيضًا دورهم الثقافي في مزج الخط بالفن المعاصر، وظهرت اتجاهات فنية معاصرة بين ملتزم بالتراث، ومنحاز إلى التشكيلي والرمزي والتجريدي(٥).

وظهر في إيران والعالم الإسلامي جيل جديد من الخطاطين الذين مزجوا بين الرسم والخط من أمثال ضياء العزاوي، ومحمد سعيد (الصكّار) (العراق)، ونجا المهداوي (تونس)، وعبد الإله العرب (البحرين)، وناصر الميمون (السعودية)، وفؤاد هوندا (اليابان)، وآخرين.

وجليل رسولي واحد من الجيل المعاصر، الذي نبغ في هذا الفن في إيران من أمثال: زنده رودي، وبيل آرام، ورضا مافي، وإحصائي وافجه إي من الذين لم يحصروا أعمالهم بالخط التراثي، وإنما أدخلوا ذلك في عالم الرسم والتصوير والألوان أيضًا.

إن الخطاط فنان، يحاول عبر سحر الحروف والكلمات أن يوجد لوحة خالدة تنساب منها المعاني والإيحاءات غير المتناهية، التي تأخذها من معاني الكلمات القدسية للقرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة.

مدرسة الرسم ـ خط

أكثر أعمال رسولي تتركز على الرسم ـ خط وهي ظاهرة حديثة تشبه الشعر الحر، أثارت حس الكثير من التقليديين، كما هاجم الأدباء التقليديون الشعر الحرّ في بدايته، إلا أنه صمد ووقف اليوم على رجليه، ولا يزال أسلوب الرسم ـ خط يقاوم اتهامات الخطاطين التراثيين الذين يدّعون أن هؤلاء المجددين تجاوزوا الأصولَ والقواعدَ التي وضعها أساتذة الخط. وفي الحقيقة إنّ كل خط جديد لم يلد إلا بعد سلسلة من التلفيقات أو الإبداعات التي قام بها أساتذة الخط في زمانهم.

فكما ولد الخط الكوفي من تلفيق الخط النبطي والسرياني

وتركيبه، وكما ولدت الخطوط الستة بعد مرحلة الكوفي، وكما ظهر خط النستعليق من تركيب النسخ والتعليق، كذلك فإن الرسم - خط هو وليد التركيب والامتزاج بين أصول الرسم المعاصر، وأصول الخط التراثي.

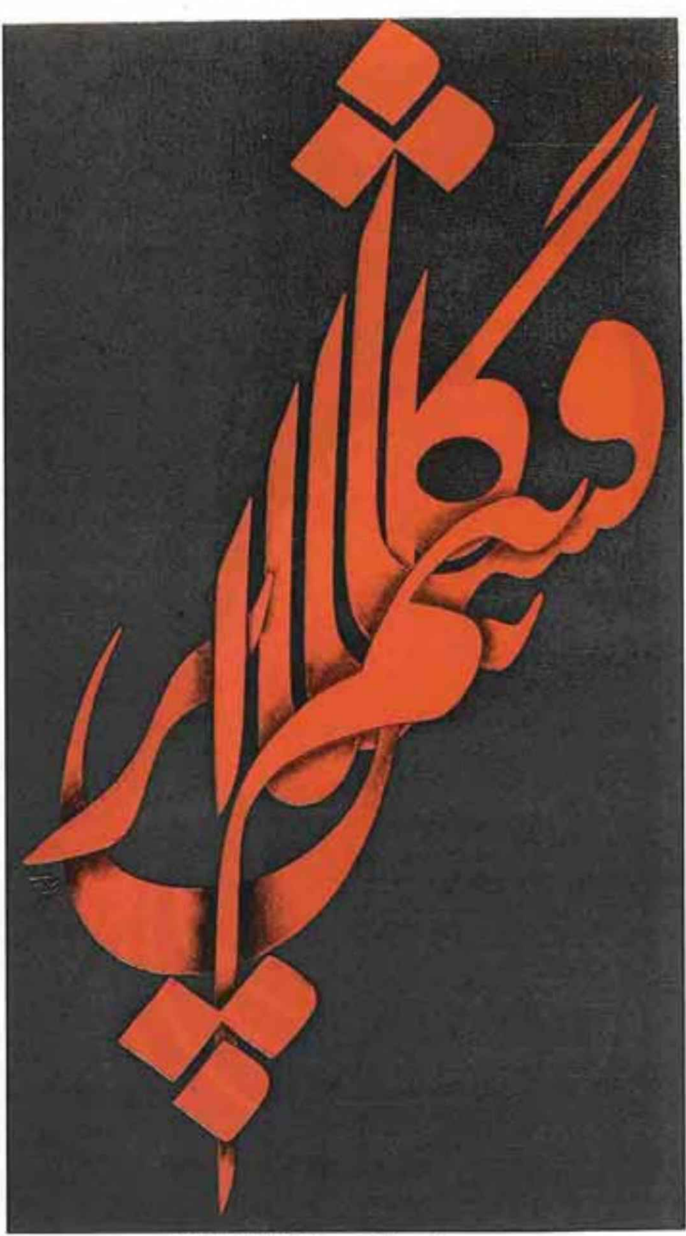
والرسم - خط مدرسة جديدة في الخط، نشأت في العقود الأخيرة بامتزاج الرسم والخط، أي بإضافة الألوان والرسم على الخط بحيث ينتج عمل إبداعي فريد، وقد انقسم أساتذة الخط التقليدي بين مؤيد لهذا الأسلوب، ومعارض يعدّه بدعة في عالم الخط، ومن لا يعدّه خطاً، إنما يصنفه ضمن الرسم والفن، وبعيداً عن هذا التصنيف، فإن الإقبال الجماهيري على هذه المدرسة أعطاها دفعة جديدة ببروز خطاطين مبدعين في هذا المجال.


لوحة فنية

جليل رسولي بين التراث والإبداع

استطاع رسولي أن يوجد قالباً ومحتوىً خاصاً به، وأن يعتمد على الألوان، ويمزجها مزجاً مع الخطوط وكان يعتمد أساساً على تراث الخط القديم الذي يمزجه بالألوان والأشكال المتجددة، ويعمل جليل رسولي في أكثر أنواع الخطوط كالتعليق، والنستعليق، والجلي، والغباري، بالإضافة إلى إبداعاته في الرسم - خط.

وهذا الفنان يمزج بين الإحساس والإيمان، والخط والفن، وأعماله لا تؤثر في الإنسان العادي فحسب، وإنما تؤثر في أهل الخبرة والعارفين برموز الخط. وبالإضافة إلى الشكل الذي تمتاز به لوحاته، فإن المضمون أيضاً يمتاز بحسن الاختيار، فهو بعد أن يتبرك باسم الجلالة، ويبدأ بالحمد والسورة، ويتوج أعماله بـ: الله أكبر نجده أيضاً يسيح في أشعار حافظ وسعدي والرومي وكبار الشعراء الذين لهم الدور الأكبر في إيجاد الحس الديني والأخلاقي في المجتمع الإيراني المسلم.



شعر بالفارسي: تعالوا لننثر الأزهار

عندما تقف على لوحة «سورة الحمد» يغمرك الخضوع والخشوع والعالم الروحاني الذي يشع من القرآن، وقد قام رسولي بعدة أعمال عن سورة الحمد، كل واحدة منها تسبق الأخرى في جمالها، وتأخذك إلى عالم الملكوت الأعلى، وقمة الفن الإسلامي، وأكثر الخطاطين يبدؤون بسورة الحمد، ولكل منهم إبداعه الخاص.

عندما زار أحد الإيطاليين معرض رسولي في روما عام ١٩٨٦م قال: «لا أفهم العربية جيداً، ولكنني أستطيع أن أقرأ الإسلام من خلال هذه اللوحات والحروف».

وما يلاحظه الإنسان في لوحات رسولي، هو الحركة، ففي كل لوحة هناك شكل غير محسوس من الحركة المستمرة تدفعك إلى منعطفات جديدة، حاملة معها أحاسيس إيمانية. وعنصر الحركة يستمر أحياناً ليخرج من حالة التقليد إلى حالة الإبداع. إنها تجربة جديدة للمزج بين روح الخط التراثي والفن التشكيلي مفعماً بالأحاسيس الجمالية للخطاط.

ومع أنه يحاول أن يكون محافظاً على التقاليد، إلا أنه يدخل عالم التجديد والتطوير والإبداع - في الوقت نفسه - لإخراج لوحة تقليدية في إطار معاصر، ويحرر الكلمات والحروف في فضاء رحب لينقلك إلى عالم الروح والمعنى، عبر استخدامه الدوائر والخطوط المنحنية والأجواء الرومانسية.

ومن إبداعات رسولي أنه يركّب الخطوط مع تشكيلة من القماش المزركش، والأحبار والأوراق القديمة، والألوان الغامقة والمحروقة.

حياة الخطاط رسولي

محمد جليل رسولي أحد الخطاطين البارزين في هذا الفن وُلد في عام ١٩٤٧م في همذان (مدينة أبي علي بن سينا)، وتعلم الخط منذ طفولته، وركز عليه وهو طالب في المدرسة، ثم انتقل إلى طهران عام ١٩٥٧م، وترك الدراسة بعد المتوسطة ليحترف الأعمال الحرة، ويجرب حياته العملية

وفي عام ١٩٦٨م تعرف إلى أستاذ الخط السيد حسن ميرخاني (سراج الكتاب) لكي يتعلم على يديه خط النستعليق وأصوله، وبعد أن تزوج عام ١٩٧٢م، أقام أول معرض خاص بأعماله في طهران بعد ثلاث سنوات. وهو يقيم معارض سنوية فردية منذ عام ١٩٧٦م.. ثم ذهب إلى بريطانيا، ليقيم أول معرضٍ له خارج إيران.

وقد فتح سفره إلى أوربا، وزيارة متاحف لندن وباريس في ذهنه آفاقًا جديدة ليرسخ الإبداع في هذا الفن.

وبعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران أقام معرضًا بعنوان «الله أكبر» عام ١٩٨٠م، ثم ذهب إلى باكستان عام ١٩٨٣م، وسورية عام ١٩٨٤م، وإيطاليا عام ١٩٨٦م، وفي عام ١٩٨٩م حصل على درجة الأستاذية من أستاذه السيد حسن ميرخاني - وهي أعلى درجة تمنح للخطاطين . وفي ١٩٩٠م طبع أول «ألبوم» له بعد ثلاثين عامًا من العمل الفني بعنوان «جان جانان» أي الروح المحبوبة، الذي



بسم الله الرحمن الرحيم



جملة من خط الثلث

تشاهدون كثيرًا من لوحاته مع هذا المقال، ثم بعد ذلك كان يقيم كل سنتين معرضًا خاصًا به من أعماله الإبداعية.

وهو يعمل منذ ثلاث سنوات على إنجاز ٧٥ لوحة جديدة سوف تعرض في معرض خاص، ويفتتح بعد فترة في طهران.

وحصيلة رسولي من المعارض تبلغ ٣٢ معرضًا خاصًا به، و٣٠ معرضًا جماعيًا داخل إيران. أما في عواصم العالم فقد أقام معارض خاصة به ومشتركة، وذلك في كل من: ألمانيا، واليابان، وبريطانيا، وإيطاليا، وسويسرا، والسويد، والصين، وفي الكويت، ولبنان، وسورية، وقطر.

أعماله المطبوعة

بالإضافة إلى نسخ مجموعة من الدواوين الشعرية لحافظ وسعدي، ونهج البلاغة الذي نسخه بخطه، صدرت لرسولي عدة مجموعات هي: «جان جانان» (الروح المحبوبة)، و«جهار فصل» (الفصول الأربعة)، و«يادكار عشق» (ذكرى الحب)، و «برك سبز» (الأوراق الخضراء).



الخطاط جليل رسولي مع أستاذه حسن ميرخاني

بيت شعر

حوار مع رسولي

لمزيد من معرفة أعمال هذا الفنان عن قرب قابلناه وكان السؤال الأول عن سرّ نجاحه، وكيف وصل إلى هذه المرحلة؟ فأجاب: الخط يبدأ بالعشق لهذا الفن. ومن دون أن تكون عاشقًا للخط لا يمكن أن تكون خطاطاً، بعد ذلك تأتي مرحلة الذوبان والتضحية، فمن دون التضحية والذوبان لا يمكن للخطاط أن يصبح فناناً في الخط، لقد قضيت أربعين عاماً من عمري في الخط، والحقيقة كانت ثمانين عاماً من العمل؛ لأنني أعمل ست عشرة ساعة في اليوم، وأنا أعتقد أن الخط عند أي فنان لا يستقر إلا بعد أن يتجاوز عمله وإنتاجه عمر الفنان نفسه.

• ما رأيك في التغيير والإبداع، أليست أعمالك تجاوزت الأصول التي أرساها واضعو أصول الخط العربي؟

ـ أعتقد أن الخطاط، الذي يجب أن يحترم قواعد الخط التراثي وأصوله، يجب ألا يحصر نفسه داخل التراث فقط. ففي أكثر المعارض التي أقمتها في بلدي وخارج بلدي رأيت الكثيرين يذهبون إلى اللوحات الإبداعية، ولوحات الرسم ـ خط، تاركين الخط التقليدي من أعمالي، مما يعكس اهتمام الناس بمدرسة الرسم ـ خط. أيضاً.

• لمَ أدخلت الألوان في الخط؟

ـ عندما تستقر الألوان في ذهني الهائج، تبدأ الحروف بالرقص والغناء، فأرى حركاتها المستديرة والمستمرة، وعلى الرغم من أن الألوان كانت تريد مني مساحة أوسع في التحرر، إلا أنني كنت أحاول التزام القواعد. ففي البداية كانت الألوان التي تتجاذبني كثيرة، ولكنني، لكي التزم قواعد الخط أيضًا، استقررت على البني والذهبي والأخضر، لقد بهرتني الألوان المختلفة، ولكنني كنت أميناً على اختيارها؛ وذلك لم يحصل إلا بعد سنوات طويلة من التجربة.

• وما رأيك في الخطوط التراثية كالتعليق والثلث والنستعليق وغيرها؟ وهل انتهى دورها؟

ـ أبداً أبداً مازالت هذه الخطوط تحافظ على قوتها ومتانتها وأصولها، ولكنها لا تستطيع أن ترضي رغبات كل الناس وأحاسيسهم، حتى الخطاطون الذين يعملون في إطار الأصول التقليدية فقط، وصلوا إلى طريق مسدود، وفي رأيي أن الفنان يجب أن يتعلم أصول الخط التراثي أولاً؛ لأنه هو الأساس. وكما ترى في أعمالي فإن الخط هو الأساس، بعد ذلك أذهب وراء الألوان والتنوع والابتكار. لقد عملت فترة طويلة في إطار الخط التراثي، ثم انتقلت إلى الرسم ـ خط، وأعتقد أن الرسم ـ خط أصعب بكثير من الخط.

• ولكنك تجاوزت كثيراً من أصول الخط العربي، وشكل الحروف التي وضعها أساتذة الخط!!

ـ أنا خطاط أولاً، ثم رسام؛ وقد لاحظت في البداية معايير الخط، فحاولت أن أدخل إلى الرسم من مدخل الخط هذا أولاً، وثانياً إذا رأيت نوعاً من التغيير في شكل الحروف، و ذلك من ضرورات الإبداع، ألم يبدع أساتذة الخط أنواعاً جديدة من الحروف ويطوروها؟

وإذا كنا نملك اليوم نحو عشرة أنواع من الخطوط فإن ذلك يعني أن هناك من جاء ليضيف جديداً إلى ما كان معروفاً في السابق.

علينا ألا نحصر الخط في بلادنا، ونحن لا نستطيع فرض أذواقنا على الآخرين، وإذا أردنا أن يأخذ الخط العربي دوره العالمي فلابد من تركيب الخط والرسم والألوان حتى نستطيع إيصال رسالتنا إلى العالم، وهذا يرتبط بالقدرة الإبداعية للفنان.

• وما رأيك في الرسم ـ خط؟

ـ مدرسة الرسم ـ خط ليست قديمة عندنا، بدأها الخطاط مالك محمد، ومع أن أعماله كانت بدائية، لكنه كان أول من أدخل الرسم والألوان في الخط، واشتهر عندنا بالرسم ـ خط، ثم جاء آخرون كزنده رودي، وبيل آرام، وإحصائي، ورضا مافي، وافجه إي.

إنني أميل إلى الخط أكثر من الرسم، ولا أدري إن كانت تسمية الرسم ـ خط صحيحة أم لا، لأن بعض إخواني من الخطاطين لا يوافقوننا على هذا التركيب، ولكنني أعتقد أنه أصعب كثيراً من الخط، وأكثر تأثيراً في المتأمل.

أظن أن هذا الأسلوب هو من فنون الخط، وأضيفت إليه الألوان؛ لأن الرسام لايستطيع أن يدخل هذا الوادي قبل أن يكون خطاطاً أولاً. ففي القرون الماضية كان الخطاطون يزوقون أطراف الصفحات ويذهّبونها، لكي يبرزوا فن الخط داخل الأطر الذهبية أو المرسومة بالألوان، كما في ديوان «كلستان سعدي»، و«شاهنامه فردوسي».

• كيف تتعامل مع الألوان؟

ـ الخط فن أصيل، ولا يمكن استخدام أي لون معه، فعادة أستخدمُ الألوان القاتمة والأصيلة؛ لأنها تحافظ على أصالة الخط، ثم إنني أنتخب ألواناً متناسبة مع محتوى الكلمات أو الأشعار، محاولا إيجاد تناسب بين لغة الألوان ولغة الخط؛ ولذلك أستخدم البني والذهبي والأخضر أكثر من غيرها.

• في أي أجواء تعيش، وبأي مدرسة أنت متأثر في أعمالك؟

ـ أحاول أن أكون متفرداً بأعمالي، ولذلك عندما أحمل القلم والدواة والأوراق لا أراجع حتى أعمالي السابقة، أحاول أن أحرر نفسي من المدارس الفنية التقليدية، بعد التفكير العميق، وفجأة أشعر بحالة من الانفجار الذهني، أو التعبير



سورة الفاتحة

عن الإحساس الداخلي، ولا أدري، هل استطعت أن أخلق شيئاً جديداً أم لا؟ ولكنني أومن بحرية الفنان والخطاط. أمّا في أصول الخط فأنا متأثر بمير عماد الحسني (ق ١٠) وأستاذي حسن ميرخاني.

• كيف قضيت وقتك مع لوحات «الله أكبر» بأشكالها المختلفة؟

ـ كلمة «الله» كانت عوني دائماً، ولم أبدأ إلا باسم الله. حاولت استخدام كل أنواع الخطوط: النستعليق، والشكستة، والثلث والنسخ والكوفي والبنائي على أرضية خضراء وبنية وذهبية فتلألأت كالذهب، هذه الأعمال هي حصيلة لحظات الدعاء الذهبية

المراجع والهوامش

١ـ شيمل،آن ماري، الخط الإسلامي، ترجمة مرتضى أسعدي، مجلة هنر، العدد ٣١ ص٢٠٣، ١٩٩٦م طهران.
٢ـ نصر، حسن، رسالة الخط في الإسلام، مجلة هنر، العدد ٣١ ص١٠٨، ١٩٩٦م طهران.
٣ـ للمزيد حول خصائص النستعليق والخطوط الفارسية انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، د. إسماعيل فاروقي، ولمياء الفاروقي، مكتبة العبيكان، الرياض ١٩٩٨م، ص٥١٨ـ٥٢٠.
٤ـ الفاروقي، المصدر نفسه ص٥١٩.
٥ـ انظر بلند الحيدري، الخط في الفن العربي الحديث بالإنجليزية.
Arts and the Islamic World Vol. 1. No.1 (1983).

هل تقادم التقدم؟

حمدي الجمل
بورسعيد - مصر

قبل أن يلملم القرن العشرون بقاياه استعداداً للرحيل، كانت كل المدلولات الرمزية والفكرية لمصطلح «التقدم» قد توارت، وأخلت المكان لمدلولات فنية تركت آثاراً مختلفة في كل المجتمعات، وحيرت الحكومات، وشطرت فكر الخبراء بين متهم لتلك المدلولات الفنية ومدافع عنها. فالاتجاه المستقبلي لإنتاج الأسلحة يعتمد على أنواع أكثر إرهاباً ورعباً (بيولوجية وكيماوية ونووية) لا يمكن عده تقدماً. ولأن للتقدم أبعاداً، أهمها الزمان، والمكان، فقد استخدمها البعض للتمييز بين هذه الأبعاد (عصر ما بعد الصناعة، عصر المعلوماتية، عصر الثورة الصناعية..إلخ).

وقد ارتبط التقدم بالنموذج الغربي الذي تأسس على التراكم الرأسمالي من حيث إنه يمثل المعبر إلى هذا النموذج، هذا المعبر تم تطويره فتحول إلى مصطلح آخر هو «التنمية الاقتصادية». وفي هذا الإطار يصف دانييل بورستن فكرة التقدم بأنها «ربما كانت مجازاً مميزاً للتاريخ الأوربي؛ أما البقاع الأخرى، لدى الشعوب التي ليس لها جذور تاريخية مماثلة، فإن هذه الفكرة قد لا تعبر عن شيء أكثر من سخرية يوطوبية (مثالية) قاسية»(١). وفي محاولة للفصل بين فكرتي التحديث والتقدم يرى فلورا لويس «أن التقدم يوحي بنوع من المضمون الفلسفي والأخلاقي فضلا عن فكرة التحسين المادي، شأنه شأن أفكار الجمال والعدالة. إن صورة المجتمع المثالي الذي قد يكون الهدف الأخير للتقدم، لا تحظى بتأييد الغالبية العظمى من الثقافات؛ فهناك دائماً خلافات، لقيام مواجهة مستمرة بين وعي الإنسان بصفته فرداً، ووعيه بصفته عضواً في مجتمع، ويحدث أن يتغلب أحدهما على الآخر»(٢).



المشاركة سمة مجتمعات الصيد

آلية التقدم

إن التقدم بوصفه منهجاً لا يُعنى بالوسائل وحدها، وإنما يعنى أيضاً بتعريف الاتجاه وتحديد الأهداف النهائية. ومن هنا تنشأ مشكلة اختيار نموذج أو خطة للمجتمع، أو تجربة بارزة. وللتعبير عن ذلك بلغة أكثر تحديداً علينا أن نتصور أن التقدم عملية تحول إرادي من موقع يمثل مستوى معيشياً حالياً، إلى موقع مستوى معيشي آخر مستهدف باستخدام وسائل معينة. ويرى روستو أن هذا التحول هو تحول من البدائية إلى التقدم. ويمكن تفصيل ذلك كما يلي:

- الموقع الحالي: لابد أن يتسم الموقع الحالي - عند محاولة التقدم - بعدم القدرة على إشباع الحاجات الإنسانية الأساسية، أو أنه لا يحقق مستوى مقبولاً من الرضا.

ويرى فلورا لويس أنه «إذا كان إشباع الحاجات الأساسية في الدول الفقيرة يعد تقدماً فإن الفكرة ليست بسيطة إلى هذا الحد؛ ففي ظل الزيادة السكانية

بعد بقاء أكبر عدد من السكان على قيد الحياة (لانخفاض معدل الوفيات مثلاً) قد يعد هذا تقدماً، ولكن كونهم يعيشون في فقر قد يتجاوز فقر أسلافهم لا يعد من قبيل التقدم. ويميل الأثرياء إلى أن يكون لهم عدد أقل من الأبناء الذين ينعمون بحياة أفضل، فهل يعدّ هذا تقدماً؟ نعم إنهم يشعرون بأنه كذلك. وعلى ذلك فإن فكرة التقدم المادي يشترك فيها الناس على نطاق واسع»(٣). كما يرى أن التقدم لا يعدو أن يكون شيئاً يزود الإنسان بحالة من الرضا لا مفر منها.

الإسكيمو لا يدخرون الطعام عند الوفرة

- **قرار التقدم:** لابد أن يتوافر لعملية التقدم إرادة تدفع إلى اتخاذ قرارات، وتصميم خطط وبرامج، وتدبير للتمويلات اللازمة. وفي مجال الاعتقاد بأن التقدم ضرورة من عدمه يقول دانييل بورستن: «أية فائدة يمكن أن يجنيها العالم من مجاز حاد، يتجمد عند نقله إلى مجتمع آخر فيصير (إيديولوجيا)؟ ذلك لأن كل (إيديولوجيا) هي في ذاتها تناقض وإنكار للقوة المبدعة والمغيرة غير النهائية التي يمتلكها الإنسان، القوة التي نعبر عنها فكرة التقدم نفسها، ألا نستفيد كثيراً من التجربة الشاسعة التي يجريها البشر، لو شجّعنا الشعوب كلها على أن تطوّر وتنمّي ما عندها من مجازات»(٤).

> لابد أن يتوافر لعملية التقدم إرادة تدفع إلى اتخاذ قرارات، وتصميم خطط وبرامج، وتدبير للتمويلات اللازمة

- **الوسائل:** تتمثل الوسائل المستخدمة في التقدم في مجموعة السياسات والبرامج والإجراءات التي تحقق الأهداف، وكذلك التشريعات وإعداد البنى الأساسية. وتعد زيادة الاستهلاك (لتحقيق التراكم الرأسمالي) وحرية الاستثمار واستخدام التقانة (التكنولوجيا) بكثافة أهم الوسائل في تحقيق نموّ اقتصادي؛ هذا الذي يعد الأساس الرئيس للتقدم؛ فماذا أفادت تجارب الأمم في هذا الشأن؟. يجيب فيديريكو مايور - الأمين العام لليونسكو - أن «الموقف المتخذ حتى الآن الذي كان يرى أن النمو الاقتصادي هو كل شيء، قد تبين أنه خاطئ. حقًا إن النمو هو القوة الدافعة وراء التقدم، ولكنه ليس بأي حال مرادفاً للتنمية»(٥). وفي محاولة ربما كانت الأخيرة لدفع التقدم بعيداً عن هوة التقادم الذي بشر به كثير من المفكرين والخبراء، من بينهم آلان تورين الذي رأى «أنه في بداية عام ١٩٧٠م انتهى الحديث عن التقدم»(٦). قدم كل من الأمريكي فرانسيس فوكوياما والفرنسي آلان بيريفت في التسعينيات عناصر جديدة للتقدم تتضمنها ثقافة مجتمعية أساسها «الثقة»، الثقة بالنفس، والثقة بالآخرين، والثقة بالمستقبل، ويرى الكاتبان «أن ظاهرة التقدم التي لحقت ببعض المجتمعات دون الأخرى يكمن تفسيرها في فكرة الثقة بالمجتمعات، فالمجتمعات القائمة على الثقة استطاعت أن تقطع أشواطاً بعيدة من التقدم، أما مجتمعات الريبة والتربص فهي غير قادرة على الخلاص من الماضي»(٧) وقد أقر الكاتبان بأن التقدم لا يرجع إلى أسباب اقتصادية فحسب، بل يرجع بالدرجة الأولى إلى مقومات ثقافية للمجتمع تتمثل في الثقة.

- **الموقع المستهدف:** يمثل الموقع المستهدف هنا النموذج، وقد انطبق الأغلب الأعم على النموذج الغربي، وفي هذا يقول جوزيف زيربو: «لا بأس أن نتحرك سريعاً ما دمت نعرف إلى أين نمضي... ولا يمكن الكلام عن التقدم دون الرجوع إلى غايته، الأمر الذي يطرح مشكلة أخلاقية، إذ يجب اختيار نموذج أو خطة للمجتمع، وقد أثبتت التجارب أنّ التنمية طريقة لفرض نموذج مقرر سلفاً للسيطرة»(٨).

وبعد فقد قدمنا هذه العجالة البحثية عن مدى صلاحية فكرة التقدم في مستهل قرن جديد، مستطلعين آراء تنتمي إلى بيئة محددة (غربيون)، وقد أفادت خلاصتها أن التقدم فكرة تقادمت بالفعل، وتتفق هذه النتيجة مع ما انتهى إليه طارق عبدالله في أن «التصورات التي قدمت للتنمية ما تزال قاصرة عن إدراك التعقيد المصاحب للاجتماع البشري في نظرته للتقدم»(٩).

تقاليد صديقة للفطرة

في تقرير ياباني حكومي رسمي بخصوص مستقبل الأمة، أيدت الحكومة اليابانية في التسعينيات من القرن العشرين العودة إلى التقاليد. وتتلخص فكرة التقرير في عبارة موجزة موحية هي «التقدم عن طريق

التقاليد» ورد فيه ما يلي: «لنا إذن أن نعمل معاً لإيجاد طريقة وسط لا تشجع أسلوب التبديد الأمريكي ولا الرجوع إلى الماضي..»(١٠) وقد اعتاد اليابانيون الأجداد أن ينصحوا أحفادهم بألا يتركوا شيئاً في أوانيهم عند تناول الطعام ولو حبة أرز واحدة، ويقولون لهم: إن هذه العادات ظلت سائدة إلى أن فرض علينا المجتمع الاستهلاكي أن نبدد الأشياء. ولهم في ذلك مصطلح مهين لمن يبدد الأشياء هو «مونوجوروشي» Monogoroshi (قاتل الأشياء)، يغدو منبوذاً من المجتمع بأسره.

وتتبع بعض مجتمعات الصيد والجني/ الجمع أسلوباً يسميه الخبير بعلم الإنسان (الأنثروبولوجي) مارشال ساهلينز أسلوب مجتمعات «زين» ZEN، ويتمثل في الكف عن إنتاج الطعام بمجرد أن يرى الأفراد أن الكمية الموجودة منه تحت أيديهم تكفي حاجاتهم. ويصفهم بقوله «إنهم يؤمنون بالمشاركة في كل شيء وإن البعض يدّعي أن وظيفة المشاركة هذه تؤدي ما تؤديه شركات التأمين في الغرب».. إن الإرساليات الغربية كانت تُدهش حينما ترى الإسكيمو والبوشمن يقيمون الولائم في أثناء وفرة الطعام، بينما لا يدخرون للظروف العجفاء شيئاً. إن الولائم وسيلة لإعادة توزيع الغذاء على المجتمع، وكذلك التآلف ومقاومة الحقد والحسد»(١١).

وثمة أسلوب آخر هو أسلوب معيشة الألجونكان Algonquins، فحين تدعى القرية كلها للوليمة بما فيها الزوار، يجد كل من الضيوف حقيبة من البلاستيك إلى جانب طبقه، وهي دعوة لأن يأخذ ما يتبقى حين يفرغ ليتقاسمه مع من لم يحضر الوليمة. إنّ كلاً من قبائل المبوتي في زائير سابقاً، وباتك في ماليزيا، ونياكا في جنوب الهند وغيرهم، يرون أن علاقتهم مع الطبيعة أخذ وعطاء متبادلان كما يصفها بيرد دايفيد بأنها اقتصاد كوني من المشاركة.

كتاب مافرط في شيء

اعتمدت نظريات الحاجات الإنسانية على تحديد عناصر الإشباع، ومن شأن ذلك أن تقوم هذه النظريات على فرض خطير جداً وهو بناء نظام للإشباع من دون بينة! ذلك أن ما يربط احتياجات الإنسان بمصدر الإشباعات كافة هو العلاقة التي تربط الأسباب بخالق الأسباب ومدبر أمرها وهو الخلاق العليم جل شأنه، ومن ثم فإن حاجات الإنسان من المنظور الإسلامي

والمنظور الإسلامي إلى حاجات الإنسان يقوم على الربط بين هذه الاحتياجات كافة بشكل متوازٍ ومتوازن مع الروح والجسد. وتنطلق هذه النظرية من أنه توجد حاجة أولية مهيمنة على الحاجات الأخرى كافة وهي الشعور بالافتقار إلى الله، هذه الحاجة كفيلة بتأمين الحاجات الأخرى، ولكن مع الإيمان بأن الإشباع في حد ذاته سوف يتوقف على ما قدره الله، وليس على مستوى الحاجات المستهدفة (لا نموذج) وأنه ينبغي في كل حال توافر الرضا والحمد، تأتي هذه الحاجة الرئيسة الحاكمة في قوله تعالى: ***يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد. فاطر: ١٥***، حيث يفسر ابن كثير «أنتم الفقراء» أي أنتم المحتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، كما فسر الفخر الرازي «إلى الله» بأن في هذا إعلاماً من الله بأنه لا افتقار إلا إليه سبحانه. هذا المنهج الذي بين أيدينا منذ ما يزيد على ١٤ قرناً من الزمان يكفي البشرية البحث في ملف الحاجات الإنسانية التي تكمن دائماً وراء الدافعية للتقدم أو التنمية. أليس خليقاً بنا وفي إطار هذا المنهج أن ندرس قضية: كيف يكون الإنسان خليفة الله في أرضه، حيث منها ينطلق ذلك القانون الأبدي الرشيد الذي ينفي أكذوبة قانون: توافق مع النموذج ألا وهو: توافق مع الفطرة.

المنظور الإسلامي إلى حاجات الإنسان يقوم على الربط بين هذه الاحتياجات كافة بشكل متوازٍ ومتوازن مع الروح والجسد

المراجع

١. دانييل ج. بورستن، لكل إنسان صوره المجازية، رسالة اليونسكو، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٣م، ص١٠.
٢. فلورا لويس، قيم نسبية، رسالة اليونسكو، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٣م، ص١٢.
٣. فلورا لويس، مرجع سابق، ص١١.
٤. دانييل ج. بورستن، مرجع سابق، ص١٠.
٥. فيديريكو مايور، ماذا حدث للتنمية، رسالة اليونسكو، القاهرة، سبتمبر ١٩٩٤م، ص٢٥.
٦. آلان تورين، لا شمال ولا جنوب إنما عالم واحد، رسالة اليونسكو، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٣م، ص١٨.
٧. حازم الببلاوي، دور الدولة في الاقتصاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٩٠.
٨. جوزيف كي - زيربو، رسالة اليونسكو، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٣م، ص١٥.
٩. طارق عبدالله، التنمية مطلب حضاري أم استمرارية وهم؟ رؤية نقدية، المستقبل العربي (٢٤٦)، أغسطس ١٩٩٩م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص٧.
١٠. هيسانوري إيزومورا، لا تبدد ولا تحتاج، رسالة اليونسكو، القاهرة، يناير ١٩٩٨م، ص٢١.
١١. ماري رويه، اقتصاد المشاركة، رسالة اليونسكو، القاهرة، يناير ١٩٩٨م، ص٢٣.

القراءة الابتكارية لتشكيل الطفل

حسن شحاتة
القاهرة - مصر

القراءة من أعقد الأنشطة العقلية، فهي تتطلب تمييز شكل الكلمة سمعيًا وبصريًا، كما تتطلب التفكير، وتوقّع المعاني التي ترمز الكلمات إليها، وهي أشبه ما تكون بحل المشكلات، واستنباط الفروض، والتحقق من الاستنتاجات. إنها تتضمن كل أنواع التفكير من تقويم وإصدارٍ لأحكام، وتخيُّلٍ، واستنتاج، وحلِّ مشكلات.

والجهد الذي يبذله الطفل في القراءة جهد كبير، فهو يبدأ بأن يستخدم قدرته في تمييز الأشكال المرئية والأصوات المسموعة، وهو يعتمد على قدرته في إدراك الوحدات الرمزية في تمييز مجموعات من الحروف على هيئة مقاطع لفظية. ويعتمد على القدرات اللفظية في فهم معنى الكلمات، كما أن عليه أن يدرك المعاني التي تكمن في العلاقات بين الكلمات التي ينبغي فهمها، وكذا فئات الأفكار، والجمل والفقرات التي تقدم بدورها نظاماً من الأفكار ينبغي فهمه، فضلا عن الشعر وما تقدمه الكتابات الأدبية من تحويلات في المعاني، وتلميحات غامضة ينبغي أن يستكملها القارئ نفسه إذا أراد أن يفهم ما يقرأ، وأن يستمتع به.


الانتقال من القراءة الناقدة إلى القراءة الابتكارية ضرورة عصرية

تطور مفهوم القراءة

وقد بذل علماء النفس التعليمي والتربويون جهوداً علمية وتجارب معملية، ووجهوا نظرياتهم وبحوثهم لخدمة القراءة وتطوير مفهومها.

كان مفهوم القراءة حتى منتصف العقد الثاني من القرن العشرين مقصوراً على معرفة نطق الكلمات، فمتى عرف الطفل كيف ينطق الكلمات التي يتضمنها النص المكتوب يكون الهدف قد تحقق من القراءة.

وتطوّر مفهوم القراءة ليشمل فهم الأفكار المتضمَّنة في النص المكتوب، حين بدأ الاتجاه إلى استخدام اختبارات القراءة، والتي تقوم على طرح الأسئلة حول فقرات من النصوص المقروءة وبدا ذلك جلياً منذ الثلاثينيات من القرن العشرين.

وتطور مفهوم القراءة مرة ثالثة نتيجة لأبحاث علمية ارتبطت بغزو الفضاء مع نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، ونتيجة للاهتمام بحرية التعبير، والعناية بالمؤسسات والمجالس التي تعكس آراء الشعب عبر قنوات دستورية، فاتسع مفهوم القراءة ليشمل النقد وإبداء الرأي والاستنتاج والحكم. وأصبحت القراءة بهذا المفهوم الثالث عملية تفكير لا تقف عند استخلاص المعنى من النص، ولا عند تفسير الرموز وربطها بالخبرة السابقة، ولا عند التفاعل مع النص، بل تتعدى ذلك كله إلى حل المشكلات. وأصبحت القراءة عملية عقلية انفعالية دافعية تشمل تفسير الرموز والرسوم التي يتلقاها القارئ عن طريق عينيه، وفهم المعاني، والربط بين الخبرة السابقة للقارئ وهذه المعاني، والاستنتاج والنقد والحكم والتذوق، وحل المشكلات.

تحويل النص إلى عمل فني يعمّق مفهوم القراءة الابتكارية

الحاجة إلى القراءة الابتكارية

وإذا كانت القراءة هي الوسيلة التي لا غنى عنها للإنسان، فهي تغني خبراته، وتوسع أفقه، وتربطه بماضي أمته، وتجعله قادراً على فهم حاضره، والتخطيط لمستقبله، وإذا كانت القراءة الوسيلة لحل المشكلات، والتغلب على ما يواجهه الإنسان من صعاب، حيث تزوده بخبرات الآخرين وتجاربهم في مواجهة مشكلاتهم، وما يعترضهم من عقبات في سبيل تحقيق أهدافهم، وإذا كانت القراءة وسيلة للإنسان ليعيش بفاعلية في حياته، وأن من حرم القراءة حرم المشاركة في الأنشطة الحضارية، فإننا في حاجة ماسة إلى ربط القراءة بقدرات التفكير الابتكاري، وليتطور مفهوم القراءة مرة رابعة لننتقل من القراءة الناقدة إلى القراءة الابتكارية، وبذلك ننتقل بالقراءة إلى مفهوم جديد. مفهوم يتناغم مع العصر الذي نعيش فيه، ومع تعقد الحياة، وتغيّرها السريع المتلاحق.

نحن في حاجة إلى القراءة الابتكارية لا لنجعل القارئ مستوعباً لما يقرأ أو ناقداً له، بل إنها تتعدى ذلك كله إلى التعمق في النص المقروء، والتوصل إلى علاقات جديدة، وتوليد فكر جديد وحلول متنوعة للمشكلات وتطبيق لهذه الحلول. والمقروء يجب أن يكون مصدراً للتفكير والتغلب على ضغوط الحياة، والقراءة هنا لتركيب المعلومات والوصول إلى استنتاجات حقيقية عن الواقع.

نحن في حاجة إلى تدريب الأطفال القرّاء على طرح الأسئلة حول المعلومات التي لم تذكر في النص، وإضافة فكر جديد لمحتوى النص، وكتابة عناوين مختلفة لما يقرأ، وكتابة

عدة نهايات لقصة غير مكتملة، وذكر جميع الصفات التي يوصف بها شخص ما، وكتابة حلول متنوعة لإحدى المشكلات، وتوقع ما يمكن أن يحدث لإحدى شخصيات القصة، وذكر الأسباب المحتملة لوقوع حدث من الأحداث، وذكر أكبر عدد ممكن من الاستخدامات للأشياء والتنبؤ من خلال المعلومات المقدمة إليه، وتوقع الاحتمالات، وإضافة فكره إلى محتوى النص، والإحساس بالصعوبات والمشكلات، والثغرات في المعلومات، والعناصر المفقودة، وصياغة الفروض حول العمليات الناقصة واختبارها، وإنتاج عدد كبير من الأفكار المرتبطة بالمقروء، والانتقال بالتفكير من مجال إلى آخر، وإنتاج فكر غير تقليدي.

إن الطريقة السائدة في القراءة تُعنى عناية واضحة بالسيطرة على المعلومات الواردة في النص، وربط بعضها ببعض، والإلمام بهدف الكاتب، والاعتماد على الأنشطة المغلقة التي تتطلب إجابة واحدة، والتركيز على التفكير المنطقي، وربط القارئ بالنص، وتقييد خياله بحدوده، إنها - في إيجاز - تركز على النطق بالكلمات وفهم معاني المفردات، واستنتاج الأفكار، وتفسير ما غمض فهمه، وتعزيز الإجابات الصحيحة، وتصويب الإجابات الخطأ في ضوء إجابة واحدة صحيحة، فدرس القراءة يركز على التفكير الاستنتاجي لا الناقد، وعلى التحصيل لا التفكير.

وتاريخ البشرية يشير إلى أن المبدعين والعباقرة والمبتكرين قد قرؤوا منذ طفولتهم فاستوعبوا ما قرؤوا وتمثلوه ثم أضافوا إليه من ذواتهم، لذلك فإن تنمية القدرة على القراءة الابتكارية لدى المتعلمين أمر مرغوب فيه، لأنها تساعدهم في مواجهة مشكلاتهم ومشكلات مجتمعهم بكفاءة، وتطور حياتهم وتنمي الإنتاج، وتساعدهم على تقديم حلول غير تقليدية للوفاء باحتياجات التنمية. والمجتمع الحديث في حاجة إلى إنسان يرقى بتفكيره ليتناغم مع تطوره، إنسان قارئ يعي متطلبات العصر، ويعرف ما عليه وما له، ويشارك في حل المشكلات التي تواجه مجتمعه، ويعمل على انطلاقه وتطويره.

مفاهيم متنوعة للقراءة الابتكارية

إننا نسلم بداية بأن مفهوم القراءة الابتكارية مفهوم لا يزال قيد البحث والدرس، فهناك رؤى متنوعة للقراءة الابتكارية بدأها روسل ١٩٥٦م، فهي عنده تكامل وتنظيم للمواد المقروءة بغية التوصل إلى استنتاجات وحل بعض المشكلات. وقد حدد ست خطوات للقراءة الابتكارية هي: الاستيعاب الدقيق لمحتوى المقروء، وفهم معانيه الظلالية، وتكامله مع الخبرات السابقة، والتوصل إلى استنتاجات، وتكوين علاقات وأفكار جديدة، واستخدام الأفكار في أنشطة أخرى جديدة.

والقراءة الابتكارية عند هستر ١٩٥٩م تخيل واستدعاء للخبرات السابقة، وبحث عن تطبيقات للحالة الراهنة، وتقرير ما ينبغي قبوله. وعند سميث ١٩٦٩م، تعرف بأنها القراءة التي يترك فيها القارئ المادة المكتوبة، وينطلق بعيداً عنها ليبحث أو يعبر عن أفكار جديدة، وليحصل على بصيرة إضافية، وليجد الإجابة عن سؤال، أو حلاً لمشكلة تشبه مشكلات الحياة.

> إن سلوك القارئ الابتكاري يتضمن: طرح أسئلة عن النقص في معلومات النص المقروء، وإضافة أفكاره السابقة إلى المقروء، وتحوير المقروء إلى شكل من الأشكال الجديدة وتوظيف الأفكار بطريقة فريدة

ويُعرِّف تورنس ١٩٧٠م، القراءة الابتكارية بأنها حساسية للمشكلات والثغرات في المعلومات، والعناصر المفقودة والمتنافرة، والأشياء الخطأ والمزعجة، وتكوين علاقات جديدة ومجموعات مؤتلفة، وتركيب عناصر متصلة نسبيًا في وحدة كلية مترابطة، وإعادة تحويل أو تعريف عناصر محددة لاكتشاف استخدامات جديدة، والبناء على ما هو معلوم.

وتعرِّف برازل ١٩٧٢م القراءة الابتكارية بأنها إحداث شيء بالمادة المقروءة، وإعادة إنتاج المقروء خياليًا وتفصيله وتحويله، وإعادة تنظيمه، والذهاب إلى ما هو أبعد من المقروء لابتكار شيء جديد.

ويعرِّف هاريس وسيبي ١٩٧٥م القراءة الابتكارية بأنها الانطلاق إلى ماهو أبعد من المعاني المفهومة من المادة المقروءة وصولاً إلى أفكار جديدة واستنتاجات جدية.

ويأتي لوفتون ١٩٧٧م فيعرف القراءة الابتكارية بأنها عملية يكون فيها القارئ حساسًا بالثغرات والتناقض والمشكلات والاحتمالات في المادة المقروءة؛ فالقارئ يولد علاقات جديدة من المعلومات الراهنة والخبرات السابقة، مما يجعله يضيف أفكاره إلى أفكار المادة المقروءة ويحور في

المقروء، ثم يعبر عما قرأ بأشكال جديدة شعراً أو رسماً أو مسرحية، كما أنه يستخدم الأفكار في مواقف جديدة وبطرائق جديدة.

ويذكر مارتن ١٩٨٢م أن القراءة الابتكارية تفاعل مع المادة القرائية، بحيث يكون القارئ حساساً بالتنافر في النص، يطرح أسئلة ويبحث عن إجابات لها، ويضع المعلومات في محتوى متكامل ذي معنى، يمكن أن يكون فريداً، ويطبق استبصاراته في مواقف جديدة.

ويلاحظ على هذه التعريفات لمفهوم القراءة الابتكارية أنها قد تضم مفاهيم القراءة الاستيعابية والقراءة الناقدة. وأن بعضها لم يلتفت إلى نوع الناتج الذي تسفر عنه القراءة الابتكارية ومدى تنوعه وأصالته، وأن بعض ما ذكر لا يعتمد على حقائق علمية محددة بقدر ما هو ناتج من تحليل منطقي لأنشطة القراءة الابتكارية، وأن بعض التعريفات جاءت في ضوء ردود فعل القارئ الابتكاري نحو ما يقرأ، أو أنه جاء ليوضح العمليات العقلية التي يجريها القارئ الابتكاري، وأن بعض التعريفات تتسم بالغموض، أو تعريف القراءة الابتكارية في ضوء أهدافها، أو ربط العمليات العقلية والنفسية معاً.

بيد أن بعض التعريفات عنيت بتحديد خطوات للقراءة الابتكارية، توضح أهمية تكوين علاقات جديدة وأفكار جديدة، وأن بعضها اتفق في مضمونه مع تعريفات أخرى.

وقد اشتركت معظم هذه التعريفات في التركيز على تنوع العمليات العقلية التي يمرّ بها القارئ، وأهمية أصالة الأفكار التي يتوصل إليها القارئ، وتوظيف القارئ الابتكاري للمادة المقروءة والخبرات السابقة، وتوضيح ردود الفعل النفسية التي يعايشها القارئ الابتكاري مع النص مما يدفعه إلى التفكير بعملياته العقلية المتنوعة لإشباع حاجاته النفسية.

وإن سلوك القارئ الابتكاري يتضمن: طرح أسئلة عن النقص في معلومات النص المقروء، وإضافة أفكاره السابقة إلى المقروء، والتنبؤ من الأفكار التي يقرؤها، وتوقع احتمالات معينة، وتحوير المقروء إلى شكل من الأشكال الجديدة أو غير المألوفة، وتوظيف الأفكار بطريقة فريدة.

أهمية القراءة الابتكارية

القراءة الابتكارية تنمية للفرد، وتوسيع لقدرته العقلية وتفكيره، فالأفكار الجديدة التي يحصل عليها القارئ تساعده على توليد أفكار مبتكرة؛ فهو ليس مُسْتَقبلاً للمعلومات بقدر ما هو باحث ومجرب ومركّب ومحوّر، لديه القدرة على نقد ما يقرأ وتقويمه، إنه قارئ مفكر يدرك التحيز، ويكتشف النقص في المعلومات، والأسباب الكامنة خلف التناقض وعدم الاطراد، ويصل إلى استنتاجات صحيحة، ويختار المناسب منها، وينتقي مايطبقه في حياته اليومية، فيصبح سلوكه في حالة من التطور الدائم المفيد، إنه قادر على التوقع والحدس، قادر على تشكيل المادة المقروءة وإعادة صياغتها موظفاً تخيله الابتكاري؛ وهو يستطيع الابتعاد عن المادة المقروءة، قادر على تشكيل مادة أكثر ثراء من تلك التي كتبها المؤلف.

والقراءة الابتكارية تجعل القارئ يحس بالعالم المحيط به إحساساً فريداً، فهو مستغرق في قراءته، مشارك الأحياء والجمادات أحاسيسها ومشاعرها، أو هكذا يراها برؤى خاصة، يرى بأذنيه، ويسمع بعينيه، ويدرك بقلبه، ويحس بعقله، فالتخيل الذي يعيشه في أثناء القراءة، يجعل العالم وأفعاله شيئاً حقيقيّاً وفريداً.

والقراءة الابتكارية تجعل القارئ منفتحاً دائماً على عالم الصفحة المطبوعة بأفكارها الثرية، يمتلك تشكيل عالم ما يقرأ من الأفكار، ويشكلها تشكيلاً طريفاً، ويحترم الأفكار الجديدة، ويعكس فكره من خلالها، ويعيد النظر في كل ما هو مألوف وشائع، ويتلاعب بالأفكار، وتصبح نظرته إليها تتسم بالشمول، ومن زوايا مختلفة.

والقراءة الابتكارية تجعل المتعلم يتعمق المشكلات الدراسية، ويكشف الأسباب، ويربط بين المؤتلف ويصنف المختلف، ويحور ويعدل ويبدل في المادة الدراسية مما يقوده إلى أصالة التفكير، وامتلاك التعدد في وجهات النظر، فتصبح لديه الطلاقة والمرونة وأصالة الفكر، فيحل مشكلاته وكذا مشكلات المجتمع الذي يعيش فيه.

والقراءة الابتكارية تجعل من الكتاب مصدراً للتفكير، وتجعل المتعلم يغوص في المادة المقروءة ليكشف الحقيقة فيما يقرأ، ويستدعي الأفكار التي يمتلكها، والتي مزجها بتخيله، فيزداد رصيده القرائي من الخبرات، ويصبح قادراً على توظيفها واستخدامها بطرائق كثيرة، وفي مواقف متنوعة من الحياة.

والقراءة الابتكارية نوع من أنواع السلوك في التفكير، يمكن

أن تعبر عنه بمستوى التركيب عند بلوم، ففي هذا المستوى يقوم التفكير بعملية تركيب نمط لم يكن معروفاً من قبل. وهذا السلوك العقلي يقتضي جمع أجزاء المادة القرائية مع الخبرات السابقة وإعادة تركيبها في كلٍّ جديد متكامل. والقراءة الابتكارية سلوك موجه لتحقيق هدف، هو الإنتاج أو التركيب الجديد الذي يقوم به القارئ، والقراءة هي المادة المستخدمة لتدريب العقل على التفكير الابتكاري، وبذلك تعذر فصلها عن التفكير. فالقراءة تتضمن جميع العمليات العقلية العليا من إدراك، وتكوين مفهوم، ورؤية للعلاقات وعمل استنتاجات، وإجراء موازنات وإحداث تطبيقات؛ فالقراءة هي المسبب للتفكير الابتكاري، والعقل في هذا النوع من أنواع القراءة يتحرر ويصبح مولداً للأفكار، ومبتكراً لها. حيث يضيف إلى المعاني التي يتضمنها النص المقروء.

إن من يقرأ ابتكارياً يركز دائماً على الإنتاج التقاربي والتباعدي. ويظهر الإنتاج التقاربي في الحصول على معاني المادة المقروءة، بينما يتضمن الإنتاج التباعدي استجابة الفرد التي تشتمل على إجابات مختلفة ومتنوعة ومحتملة، وليست استجابة واحدة، حيث يخترع الطفل الإجابات ويقوم بتركيبها.

إن المعايير التي تصف ما يحدث حين يقرأ شخص ما قراءة ابتكارية هي:

- ينشط الفرد، ويصبح حساساً بالمشكلات التي قد تظهر في أثناء القراءة.
- يطرح الأسئلة باستمرار فيما يتعلق بالمعلومات التي يتضمنها النص المكتوب، ويبحث عن إجابات لهذه الأسئلة.
- يفسر المعاني التي يطرحها المؤلف، فيقوم بتركيب المعلومات في شكل ذي معنى.
- يحدد أسباب الأحداث في النص، ويتخيل التضمينات الممكنة في أحداث المادة المقروءة.
- يمتلك القدرة على الاستجابة، ويسأل: ما الذي يمكن أن يحدث لو ...؟ كيف يمكن أن تتغير الأشياء إذا تغيرت بعض عناصر الموقف؟.

وخلال هذه العمليات يكون القارئ الابتكاري قادراً على:

- رؤية ما قرأه بطرائق كثيرة ومتنوعة، وهذه هي المرونة.
- إنتاج أفكار متنوعة وفريدة مرتبطة بما قرأ، وهذه هي الأصالة.
- إضافة تفاصيل لهذه الأفكار، وهذا ما يسمى بالجدة.

والآن، كيف يمكن أن تؤدي مكتبات الأطفال أدواراً حديثة متنوعة لتنمية قدرات القراءة الابتكارية لدى الأطفال المترددين إليها؟

خطط (استراتيجيات) تنمية القراءة الابتكارية

يقصد بهذه الخطط أو النشاطات استخدام تقنيات حديثة وأساليب علمية لتنمية القراءة الابتكارية لدى الأطفال، تعتمد على أنشطة متنوعة تتوافر في المكتبات، وتتدرب عليها الأمينات وتقوم بتقديمها في تسلسل للأطفال المترددين إلى المكتبات وهذه (الإستراتيجيات) هي:

القراءة الابتكارية تجعل القارئ يحس بالعالم المحيط به إحساساً فريداً، فهو مستغرق في قراءته، مشارك الأحياء والجمادات أحاسيسها ومشاعرها، أو هكذا يراها برؤى خاصة

- **(إستراتيجية) نشاط العصف الذهني:**

المقصود بالعصف الذهني هو جلوس الأطفال على شكل دائرة مع أمينة المكتبة بهدف إنتاج قائمة من الأفكار التي يمكن أن تقود إلى حل مشكلة قرائية. ولضمان تدريب الأطفال على تدفق الفكر أو طرح الحلول يراعى ما يلي:

- تأجيل إصدار الأحكام النهائية إلى نهاية الجلسة.
- إطلاق الحرية أمام الأطفال لطرح الأفكار والترحيب بها.
- إيجاد جو التنافس والتشجيع للحصول على أفكار متنوعة وكثيرة.
- السماح بالبناء على أفكار الآخرين وتطويرها.

ولحل المشكلة المطروحة في جلسة العصف الذهني ينبغي المرور بعدة مراحل هي:

مرحلة تحديد المشكلة:

- تجمع أمينة المكتبة معلومات عن المشكلة التي ستتم مناقشتها قبل الجلسة.
- تطرح المشكلة في صورة بسيطة في بداية الجلسة، وتشرح أبعادها.
- تقسم المشكلة المعقدة على شكل مشكلات فرعية، وتناقش كل مشكلة منها في جلسة مستقلة.

مرحلة إعادة صياغة المشكلة:

- تعرض أمينة المكتبة المشكلة بعدة أساليب.
- نطرح أسئلة تبدأ بعبارة (كيف يمكن أن...) حتى يمكن دراسة المشكلة من زوايا مختلفة، وللتوصل إلى حلول متنوعة.

مرحلة العصف الذهني للمشكلة:

- إلقاء كلمة تنشيطية من قبل أمينة المكتبة لتهيئة الأطفال للمشكلة.
- عرض قواعد العصف الذهني على لوحة أمام الجميع.
- طرح المشكلة، بحيث يرفع من يريد الكلام يده.
- تحافظ أمينة المكتبة على حرية النقاش، وتنمية الأفكار.
- تسجل جميع الأفكار المطروحة بواسطة مسجل ثم تفرغ.

مرحلة تقويم الأفكار:

- تراجع أمينة المكتبة الأفكار وتنظمها مع الأطفال.
- تحدد معايير لنقد الأفكار.
- تستبعد الأفكار التي لا تتفق مع المعايير.

خطط (استراتيجية) طرح الأسئلة

الهدف من هذه (الإستراتيجية) تنمية القراءة الابتكارية. وللإستراتيجية شكلان:

الأول: يطلب من الأطفال القرّاء طرح الأسئلة عن المعلومات الناقصة حين تعرض عليهم مواد قرائية محددة.

الثاني: تقدم أمينة المكتبة أسئلة مفتوحة ومثيرة للتفكير لتحصل من كل طفل على عدد كبير من الإجابات المختلفة، لا إجابة واحدة. وهو ما يساعد الأطفال على جمع المعلومات وحرية التعبير عن أنفسهم، وفرض الفروض، والتأمل والسعي إلى إشباع حب الاستطلاع في الموضوع الذي يقرؤونه.

ومن الأسئلة المفتوحة: سؤال عن معلومات غير موجودة في الكتاب، وعن فكرتهم الشخصية عما يقرؤون، والتركيز على ما يضيفه القارئ، وعرض قصة وسؤالهم عن أشياء لم تخبر عنها القصة، وتستخدم أدوات الاستفهام التي تبدأ بما يلي: (لماذا؟ ما الذي يمكن أن يحدث إذا...) وعلى أمينة المكتبة تقبل جميع الإجابات وعدم رفض إجابة منها. وسؤالهم عن إدراك العلاقات بين المعلومات والأشخاص والأحداث.

إستراتيجية التنبؤ القرائي

تبنى هذه الإستراتيجية على أساس تنمية الوعي القرائي، حيث يطلب من الطفل، من خلال معلومات محدودة تقدم له، أن يقدم معلومات أخرى ترتبط بالسابقة، كأن يطلب من الأطفال القرّاء التنبؤ بمحتوى قصة أو كتاب أو موضوع قرائي من خلال عنوانه، ثم يبدأ الأطفال في قراءة المادة القرائية موضوع النقاش لمعرفة من يفوز بصحة التنبؤ القرائي.

ويمكن أن نطبق إستراتيجية التنبؤ القرائي بما سيقع من أحداث في أثناء قراءة قصة أو رواية أو مسرحية، حيث يبدأ طفل في قراءة عمل أدبي مبسط، وتطلب أمينة المكتبة من القارئ أن يتوقف، ثم تسأل الحضور عما يمكن أن يحدث بعد ذلك. ويتم التأكد من صحة التنبؤات من خلال الاستمرار في القراءة.

وهناك طريقة ثالثة للتنبؤ القرائي، تطلب فيها أمينة المكتبة من الأطفال قراءة قصة محددة، وبعد انتهائهم من قراءتها تطلب منهم التنبؤ بما يظن أنه سيحدث بعد انتهاء القصة من أحداث بوقت قصير أو بعد وقت طويل.

إستراتيجية الغلق وتنويع الحل

تبنى هذه الإستراتيجية على أساس تنمية الابتكار لدى الأطفال القرّاء، وذلك بوضعهم مكان مؤلفي الأعمال الأدبية. ويمكن أن تطلب أمينة المكتبة في هذه الإستراتيجية من الأطفال القرّاء إجراء تغيير في حدث من أحداث القصة، أو تحوير في شخصية من شخصياتها وإعادة كتابة القصة على هذا الأساس.

ويمكن أن تطلب أمينة المكتبة من الطفل كتابة نهاية للقصة أو عدة نهايات من ابتكاره تختلف عن النهاية التي وضعها المؤلف، مع المحافظة على الأحداث والشخصيات، أو تقدم للأطفال قصة ناقصة في الأحداث أو الشخصيات أو النهاية، وتطلب من الأطفال تنويع إكمال الناقص كل حسب رؤيته الخاصة.

إستراتيجية تنمية التخيل

تقوم هذه الإستراتيجية على أساس تنمية التخيل الابتكاري لدى الأطفال، حيث يطلب من الأطفال القرّاء استخدام بعض الكلمات والتعبيرات اللغوية الجديدة في تأليف قصة أو مسرحية بسيطة تقوم على الحوار بين بعض الأشخاص. ولتنمية معلوماتهم يمكن أن يطلب من الأطفال القرّاء إضافة أحداث أو أفكار إلى محتوى النص المقروء، مستخدمين تخيلاتهم - أو تأليف قصة جديدة بدمج بعض القصص، أو من خلال فقرات قصة مؤلفة، أو من خلال سلسلة من الصور تعطى للطفل.

إستراتيجية حل المشكلات

تقوم هذه الإستراتيجية على تطبيق ما قرأه الطفل في حل مشكلات الحياة التي تواجهه حيث تقوم أمينة المكتبة مع الطفل بتحديد مشكلة أو بعض مشكلات وردت في كتاب علمي أو اجتماعي أو ديني أو غير ذلك، وتطلب من الطفل القيام بقراءات إضافية تعرف فيها حلول متنوعة لكل مشكلة، وتعرض هذه المشكلات وحلولها المتنوعة خلال جلسة تعقد لهذا الغرض تستهدف المزيد من القراءات والمزيد من الحلول.

إستراتيجية التعمق والانطلاق

تقوم هذه الإستراتيجية على التعليل بعد الانتهاء من القراءة.وفي هذه الإستراتيجية تطلب أمينة المكتبة من الطفل كتابة الأسباب التي أدت إلى وقوع الأحداث الواردة في القصة بحسب توقعه.

وكذلك يمكن في هذه الإستراتيجية أن تطلب أمينة المكتبة من الطفل كتابة أكبر عدد ممكن من الصفات لشخصية من الشخصيات المذكورة في القصة، أو لمكان معين بها، أو لحدث وقع، أو كتابة أكبر عدد ممكن من الاستخدامات الممكنة لشيء ورد في القصة أو الكتاب.

ويمكن أن تستخدم هذه الإستراتيجية في تكليف الطفل القارئ باستخراج معاني المفردات الجديدة المذكورة في النص المقروء من المعاجم اللغوية، ومطالبته باستخدام كل كلمة من هذه الكلمات في صياغة أكبر عدد من الجمل المتنوعة.

ويمكن استخدام هذه الإستراتيجية بأن تشجع أمينة المكتبة الطفل - بعد قراءة قصة أو كتاب أو نص في مجلة - على صياغة أكبر عدد ممكن من العناوين المناسبة لمضمونه، أو تصلح لأن تكون إعلانات تلفازية.

إستراتيجية التحويل

يقوم القارئ في هذه الإستراتيجية بتحويل العمل الأدبي إلى شكل أدبي آخر، حيث تطلب أمينة المكتبة من الأطفال أن يشتركوا في تحويل القصة التي قرؤوها إلى مسرحية، أو إلى لوحة فنية تتكون من صورة أو عدد من الصور، أو بالتعبير عنها عن طريق التمثيل الصامت، أو بتحويلها إلى مسرحية يتم عرضها عن طريق مسرح الدمى، أو بتمثيلها عن طريق مسرح خيال الظل، أو على صورة فيلم سينمائي يدار باليد، أو بتمثيلها وتصويرها بآلة تصوير (كاميرا) ٨ ملم ثم عرضها سينمائيًا، أو عرضها بعد رسمها من خلال صندوق الدنيا، أو بالتعبير عن القصة بأداء الأدوار، أو بمقطوعة موسيقية يقومون بتأليفها، أو بتحويلها إلى أغنية يغنونها جماعيًا بمصاحبة الموسيقى، أو بالتعبير عن مشاهد القصة أو بعض شخصياتها بالصلصال، أو بتحويلها إلى مشاهد يعرض كل مشهد على حدة بوصفها قصة مسلسلة، أو بالتعبير عن مشاهد القصة في لوحة وبرية حيث يعبر عن القصة برسمة، ثم تقص هذه الصور وتلصق على لوحة وبرية، أو عن طريق بناء نماذج متحركة للتعبير عن بعض مشاهد القصة أو بعض شخصياتها. أو عن طريق كتابة تقرير عن القصة ونقدها.

ويمكن أن تقدم إستراتيجية التحويل قصة تكتب من خلال عنوان يقدم للطفل القارئ ثم يوازن بين ما كتبه والقصة الحقيقية ويكتب تقريرًا عن ذلك، أو يكتب مقابلة بين إحدى شخصيات القصة والمؤلف، أو بين القارئ ومؤلف القصة، أو بين شخصيتين من شخصيات القصة، أو بين القارئ وصديق له يتحدثان عن القصة، أو إجراء مكالمة هاتفية مع إحدى شخصيّات القصة، أو تحويلها إلى نص إذاعي. ويمكن أن يكتب القارئ مسرحية من خلال قراءته عددًا من المسرحيات.

إستراتيجية التقمص الشعوري

تقوم هذه الإستراتيجية على أساس أن يطلب من القارئ الصغير التعبير كتابة عن مشاعره كما لو كان أحد أبطال القصة، أو أحد الأشياء المحيطة به في المكتبة أو الطبيعة.

ويمكن أن يتم ذلك من خلال شخصية من شخصيات القصة يرسمها، ثم يقوم قارئ آخر أو أكثر بتنميتها وتطوير سماتها، والتعبير عنها مشافهة، أو بتصميم أزياء لشخصية القصة، وارتداء هذه الأزياء، والتحدث كما لو كانت الشخصية حية تتحرك.

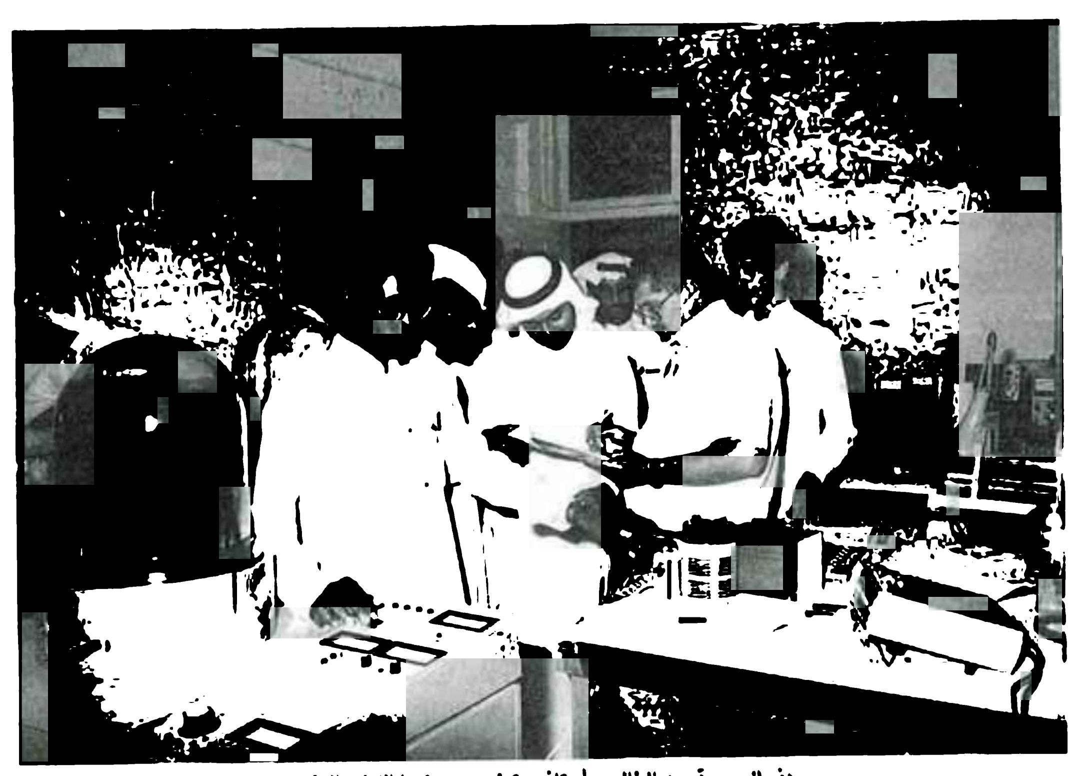
إستراتيجية النهايات المتفرعة:

تقوم هذه الإستراتيجية على أساس أن تقرأ أمينة المكتبة قصة على الأطفال، فإذا وصلت إلى العقدة في القصة تطلب من الأطفال اختيار أحد حلين ممكنين لحل العقدة، فيختار نصف الأطفال حلاً، والنصف الثاني الحل الآخر، وتظل القصة تتفرع مع كل عقدة حتى يعمل كل طفل على حدة.

أضواء على مسيرة
التعليم المفتوح والتعليم عن بعد

عبدالعزيز السنبل
تونس العاصمة - تونس

لقد نما نظام التربية عن بعد وازدهر، خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ولاسيما بعد عام ١٩٧٠م. ولكن بدايات هذا النظام التعليمي التربوي ظهرت بوضوح خلال القرن التاسع عشر، منطلقة من أسلوب التعليم بالمراسلة.



هذه الحميمية بين الطالب وأستاذه.. كيف سيعوضها التعليم المفتوح؟

وقد استعمل التعليم بالمراسلة في عدد من الدول مثل: السويد، والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا ونيوزيلندة أواسط القرن التاسع عشر، بسبب تطور الخدمات البريدية. وشمل استعماله مختلف مستويات الدراسة ومختلف الشرائح المجتمعية، وخاصة تلك التي تقطن أماكن نائية بعيدة عن مراكز التعلم التقليدية. ولم يقتصر استعماله على المجالات المعرفية المتعلقة بالعلوم الإنسانية فحسب، بل تعداه إلى المجالات المهنية.

واستمر استعمال التعليم بالمراسلة بكثافة في مختلف أنحاء

العالم خلال النصف الأول من القرن العشرين. فمثلا بعد انتصار الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م عمدت السلطات الجديدة إلى توسيع الخدمات التعليمية لتشمل أجزاء المجتمع كله، وعدّت التعليم بالمراسلة خياراً جوهرياً في ذلك الشأن. ومع بداية الستينيات من القرن العشرين كان ملايين الطلبة الروس من الذكور والإناث قد تلقوا تعليماً في المجالات الفنية والتقنية بالمراسلة.

استخدام الإذاعة والتلفاز في التعليم

بعد نجاح البث الإذاعي عام ١٩٠١م أخذت دول متعددة تستخدم المذياع لبث برامج تربوية موجهة لقطاعات معينة من الدارسين والمتدربين، مضيفة بذلك طريقة جديدة إلى التعليم عن بعد. وقد استعملت هذه الطريقة إمّا وسيطاً داعماً للتعليم بالمراسلة، وإمّا بشكل مستقل لإيصال معلومات ومعارف مباشرة إلى قطاعات معينة من المجتمع. فاتسع استعمال هذه الطريقة إلى حد إنشاء جامعات كاملة، ومعاهد يقوم نشاطها على البث الإذاعي، وخاصةً في كندا والهند وإفريقية وأمريكا الجنوبية.

ووفر اكتشاف التلفاز وسيلة جديدة فعالة لنقل المعرفة إلى جماهير غفيرة، مما حدا بالمسؤولين عن التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي في الخمسينيات والستينيات إلى توظيفه في التعليم عن بعد والتعليم عن قرب أيضاً، إلى درجة أنه في الستينيات بدأ استعمال التلفاز في تقديم مقررات كاملة. ومع تطور أساليب البث الإذاعي والتلفازي والطباعي وأجهزته، لم تتوانَ دول كثيرة في استخدام التلفاز والإذاعة والمراسلة بشكل متكامل لتقديم المعرفة لمواطنيها، سواء ضمن برامج علمية، أو مهنية تؤدي إلى إجازات (دبلومات) أو درجات جامعية، أو ضمن برامج ثقافية وتنويرية. وبذا توافرت للحكومات وللمؤسسات التربوية وسائط اتصال متعددة مكنتها من تقديم خدمات تعليمية ذات فعالية عالية عن بعد.

وخلال عقد التسعينيات من القرن العشرين توافرت للبشرية وسائط إلكترونية مذهلة لنقل المعلومات وإيصالها ونشرها. ويهمنا منها بالنسبة إلى التربية تلك التقنيات الإلكترونية التي يمكن استعمالها لعرض المعرفة على الطلبة، والتي يمكن استعمالها للتفاعل بين المعلمين والطلبة، وبين الطلبة أنفسهم. فمن التقنيات الحديثة التي تستعمل للعرض Presentation أشرطة الفيديو المطورة والشبكات الحاسوبية، وحقائب الملتميديا Multimedia، وأقراص CD-ROM والشبكة العنكبوتية الدولية مع ما يرافقها من خيارات الربط Linking Options والتوضيحات البيانية والرسوم Graphics والإنترنت والإنترانيت. وكذلك المؤتمرات المسموعة Audio Conferencing والمؤتمرات المرئية Video Conferencin وغير ذلك. أما التقنيات الحديثة التي ستعمل للتفاعل الثنائي أو الجماعي فأهمها أجهزة الناسوخ (الفاكس) والهواتف الخلوية والمؤتمرات المسموعة والاتصالات القائمة على توظيف تقانة (تكنولوجيا) الحاسوب، وهناك أيضاً المؤتمرات الحاسوبية Computer Conferencing، والجسور المسموعة Audio Bridges وغير ذلك كثير.

انتشار الجامعات المفتوحة

لقد تزايد الإيمان خلال النصف الثاني من القرن العشرين بضرورة الإسراع في إقامة جامعات ومعاهد مفتوحة. كما تزايدت القناعة بجدواها الاقتصادية، وأكبر دليل على ذلك وجود نحو ٨٥٠ جامعة ومؤسسة تعليمية تمارس التربية عن بعد، والتعلم المفتوح في العالم في الوقت الحاضر. منها نحو ٣٤٠ مؤسسة في أوربا وحدها، وخمس جامعات في الشرق الأوسط (إيران، وتركية، وفلسطين، ومصر، وإسرائيل).

> الجامعات المفتوحة قامت لتلبي الحاجات المتغيرة للمجتمعات المعاصرة والمجتمعات التي سيعيش فيها أبناؤنا

ومن الجامعات المفتوحة المشهورة الآن الجامعات التالية:

- الجامعة المفتوحة في المملكة المتحدة، وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٧١م.
- جامعة أثاباسكا في ألبرتا؛ كندا. وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٧٥م.
- جامعة التلفاز والإذاعة المركزية في الصين، وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٧٩م.
- جامعة «فيرن يونيفرستات» في مدينة هاجن في ألمانيا، وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٧٥م.
- جامعة سوخوثاي ثاما ثيرات المفتوحة في تايلاند، وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٧٨م.
- الجامعة المفتوحة الإسرائيلية في تل أبيب، بإسرائيل، وقد

بدأت الدراسة فيها عام ١٩٧٦م.

ـ الجامعة الوطنية المفتوحة في تايوان، وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٨٧م.

ـ جامعة تربوكا المفتوحة في إندونيسيا، وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٨٤م.

ـ جامعة الهواء في اليابان، وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٨٥م.

ـ جامعة أنديرا غاندي الوطنية المفتوحة في نيودلهي، في الهند، وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٨٥م.

ـ الجامعة الوطنية للتعليم عن بعد في إسبانيا، وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٧٣م.

ـ جامعة العلامة محمد إقبال المفتوحة في إسلام أباد في باكستان، وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٧٥م.

ـ جامعة الهواء والمراسلة الكورية في كوريا الجنوبية، وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٨٢م.

ـ مؤسسة التعلم المفتوح في هونغ كونغ.

ـ كلية التعليم المفتوح في جامعة أناضولو في أسكي شهر، في تركية.

ـ جامعة يونسور في بوغوتا، وقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٨١م.

ـ جامعة جنوب إفريقية في بريتوريا، وقد أنشئت عام ١٩٤٦م.

ـ جامعة أوبرتا في البرتغال، وقد أنشئت عام ١٩٩٠م.

ـ معهد سريلانكا للتربية عن بعد، وقد أنشئ عام ١٩٧٨م.

ـ جامعة أبيرتا الوطنية في فنزويلا، وقد أنشئت عام ١٩٧٧م.

ـ جامعة القدس المفتوحة في فلسطين، وقد بدأت عملها في عام ١٩٩١م.

تنظيم مؤسسات التربية عن بعد والتعليم المفتوح

توجد الآن ثلاثة أنماط تنظيمية للمؤسسات التي تقدم خدمات التعليم عن بعد والتعليم المفتوح، والتصنيف هنا يقوم على طبيعة الكيان الإداري للمؤسسة ودرجة استقلالها عن مؤسسات أخرى، وهذه الأنواع هي:

ـ **مؤسسات مستقلة:**

مؤسسات التعلم عن بعد والتعليم المفتوح المستقلة التي تتخذ بنفسها القرارات حول طبيعة برامجها ومناهجها وقوانينها الأكاديمية والإدارية ضمن ما تسمح به السلطات التربوية الوطنية. أي إن هذه المؤسسات لا تقدم إلا برامج التعليم عن بعد ونشاطاته، والتعليم المفتوح وتوفر مستلزماته. وقد تكون هذه المؤسسات حكومية أو خاصة أو تتبع منظمة أو رابطة أو جمعية، ولكن ما يميزها هو أنها تتعامل بشكل شمولي بهذا النظام التربوي الخاص فقط.

وحيث إن هذه المؤسسات تعمل بشكل كامل خارج النظام التقليدي فإن لها فرقًا (طواقم) خاصة لإعداد المواد التعليمية اللازمة، وتتعاقد مع مشرفين أكاديميين متفرغين وغير متفرغين.

ومن الأمثلة على هذه المؤسسات الجامعة البريطانية المفتوحة، والجامعة الإسبانية الوطنية للتعليم عن بعد، وجامعة القدس المفتوحة.

> مع أن الاختلاف سيستمر بين الجامعات المفتوحة والتقليدية من حيث الفلسفة والممارسات التربوية، إلا أنها ستضطر إلى التقارب وصولا إلى نوعية جيدة من التربية

ـ **مؤسسات غير مستقلة:**

هناك مؤسسات للتعليم عن بعد والتعليم المفتوح تتبع جامعات تقليدية وتعلم جزءاً من مناهج الجامعة الأم، ولكن بأسلوب التعليم عن بعد والتعليم المفتوح، أي إن الجامعة الأم التقليدية تعلم عدداً من برامجها بأسلوبين، أولهما: الأسلوب الحضوري التقليدي (وجهاً لوجه)، وثانيهما: أسلوب التعليم عن بعد والتعليم المفتوح. ويقوم مدرسو الجامعة الأم أنفسهم بإعداد المناهج لتلائم التعليم عن بعد، كما يقومون بتعليمها الملتحقين بقسم (أو وحدة أو مؤسسة) التعليم عن بعد. وطلبة هذا القسم يخضعون للامتحانات نفسها التي يخضع لها الطلبة النظاميون، وفي الأوقات نفسها، وتسمى الجامعات التقليدية التي تطبق هذا النمط من التنظيم بجامعات النمط المزدوج Dual-mode. عموماً إن هذا النوع من المؤسسات، يضم طلبة يدرسون تقليدياً، وطلبة يدرسون عن بعد؛ ولكنه يرى ضرورة البقاء ضمن الخط العام التقليدي للتربية الجامعية. ومثال هذا النوع من المؤسسات جامعة نيوإنجلند الأسترالية في أرميديل، وكلية التعليم المفتوح في جامعة أناضولو التركية.

ـ **شبكات من المؤسسات المتعاونة:**

هناك مؤسسات تعمل على شكل شبكات تكمل وتدعم ما تقوم به الجامعات المفتوحة، وتقوم هذه المؤسسات أيضاً بتجميع الخبرات العالمية في التعليم المفتوح، كما تقوم بعمل مقررات ومواد تعليمية تزود بها الجامعات والمؤسسات العاملة في هذا المجال. ومن الأمثلة عليها شبكة المعرفة الكندية في كولومبيا البريطانية في كندا، ومؤسسة DIFF في جامعة توبنجن في ألمانيا، ويجب أيضاً ذكر ما تقوم به كلية الدراسات الخارجية الوطنية National Extension College في كمبردج في إنجلترا من تعليم يسمى Flexistudy، وهي مختصرة من Flexible Study أي الدراسة المرنة. ويعني هذا المصطلح ترتيبات مرنة للتعلم الفردي القائم على مواد تعليمية معدة مسبقاً فقط، ويعني أيضاً بتوفير ترتيب لقاءات بمدرسين آخرين، واستعمال معينات ووسائط تعليمية أخرى.

الخصائص التربوية للجامعات المفتوحة

إذا رأينا الجامعات المفتوحة تطبق أساليب التربية عن بعد على طلبة التحقوا بها وفق سياسة التعلم المفتوح أمكننا القول: إن العمليات التربوية للجامعات المفتوحة تتمتع بالخواص التالية:

ـ تُعدّ المواد التعليمية، في أغلب الأحوال حتى الآن، على شكل مقررات مطبوعة، معروضة بأسلوب التعلم الذاتي الذي يسهل على الدارس التفاعل مع هذه المادة عندما يقرؤها وحده. وهذا الأسلوب له مقومات وعناصر معروفة تصاغ وفقها معظم المقررات المطلوبة في الجامعات المفتوحة.

ـ يوجد تفاعل بين الدارس والمعلم (المشرف الأكاديمي) عن طريق وسائط، منها المراسلة والهاتف والناسوخ (الفاكس) والبريد الإلكتروني والمؤتمرات التي تعقد عن طريق الفيديو أو الحاسوب.

ويلاحظ أن التفاعل قد يكون فردياً (أي معلم ـ دارس) أو جماعياً (معلم ـ مجموعة دارسين، أو (معلمون ـ مجموعة دارسين).

ـ في معظم الجامعات المفتوحة تعقد لقاءات صفّيّة (وجهاً لوجه) بين المعلم والدارسين، ولكنها تكون قليلة العدد ومحددة الأغراض. وتعقد مثل هذه اللقاءات عادة في مراكز دراسية موزعة في مناطق عمل الجامعة. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الجامعات المفتوحة تمتنع كلياً عن عقد لقاءات وجهاً لوجه بين المعلمين والدارسين.

ـ معظم الجامعات المفتوحة توفر دعماً غنياً ومنظماً لعملية تعليم الدارسين، وغالباً ما يتخذ هذا الدعم شكل:

ـ التوجيه والإرشاد.
ـ تزويد الدارسين بملحقات للمقررات الدراسية التي بين أيديهم.
ـ تزويد الدارسين بأشرطة فيديو تكمل وتغني المقررات الدراسية التي يسجلون لدراستها.
ـ بث تلفازي موجه لإغناء مقررات مختارة يدرسها الدارسون من مختلف المستويات.
ـ بث إذاعي موجه لإغناء المقررات الدراسية.

تقنيات الاتصال بجميع أشكالها في خدمة التعليم المفتوح

ـ بث لمحاضرات أو مناقشات أو عروض بوساطة الأقمار الصناعية.
ـ تزويد الدارس بتمارين ليقوم بحلها وإرسالها إلى المعلم (المشرف الأكاديمي) ليقوم بتدقيقها والتعليق عليها وإعادتها إلى الدارس المتعلم.

علاقة الجامعات المفتوحة بالجامعات التقليدية

لا يمكن للمرء أن يتجنب الحديث عن العلاقة بين الجامعات المفتوحة والجامعات التقليدية. فهذا الحديث يفرض نفسه بسبب تزايد أعداد الجامعات المفتوحة في العالم، ووقوفها شامخة إلى جانب الجامعات التقليدية؛ مما يدفع إلى إطلاق أوصاف على

واقع هذه العلاقة والتنبؤ بطبيعة العلاقة في المستقبل. فيحلو مثلا لكثيرين أن يقولوا: «الجامعات المفتوحة تنافس الجامعات التقليدية»، و«الجامعات المفتوحة تكمل الجامعات التقليدية»، و«لابد للجامعات المفتوحة والجامعات التقليدية أن تتقاربا خضوعاً لحاجات العصر، وخبرات التقانة (التكنولوجيا) وتطورات العلوم الإنسانية»، وغير ذلك.

والواقع إن الدارس لفلسفة الجامعات المفتوحة، وأسباب نشوئها، سيتوصل بسهولة إلى أن الجامعات المفتوحة التي تعدّ حاملة رسالة التعليم عن بعد، والتعلم المفتوح، لم تقم لتحارب الجامعات التقليدية، أو لتسير خلفها لتكمل نواقصها وتسد ثغراتها، وإنما قامت لتلبي الحاجات المتغيرة للمجتمعات المعاصرة والمجتمعات التي سيعيش فيها أبناؤنا. أي إنها قامت لتطبق فلسفة واستراتيجيات وطرقاً للتعليم والتعلم تبدو أكثر نجاعة في مواجهة تحديات العصر في تلك الفلسفات والاستراتيجيات وطرائق التدريس التي تتبعها الجامعات المقيمة. إنها ببساطة طريق آخر للتعليم والتعلم. وازدهار أو اضمحلال هذا النمط من الجامعات أو ذاك يعتمد بدرجة كبيرة على مقدرة كل منهما على تلبية حاجات العصر.

والمتتبع لواقع مؤسسات التعليم العالي على الساحة الدولية يلحظ بوضوح تزايد الاهتمام بمؤسسات التربية عن بعد، والتعليم المفتوح، وتزايد القناعة بأن التوجه سيستمر ويقوى في القرن الحادي والعشرين. ولكنه سيلحظ أيضاً أن الكثير من الجامعات التقليدية قد أخذت تستعمل التكنولوجيا الحديثة لنقل المعلومات التربوية وإحداث تواصل تفاعلي مع طلبتها أكثر مما كان يحدث في السابق، مطبقة بذلك قدراً من التعليم والتعلم عن بعد، مقتربة بذلك من طرائق التعليم والتعلم التي تمارس بكثرة في الجامعات المفتوحة. ومع أن الاختلاف مستمر بين الجامعات المفتوحة والتقليدية من حيث الفلسفة والممارسات التربوية، إلا أنها ستضطر إلى التقارب وصولاً إلى نوعية جيدة من التربية. فعلى الجامعات المفتوحة أن تحرص أكثر مما حصل حتى الآن على إيجاد سبل لتفاعل ثنائي الاتجاه بين المعلمين والطلبة، وبين الطلبة أنفسهم، مع استمرارها في نهج التربية عن بعد، ولا بد للجامعات التقليدية أن تعطي طلبتها مزيداً من الاعتماد على النفس في التعلم بأن تتبنى ما توفره التكنولوجيا المعاصرة المذهلة من سبل للتواصل بين المعلمين والطلبة، وبين الطلبة أنفسهم، دون أن تحتم عليهم الحضور الذاتي وجهاً لوجه داخل قاعة دراسية.

ستزداد ثقة الناس والمؤسسات والحكومات بنوعية التعليم والتعلم في الجامعات المفتوحة، وسيعظم احترامهم لخريجيها، وسيعترف المعنيون بشهادات هذه الجامعات دون تردد

أما بالنسبة إلى التعاون العلمي بين الجامعات المفتوحة والجامعات المقيمة فقد نسأل «هل يمكن أن يوجد تعاون إيجابي مستمر بين هذين النمطين من الجامعات؟» إن الإجابة عن هذا السؤال هي بالإيجاب. فجامعات التعلم عن بعد تحرص على الاستفادة من إيجابيات ومزايا الجامعات التقليدية، وتحرص على التعاون بين هذين النمطين من الجامعات. ويمكن إيجاز أشكال هذا التعاون بما يلي:

- تستعين الجامعات المفتوحة بالخبراء في الجامعات التقليدية في وضع الخطط الدراسية لبرامجها، وإعداد المواد العلمية لمقرراتها الدراسية، وتحكيم هذه المواد.
- تستعين الجامعات المفتوحة كثيراً بمدربي الجامعات التقليدية في الإشراف الأكاديمي على طلبتها وفي تقويمهم.
- تستعين الجامعات المفتوحة بالتسهيلات والمرافق الموجودة في الجامعات التقليدية مثل المختبرات أو المشاغل وقاعات النشاط، وأحياناً بالساحات الواسعة، حيث إن الجامعات المفتوحة لا تحوي في الغالب مثل هذه المرافق.
- تستفيد الجامعات التقليدية من المواد التعليمية المطبوعة والمرئية والمسموعة والحقائب المخبرية التي تعدها وتنتجها الجامعات المفتوحة.
- تستفيد الجامعات التقليدية من الخبرة التي تملكها الجامعات المفتوحة في التطبيق الواسع للتكنولوجيا في التعليم وفي خدمات دعم تعلم الطلبة.

مستقبل الجامعات المفتوحة

من المتوقع أن تشهد العقود الثلاثة القادمة زيادة كبيرة في إقامة جامعات ومؤسسات ومعاهد للتربية عن بعد والتعليم المفتوح في مختلف أنحاء العالم، وسيتدفق ملايين الراغبين في التعليم العالي على هذه الجامعات المفتوحة ليس لأنها جامعات الحظ الثاني Second Chance لمن فاتهم الحظ الأول في التعلم فقط، بل لأنها جامعات الطريق الثاني في الحصول على تعلم جامعي متميز في جودته ومخرجاته. وأغلب الظن، أن المستقبل سيحمل في طياته ما يلي بالنسبة إلى لتربية عن بعد والتعليم المفتوح:

- ترسيخ نظام التربية عن بعد والتعليم المفتوح بوصفه نظاماً بديلا لنظام التعليم التقليدي (المقيم) الذي له فلسفته وطرائقه وأساليبه، لا نظاماً يستعمل حيث لاتوجد مدارس أو جامعات تقليدية.
- ستقام في مختلف أنحاء العالم جامعات مفتوحة جديدة، وستظهر تطبيقات جديدة للمبادئ التي تقوم عليها هذه الجامعات. فعلى الساحة العربية وحدها على سبيل المثال هناك لأن مشروع لإقامة جامعة عربية مفتوحة، ومشاريع لإقامة جامعات مفتوحة في كل من العراق وسورية ولبنان واليمن مع حلول عام ٢٠٠١م.
- ستزداد ثقة الناس والمؤسسات والحكومات بنوعية التعليم والتعلم في الجامعات المفتوحة، وسيعظم احترامهم لخريجيها، وسيعترف المعنيون بشهادات هذه الجامعات دون تردد سواء من أجل التوظيف أم الالتحاق بالدراسات العليا ومراكز البحث.
- ستضطر الجامعات التقليدية (المقيمة) إلى زيادة نشاطاتها التي تعزز استقلالية الطالب في عملية تعلمه، واعتماده على نفسه، على أن الجامعات المفتوحة لن تنكر دور العناصر الاجتماعية في التعلم، ومن ثم لن تتخلى كلياً عن اللقاءات الفريدة والجماعية في أثناء التدريس.
- سيستمر ويتعاظم استعمال تكنولوجيا المعلومات، والاتصالات أساساً في عملية التعليم لاوسيطاً فقط. أي إن التكنولوجيا الحديثة ستكون جزءاً من البرامج والنشاطات التعليمية، وستؤدي أدواراً بارزة في بناء المفاهيم وإجراء التطبيقات وحل المسائل وصولاً إلى مصادر المعرفة. وستقترب الجامعات المفتوحة حتى تكون جامعات إلكترونية (جامعات افتراضية) Virtual Universities. ومن الأشياء الرائعة المتوقع أن توفر التكنولوجيا الحديثة سبلاً فعالة لإحداث تفاعل ثنائي بين المعلم وطلابه، هذا التفاعل الذي يعد، من ناحية تربوية واجتماعية، أمراً ضرورياً لإحداث الفهم، وإخراج المتعلم عن بعد من عزلته التي قد يشعر بها نتيجة لبعده عن معلمه وعن زملائه الطلبة.

سيستمر ويتعاظم استعمال تكنولوجيا المعلومات، والاتصالات أساساً في عملية التعليم لا وسيطاً فقط، لتصبح الجامعات المفتوحة جامعات إلكترونية

- بما أن الجامعات المفتوحة مؤسسات حديثة العهد نسبياً على الساحة التربوية، فإن مقدار البحث التربوي الذي تم حتى الآن حول ممارساتها وأساليبها قليل جداً. ولذا فمن المتوقع خلال العقود القادمة، تزايد مقدار البحوث التربوية المتعلقة بنظام التربية عن بعد والتعليم المفتوح، وسيشمل التنقيب بحث كل نقطة في هذا النظام، وخاصة تصميم التدريس والتفاعل الثنائي عن طريق الوسائط بين المشرف والطالب، وإمكانات تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وتقويم التعلم عن بعد، والكثير من القضايا التنظيمية والإدارية. وبالطبع سيخضع للدراسة والتجربة أيضاً كل ما يتمخض عن ذلك من مبادئ عامة نظريات مستقبلية.

المراجع

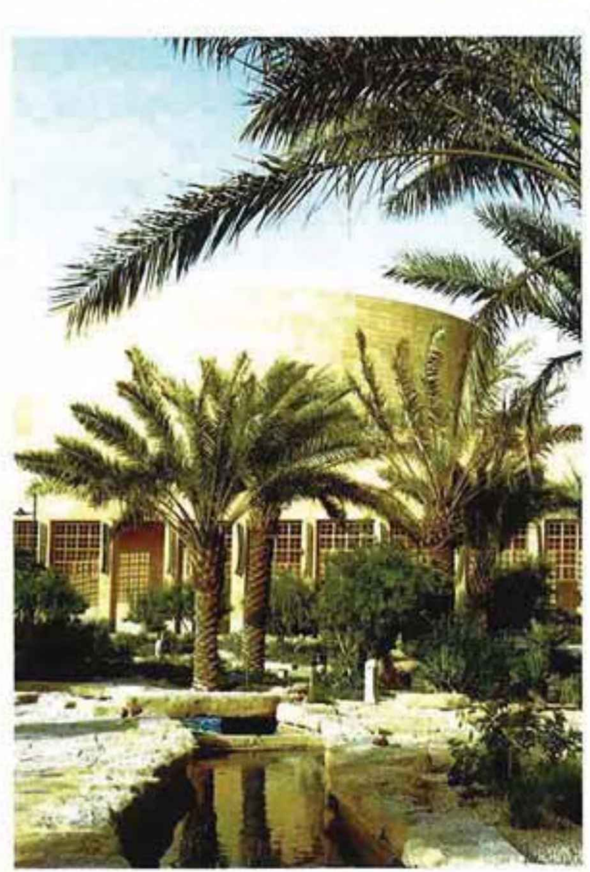
١. التعليم العالي عن بعد، إدارة التقنيات التربوية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧م.
٢. التعليم عن بعد، أعمال الندوة التي نظمها منتدى الفكر العربي بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، منتدى الفكر العربي، عمان - الأردن، ١٩٨٧م.
٣. ليلى العقاد، نحو جامعة عربية مفتوحة عبر الشبكة الفضائية العربية، مطبعة جامعة حلب، حلب، ١٩٨٠م.
٤. جامعة القدس المفتوحة ضرورة وطنية وقومية وافق جديد للتعليم العالي، جامعة القدس المفتوحة، عمان - الأردن، ١٩٨٧.
٥. مدخل إلى نظم التعليم المفتوح في التعليم العالي، جامعة القدس المفتوحة، عمان - الأردن، ١٩٨٦م.
٦. المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، تجارب دولية رائدة في مجال التعليم عن بعد، اجتماع خبراء حول إنتاج الوسائل التعليمية في مجال التكوين عن بعد، القاهرة، من ٢٦ إلى ٢٩ مايو/أيار ١٩٩٦م.
٧. د. يعقوب نشوان، التعليم المفتوح والتعليم عن بعد، دار الفرقان، الأردن.
٨. د. عبدالعزيز بن عبدالله السنبل، التعليم عن بعد.. مفهومه وأسسه وواقعه، مجلة تعليم الجماهير، العدد ٣٧، ١٩٩٢م.
٩. د. عبدالعزيز بن عبدالله السنبل، «ضبط الجودة النوعية في مؤسسات التعليم عن بعد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٠م.

مركز الملك عبدالعزيز التاريخي: مسرح العصور

نايف الظليط – قسم التحرير

تصوير : محمد كراكورت

في قلب مدينة الرياض النابض بالحياة، وفي منطقة المربع بالتحديد، يقع مركز الملك عبدالعزيز التاريخي الذي أصبح معلمًا من أهم معالم الرياض، التي تحتفل هذا العام باختيارها عاصمة للثقافة العربية، ويجسد هذا المركز مراحل مهمة من تاريخ الجزيرة العربية، كما لو كان كتابًا مفتوحًا، لكل سطر من سطوره دلالاته، ومذاقه الخاص، ورائحته المميزة، التي فيها كثير من عبق التاريخ، بأحداثه، وشخوصه، وآثاره. ولهذا من الصعب اختزال كل ما يتضمنه هذا المركز، من مقتنيات، وآثار في بضعة أسطر، ولكنها محاولة ترسم صورة لهذا المركز.



المتنزه العام

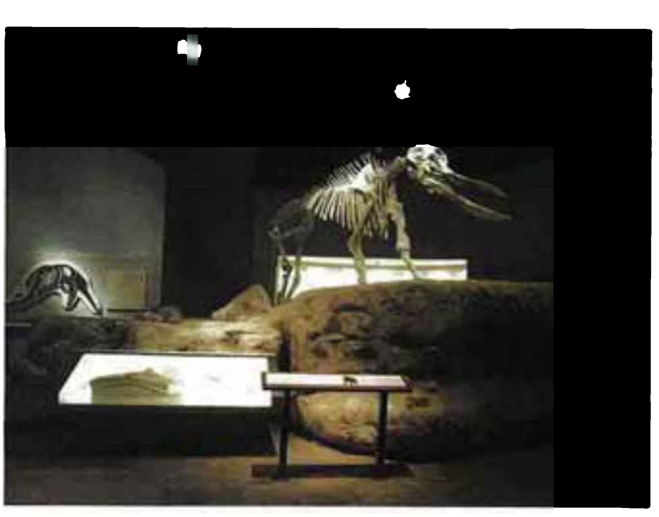
افتتح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يحفظه الله هذا المشروع الحضاري في شوال سنة ١٤١٩هـ، وذلك تزامنًا مع الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز رئيس اللجنة العليا للاحتفال بهذه المناسبة، قد وضع حجر الأساس لهذا المشروع الذي بلغت تكلفته ٦٨٠ مليون ريال في الرابع عشر من محرم سنة١٤١٨هـ.

ويضم المركز عددًا من المنشآت التي تؤدي أغراضًا مختلفة، فهناك المنشآت الثقافية التي تتمثل في المتحف الوطني، ودارة الملك عبدالعزيز، ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة، وقاعة المحاضرات، كما


صورة خارجية للمتحف الوطني

كما يتضمن المركز عدداً من المنشآت التاريخية التي تتمثل في قصر المربع، ومجموعة من المباني التراثية التي كانت جزءاً من مجمع قصور المربع. ويشتمل - كذلك - على المرافق العامة التي يأتي في مقدمتها جامع الملك عبدالعزيز، وشبكة حديثة من الطرق والمواقف المتعددة، والممرات المرصوفة والمطاعم التي تلبي احتياجات الزوار والعاملين فيه.


حيوانات منقرضة عاشت في الجزيرة العربية

وتمثل الحدائق والمسطحات الخضراء، بيئة أساسية في المركز فهي تساهم في تنقية الهواء، وتلطيف الجو، وتوفير مساحة خضراء وسط المدينة.

فهناك خمس حدائق مسورة وواحدة مفتوحة تبلغ مساحتها ما بين عشرين إلى ثلاثين ألف متر مربع. وهي تشكل الجزء الأكبر من مساحة المركز. وقد روعي في تصميمها أن تكون مختلفة التضاريس وقريبة من البيئة الطبيعية لمنطقة الرياض.

ووزعت المسطحات توزيعاً دقيقاً وبشكل هندسي أكسبها الجمال وروعة المنظر والتآلف مع المنشآت والممرات والصخور التي روعي فيها الانسجام مع البيئة المحيطة بالمركز.

وتخترق الحدائق شبكة من الممرات الممهدة التي تسمح بالانتقال عبر جنبات المركز وحدائقه الست. وعلى الجانب الثاني من الجهة الجنوبية هناك قاعة النخيل التي كانت بحق اختياراً مناسباً لما تعنيه النخلة من مثال في الصبر والعطاء، وتجسيد لسنوات العطاء والكفاح التي مرت بها المملكة عبر مئة عام. ففي هذه الواحة تنتصب مئة نخلة ترمز إلى مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية. وهناك الميدان الرئيس الذي تبلغ مساحته ١٢٠ ألف م٢ رصفت أرضيته بالجرانيت، وجهز بالإضاءة الكافية، ليكون مؤهلاً لاحتضان المناسبات، والأنشطة الثقافية، والاجتماعية وهو يوفر مكاناً ملائماً لإقامة الأسواق والمعارض المؤقتة. ويقع في الجزء الشمالي من الميدان الرئيس بئر قديمة أعيد ترميمها وضخ المياه منها عبر جدول مائي يجري باتجاه الشمال ماراً بالحديقة الوسطى لينتهي إلى بركة صناعية، كان يعتمد عليها سكان المربع في احتياجاتهم المائية. ويقع في الجزء الجنوبي الشرقي برج الرياض الذي شيد سنة ١٣٩١هـ، وأضيف مؤخراً للمشروع ليصبح أحد المعالم المهمة في المركز.

المتحف الوطني

المتحف الوطني من أهم المنشآت الثقافية في المركز، لإسهامه في إغناء مسيرة التعليم، والتوعية الثقافية، وتقوية أواصر الانتماء إلى حضارة عريقة ورسالة خالدة.

يقع المتحف في الجانب الشرقي من المركز، ويقوم على مساحة ١٧ ألف متر مربع، ويوفر بيئة تعليمية لشرائح مختلفة من المجتمع، ومستويات متعددة وقد تنوعت معروضاته لتشمل القطع الأثرية والوثائق والمخطوطات ولوحات العرض، ويتم فيه استخدام وسائط العرض وأفلام المحاكاة والمؤثرات الصوتية وقاعدة المعلومات.

ويتكون المتحف من ثماني قاعات عرض رئيسة مرئية ضمن تسلسل تاريخي يصل إليها الزائر بحسب تصميم معماري يراعى ترتيبها الزمني، كما يحتوي على صالة العروض الزائرة والمؤقتة، فضلاً عن المكاتب والمرافق الخدمية ومكتب لوكالة الآثار والمتاحف.

قاعة الإنسان والكون

بدأت جولتنا في المتحف بهذه القاعة التي هي الأولى في ترتيب القاعات الثماني، ومساحتها ١٥٠٠ متر مربع، وتقع في الطابق الأرضي، وتضم مقتنيات تدل على إبداع الخالق للكون الذي يضم من العجائب ما يجعل الزائر لهذه القاعة يقف على النظريات العلمية التي تحدثت عن نشأة الكون ونظام المجموعة الشمسية، والعوامل الطبيعية المؤثرة فيه، وتشكيل سطح الأرض الذي نعيش عليه، بالإضافة إلى الأحافير وعينات منها، تعود إلى ملايين السنين، فتوجد كتلة صخرية لنيزك وجد في الربع الخالي بالقرب من منطقة نجران، ويزن ٢٫٧٥ طن، وهو يفصح عن طبيعة الكواكب ومادتها. كما تضم



قطعة نيزك عند مدخل قاعات المتحف الوطني

القاعة هياكل لحيوانات منقرضة كالإكيثوسور والماستدون، وفيها ما يلقي الضوء على نظرية تكون النفط وكيفية تجمعه في مكامنه الأرضية بجانب قدم الآثار المكتشفة عن حضارة الإنسان في الجزيرة العربية في الأزمنة الغابرة. وفي نهاية القاعة رسوم وطرائق صناعتها، وأدوات العصور الحجرية الأخرى. وهناك مجسم لجبال طويق بداخله كهف صغير ومعروضات لأنواع من المعادن الفلزية واللافلزية. وتنتهي القاعة بمجسم لصخرة توضح كيف ترك الإنسان عليها آثاراً ليده تتحدث عن لغة



مئة نخلة ترمز لمرور مئة عام على توحيد المملكة

وصور توضح تعدد البيئات الطبيعية في الجزيرة العربية قديماً، إذ تؤكد الدراسات أن بيئة الجزيرة - في أزمنة غابرة - كانت أكثر برودة ورطوبة، مما ساعد على أن تعيش فيها حيوانات مختلفة، وتنمو بها نباتات متنوعة. وتتنوع معروضات القاعة لتشمل المجسمات واللوحات والنصوص والأفلام التي توضح حركة القارات، ونظرية الصفائح الكونية، والزلازل والبراكين وعوامل التعرية، والمعادن والصخور والأدوات الحجرية البدائية، الإشارة بين الناس في ذلك العصر.

قاعة الممالك العربية القديمة

عرفت الجزيرة العربية وما حولها في العصور القديمة حضارات مختلفة مثل:

- حضارة العبيد التي عاشت في الفترة من ٣٦٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م وموقعها في المنطقة الشرقية.
- حضارة دلمون وسادت في الفترة من ٢٤٠٠ - ١٧٠٠ ق.م. وسكنت في الجزر في المنطقة الشرقية في الجزيرة العربية (البحرين).

ـ حضارة عاد وثمود التي عاشت من ٤٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق.م وسكنت في شمال الجزيرة العربية.

ـ حضارة مدين التي سادت في الفترة من ١٧٠٠ ـ ١٠٥٠ ق.م بالقرب من سيناء.

وهناك حضارات ظهرت في العصور الوسطى هي مملكة ديدان التي ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد في المنطقة الشمالية من الجزيرة العربية، ومملكة لحيان التي ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد في بلاد الشام، ومملكة معين (القرن الرابع إلى الأول قبل الميلاد)، ومملكة الأنباط التي سادت بين القرنين الثالث والأول قبل الميلاد في الشمال الغربي للجزيرة العربية.

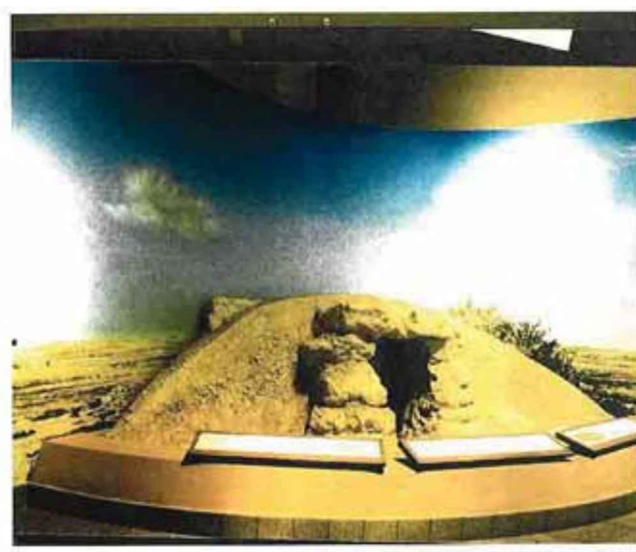
أما العصور المتأخرة فظهرت فيها حضارات مثل:

مملكة كندة التي ظهرت في القرن الرابع الميلادي في وسط الجزيرة العربية، ومملكة المناذرة والغساسنة اللتان ظهرتا ما بين ٤٠٠ و ٧٠٠ بعد الميلاد في منطقة العراق والشام.

تستعرض هذه القاعة الفترة الممتدة من الألف السادسة قبل الميلاد وما تلاها حتى القرن الرابع الميلادي، وتشبه الجولة في هذه القاعة قراءة للتاريخ، فيتعرف الزائر أحوال الأقوام العربية التي عاشت في الجزيرة العربية، وكيفية تطورها وبلوغها منزلة كبيرة في سلم الرقي الحضاري، إذ شادت المدن وطورت مختلف أنواع الفنون الجميلة. وتبدأ معروضات هذه الفترة بجناح خصص لفجر التاريخ قبل الدخول إلى القاعة الثانية التي خصصت لاستعراض أدوار الممالك العربية.

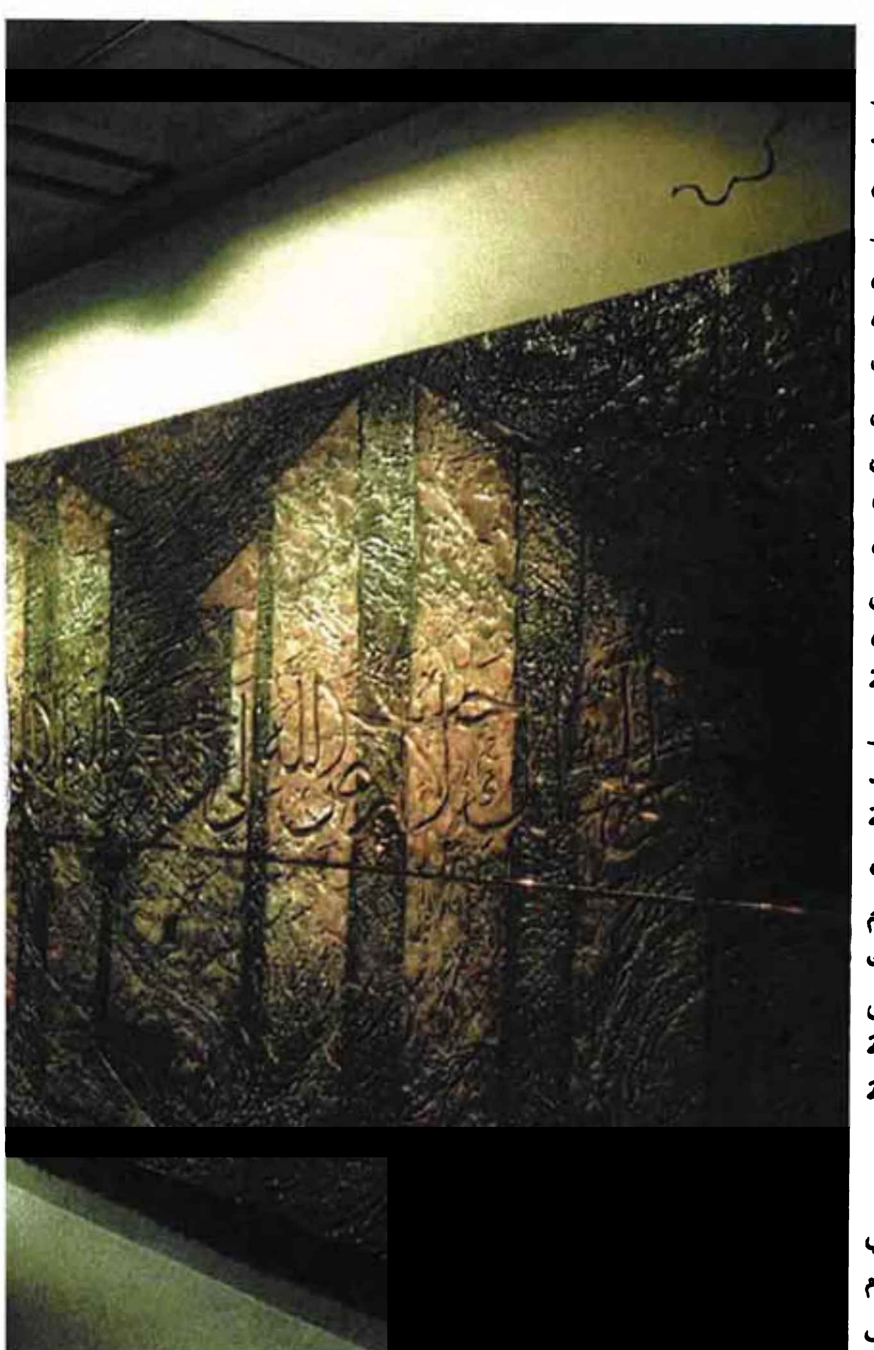
ففي الجناح الأول المخصص لفجر التاريخ، يشاهد الزائر آثار الحضارات التي عاشت في الجزيرة العربية، وبداية الكتابة، ومعالم لمدن أثرية كتيماء. ثم ظهور الكتابات الرمزية، والأبجديات الأولى، والكتابات البدائية في الجزيرة العربية كالآرامية والمؤابية. كذلك يشاهد الزائر آثاراً لحضارة دلمون التي عاشت في شرق الجزيرة العربية.

أما الجناح الثاني في القاعة، فعن الممالك العربية



مقابر دلمونية في قاعة الممالك العربية القديمة

الوسطى، والمتأخرة، ففيه آثار لأهم مدن تلك الممالك ومعالم الحضارة في تيماء ودومة الجندل، وطرق التجارة البحرية في منطقة الخليج. وهناك نماذج ومجسمات تعكس صوراً عن حضارة مدينة نجران ونشاطها التجاري والزراعي، والمعالم الحضارية في الفاو، وحضارة الأنباط في مدائن صالح، ومعالم الحضارة الديدانية، والحضارة اللحيانية. كذلك تعرض القاعة عصر الممالك العربية المتأخرة فيشاهد المرء ضريح عين الجواء، وكنز الملكة المجهولة في ثاج، وقد تميزت حضارة ثاج بسك بعض أقدم النقود في شبه الجزيرة العربية، ويضم الجناح أيضاً آثاراً لموقع أكرا. وآثار جزيرة تاروت الواقعة على مقربة من ساحل القطيف، وآثاراً لموقع عيون الأفلاج وطريف وزبيدة. وآثار تلك الممالك في نجران، ويوجد مجسم لسد بُني في هذه المنطقة عليه نقوش لأحرف بدائية، وهناك كذلك مجسم لطاحونة حبوب السمسم مصنوعة من الجرانيت، وفي الدور الثاني من هذه القاعة يطلع الزائر على نبذة من علم الآثار وأصوله العلمية.



قاعة العصر الجاهلي

تمثل هذه القاعة الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، فيعرف الزائر من خلالها أنماط الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية التي سادت في المنطقة، والتي تتميز بانتشار الحروب والنزاعات وغلبة حياة البداوة على المجتمع العربي، وتتنوع معروضات هذه القاعة لتشمل المواد الأثرية ومجسمات ووسائط العرض المتنوعة. ومن يتجول في هذه القاعة ير نماذج للحصون والأطام في المدينة، وأدوات أثرية في العصر الجاهلي، وبعض مظاهر الفنون والثقافة في هذا العصر، مثل الشعر والخطابة، كما يقف على معلومات عن هجرة القبائل العربية وتوزُّعها، ومعالم لأهم المدنِ في ذلك العصر، كمكة المكرمة، ومدينة جُرش الواقعة في عسير وحضارتها الزراعية، وآثار لحادثة الأخدود في مدينة نجران، ومدينة الخضرمة عاصمة كندة، ومدينة حجر اليمامة ونشاطها الزراعي، ومدينة دومة الجندل ولمحة عن عبادة الأصنام وحياة العرب الجاهلية، والتجارة في ذلك العصر، والخيل العربية وديانات العرب، وعن الحج في ذلك العصر. وتختتم القاعة بحادثة الفيل التي تدل على قداسة مكة المكرمة وكعبتها المشرفة.

قاعة البعثة النبوية

تلقي هذه القاعة الضوء على العهد المكي من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومولده في عام ٥٧١م، وتنتهي بهجرته إلى المدينة المنورة في السنة الثالثة عشرة للبعثة نحو ٦٢٥م، وتقع على مساحة ٣٥٠م٢. وتبدأ القاعة بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتليها لوحة جدارية ضخمة لجبل الرحمة، ويتوسط القاعة مصحف شريف، بالإضافة إلى لوحات خطية تتناول جوانب من حياته، كنسبه ونشأته، ورحلته الأولى إلى الشام، وزواجه من خديجة رضي الله عنها، ووصفه الحجر الأسود في مكانه، ونزول الوحي عليه في غار حراء، ثم الدعوة إلى الإسلام، وهجرة الحبشة وحصار الشِّعْب، وعام الحزن الذي توفي فيه عمه أبو طالب وزوجه


جدار زيتي يوضح الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة

خديجة، وحادثة الإسراء والمعراج وبيعة العقبة الأولى والثانية، ومحاولة قتل النبي صلى الله عليه وسلم. وفي نهاية القاعة يشاهد الزائر جسراً طويلاً ممتداً زُيِّن بالرسوم الزيتية التي ترمز إلى أحداث الهجرة الشريفة. ويستمع الزائر خلال مروره إلى أصوات توحي بأحداث الهجرة النبوية، وهي تبدأ بخروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ثم بقاؤه في غار حراء مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وسلوكهما طريقًا قرب الساحل، تليه محاولة سراقة بن مالك اللحاق بهما، ومرورهما بخيمة أم معبد، ثم وصولهما إلى قباء، وبناء مسجد قباء، وتنتهي بارتحالهما إلى المدينة المنورة واستقبال أهل المدينة لهما.

قاعة الإسلام والجزيرة العربية

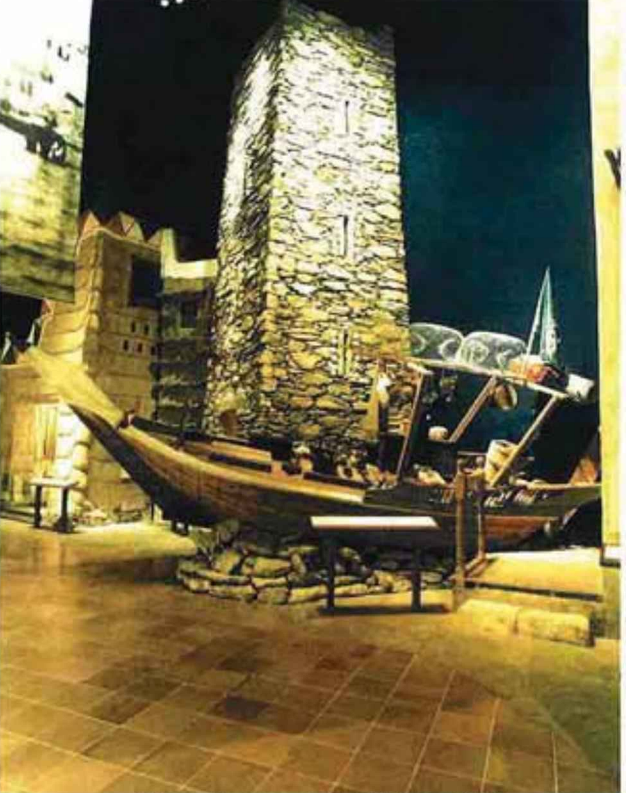
ترصد هذه القاعة الفترة التاريخية من مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وتنتهي بالفترة السابقة للدولة السعودية الأولى، وهي بذلك تشتمل على تأسيس مسجده ، وأحداث العهد المدني، إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، ثم يلي ذلك عهد الخلافة الراشدة، فالدولتان الأموية والعباسية، ثم عهدا المماليك والعثمانيين.

ويضم الجناح الأول مجسمًا للمسجد النبوي، وهناك أفلام تشبيهية (محاكاة) على مجسمات لغزوات الرسول الكبرى «بدر، وأحد، والخندق»، ونماذج من مراسلاته عليه السلام للملوك، والأيام الأخيرة من حياته صلى الله عليه وسلم، وخطبة الوداع، ثم وفاته عليه الصلاة والسلام. وأما الجناح الثاني في هذه القاعة فخصص لعهد الخلفاء الراشدين، وفيه عرض لكيفية جمع القرآن الكريم في عهد الخليفتين أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، ومعروضات لبعض العملات المتبادلة في عهد الخلافة الراشدة، وبعض مخطوطات القرآن الكريم المكتوبة بماء الذهب. وفي الجناح الخاص بعصر الدولة الأموية (٤٠ ـ ١٣٢هـ)، عرض لمجموعة مسكوكات نقدية وبعض ملامح النهضة العمرانية في ذلك الوقت، ومجسمات

لبعض المساجد، وتقنية استخراج المياه، ومعروضات لفنون السيراميك والزجاج في العصر الأموي، وما شهده هذا العصر من تقدم في علوم الطب والصيدلة والفلك. ويتعرف الزائر لهذا الجناح مدينة الجوزاء الأثرية، وأهم السدود في الجزيرة العربية في العصر الأموي. ومجسم لمسجد عمر بن الخطاب بدومة الجندل في الجوف، يبين ما شهده العصر الأموي من تطور في بناء المساجد، من استعمال الأقواس والأعمدة والزخرفة والفسيفساء والمحراب المجوف، وهناك جناح خصص للدولة العباسية (١٣٢ ـ ٦٦٥هـ) عرض فيه فنون العمارة من العصر العباسي، وتطور الطب والصيدلة، وكذلك تطور علم الفلك وأجهزته، وتطور الخط العربي، ومعالم الحضارة في قصور المدينة المنورة، ومعروضات لمدن عباسية أثرية مثل تيماء والفاو، ويقدم هذا الجناح لأهم علماء الكيمياء والفيزياء، والطب، والصيدلة، وعلماء الميكانيكا في ذلك العصر، ويلقي أضواء على مدينة الربذة الأثرية. وخصص جناحان آخران للدولتين المملوكية والعثمانية، عرضت فيهما مجسمات أثرية مثل قلعة الأزنم، وقلعة المويلح، وهما قلعتان وضعهما العثمانيون في المدينة المنورة لحماية الحجاج، وأبواب أثرية ومدافع حربية، ومصنوعات حديدية، ومخطوطات من العهد العثماني.

قاعتا الدولة السعودية الأولى والثانية

تتوزع هذه القاعة على جناحين، خصص الأول منهما للدولة السعودية الأولى التي ظهرت إثر ميثاق الدرعية بين الإمامين محمد بن عبدالوهاب، ومحمد بن سعود آل سعود، وتتنوع معروضات القاعة بين لوحات توضيحية ومجسمات وخرائط ومواد وقطع أثرية وأفلام تصويرية تناولت قيام الدولة على نصرة الإسلام، وأحوال الجزيرة في القرن الثاني عشر الميلادي ونشأة الدرعية، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وميثاق الدرعية بين الإمامين ومجسماً للدرعية عاصمة الدولة الأولى، ونبذة من أئمة الدولة السعودية الأولى، وازدهار العلوم الشرعية في مدينة الدرعية، ووصف المؤرخين للدرعية في أوج عهدها وازدهارها، وخرائط عن توسع الدولة في عهدي الإمامين عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وسعود الكبير، وعن قوات الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام عبدالله بن سعود، وخرائط عن حملة إبراهيم باشا للدرعية. إلا أن أهم ما يوضح تلك الفترة هو فيلم عن حصار الدرعية وتدميرها على يد إبراهيم باشا. أما الجناح الثاني من القاعة فخصص للدولة السعودية الثانية، ويضم نسخاً من المصحف الشريف، وسيوفاً، ونبذة من حياة الإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية، ومجسماً للرياض عاصمة الدولة في ذلك الوقت، وسيرة الإمام فيصل بن تركي وعودته إلى الحكم، ومعروضات لبوابة قديمة

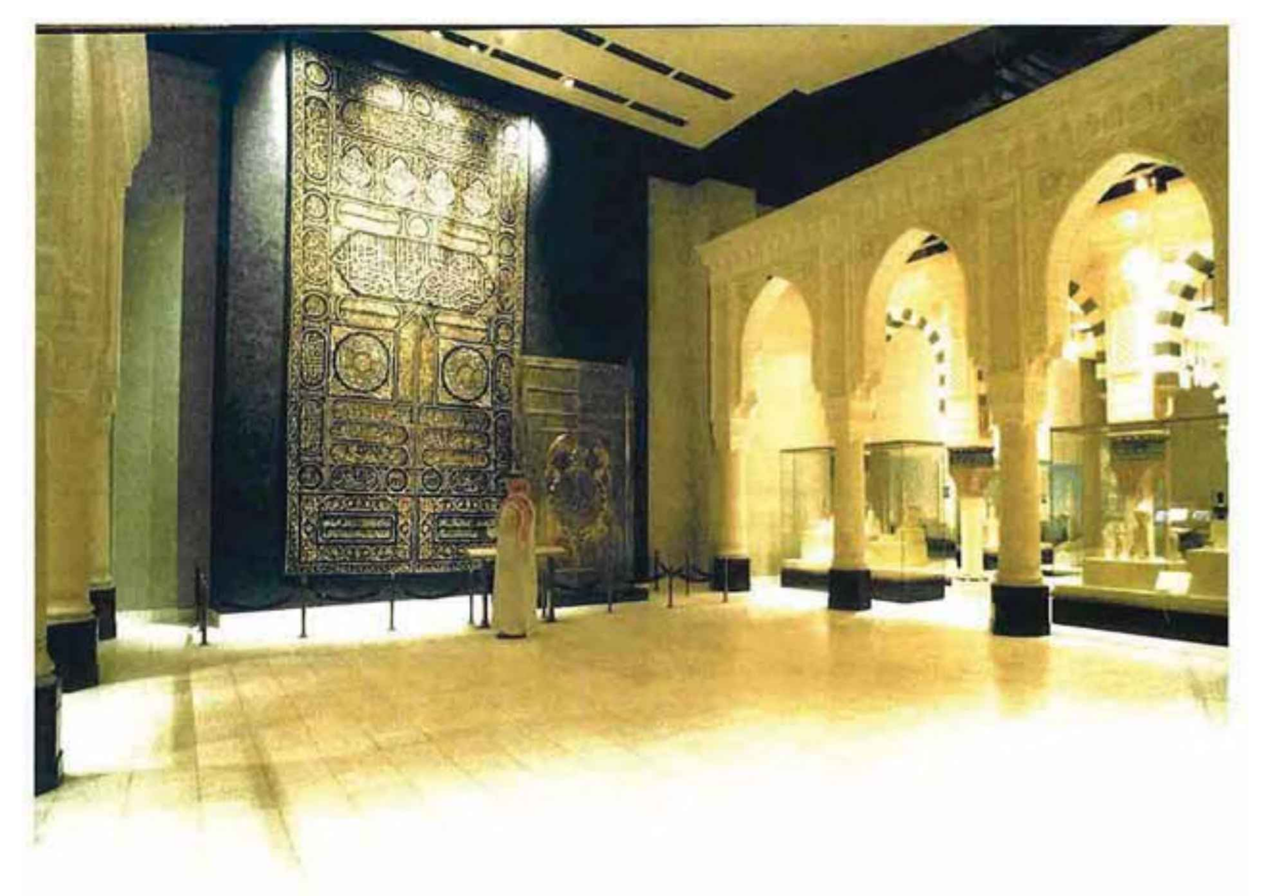


المنطقة الشرقية (قاعة توحيد الجزيرة العربية)

للرياض وأبواب أخرى تعود إلى الفترة نفسها. ويضم الجناح صوراً ووثائق عن الملك عبدالعزيز في صباه وهو بعيد عن وطنه في الكويت.

قاعة توحيد الجزيرة العربية

تحكي هذه القاعة قصة استرداد مدينة الرياض على يد الملك عبدالعزيز، والمراحل التي مرت بها باسم الملك عبدالعزيز، ومجسمات لبعض مناطق المملكة، وصور تذكارية. ويدور كل ما في هذه القاعة حول استرداد مدينة الرياض سنة ١٣١٩هـ، وتوحيد الجزيرة العربية، بالإضافة إلى أهم المعارك الحاسمة في توحيد نجد، ونبذة من سكانها، ومعارك توحيد القصيم، ونظام توطين سكان البادية في القرى، واستعادة الأحساء، ونبذة من سكان الحجاز



صورة لبوابة الكعبة في قاعة الحرمين الشريفين

الدولة بعد ذلك، ويوجد في وسطها قاعة لعرض الأفلام الوثائقية، تتنوع معروضاتها القاعة، لتشمل المواد والقطع الأثرية ومجسمات ولوحات توضيحية وأفلاماً وثائقية، ومن أهمها مجسم لبوابة قلعة المصمك عند المدخل، ولوحات جدارية تشرح دستور المملكة وخيمة عربية تضم مقتنيات الرجل والمرأة في البادية. وهناك معروضات لمجموعة من الأسلحة بعضها مسمى والمنطقة الشرقية وغيرها، واستعادة قلعة الهفوف، وتوحيد حائل وعسير والجوف، وجهود الملك عبدالعزيز في تنظيم الدولة وتطويرها حتى تكللت تلك الجهود بقيام المملكة العربية السعودية. وهناك فيلم وثائقي عن اكتشاف النفط الذي مثل نقطة تحول كبرى في تاريخ الجزيرة العربية، بل المنطقة العربية والعالم بأسره.



قصر المربع

قاعة الحج والحرمين الشريفين

خصصت هذه القاعة، وهي الثامنة والأخيرة، التي تبلغ مساحتها ٨٠٠م٢، لتتناول تاريخ الحج والحرمين الشريفين، ويشاهد الزائر في هذه القاعة مجسماً للأماكن المقدسة، ويقدم له شرح للمناسك، ومعلومات عن طريق الحج الشامي، وطريق الحج العراقي «درب زبيدة» وطريق الحج المصري والموانئ، وطرق الحجاج البحرية، وطريق الحج اليمني، وطريق حجاج الأحساء واليمامة، والمواقيت المكانية. كما تقدم له نبذة من تاريخ مكة المكرمة والكعبة منذ تأسيسهما، ومراحل عمارة الحرمين الشريفين، ورحلات الحج المبكرة والمتأخرة. وأهم التوسعات في عهد الملك عبدالعزيز، وهي التوسعة السعودية الأولى، ونبذة من تاريخ المدينة والحرم النبوي الشريف. وتتضمن القاعة صورة جدارية لبئر زمزم، ومجسماً لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولوحات ومعروضات ومقتنيات تمثل الحج عبر القرون.

قصر المربع

يعد هذا المبنى من أهم العناصر التاريخية الحديثة الموجودة في المركز، وذلك لكونه الديوان الذي كان يدير منه الملك عبدالعزيز أمور الدولة. وترجع نشأة هذا القصر إلى حركة العمران التي صاحبت تحقيق الاستقرار، والبدء في تكوين الدولة، فكانت هذه الحركة أكبر من أن تستوعبها أسوار الرياض، مما حدا بالملك عبدالعزيز رحمه الله، في أواخر سنة ١٣٥٥هـ إلى التوجيه بالشروع في بناء مجمع من القصور ضمن سور واحد خارج أسوار مدينة الرياض سميت بقصور المربع، وكان أول ما شيد خارج سور الرياض القديم قصر للأمير محمد بن عبدالرحمن في «عتيقة»، وكذلك قصر الشمسية للأمير سعود الكبير، وهذا الموقع الذي أقيم عليه قصر المربع يعرف بمربع آل سفيان وهي أرض خصبة مستوية تبعد عن مدينة الرياض القديمة - آنذاك - قرابة كيلو مترين.

وجاء نمط بناء القصر متوافقاً مع نمط البناء الشائع في المنطقة في تلك الفترة. ويتكون القصر من طابقين بنيا على الطريقة التقليدية، حيث يوجد في وسط القصر فناء تتوسطه شجرة نخيل كبيرة، وهذا الفناء يفتح على جميع غرف القصر الذي بني بالمواد المحلية، إذ إن جدرانه من اللَّبِنْ «طين مخلوط بالقش ومجفف بأشعة الشمس»، وبني القصر على شكل مربع، يتكون من طابقين، واستخدمت الأحجار في بناء الأعمدة الكاملة للأسقف في المجالس والممرات الكبيرة والممرات المطلة على الفناء، واستخدم خشب الأثل في سقف القصر، وفي صناعة الأبواب والنوافذ، وتتكون الأعمدة من الأحجار الدائرية المصممة والمثبتة بالجص(الجبس)، يعلوها تاج مربع ترتكز عليه



المجلس السياسي في قصر المربع

جذوع الأشجار المستخدمة في السقف. وزيّنت التشكيلات الثلاثة البارزة جدران سترة السطح، فضلاً عن فائدتها للتخفيف من أثر الأمطار على الجدران الطينية.

ويتضمن الطابق الأرضي غرف الحرس والخويا ومخازن القصر. أما الطابق الأول ففيه مجموعة من الغرف، أبرزها مجلس الملك، ومكاتب الشؤون السياسية، والاتصالات، والشؤون الخاصة والضيافة.

وزود القصر بثلاثة جسور رئيسة، وهي ممرات آمنة، حملت على أعمدة حجرية، وسقفت بالأثل، ولها نوافذ للإضاءة والتهوية، وقد ربطت الجدران بالقصور السكنية، والمسجد، حيث كان الجسر الأول يصل من الجهة الغربية القصر بالديوان، أما الثاني فكان يصل القصر بالمسجد، أما الجسر الثالث الواقع في الجهة الشمالية للقصر، فيؤدي إلى القصر الشمالي الخاص بمبيت الملك.

المباني التراثية

وهي مبانٍ طينية، أعيد ترميمها والحفاظ عليها، وكانت جزءاً من مجمع قصور المربع، وقد اندثر معظم مكونات المجمع باستثناء قصر المّربع وبعض المباني السكنية، وأجزاء من السور، وللأهمية التاريخية لها قامت الهيئة العليا لتطوير منطقة الرياض بجهود كبيرة، للحفاظ على هذه المباني التراثية في الموقع، وفي مقدمتها قصر المربع، وأصلحت الأجزاء المتداعية منه بالمواد والطرائق التقليدية التي أنشئ بها، وأعيد تأسيسه كما كان عليه في أواخر عهد الملك عبدالعزيز، ورفعت أجزاء السور القديم، وأحد الأبراج على المنهج نفسه، وتم التعامل مع الجامع بما يحافظ على سمعته المعمارية

القائمة، ويضفي لمسات تربطه بالمنشآت المحيطة به في المركـز، وتتكون من السـور والمبنى الشـمـالي والمبنى الحـجري. والسور الذي تداعت أجزاء منه،



دارة الملك عبدالعزيز من الخارج

و أعيد ترميم الجزء المتبقي للحفاظ عليه من الاندثار، إذ يمتاز بسماكة جدرانه، ويصل ارتفاعه إلى سبعة أمتار، ويوجد في موقع السور أحد أبراجه الستة عشر، ويصل ارتفاعه إلى أربعة عشر متراً بينما تصل مساحة قاعدته إلى متر مربع وقد أبقي على السور ليكون معلماً يذكر بالماضي. ويوجد هناك المبنى الشمالي، وهو أحد القصور السابقة وقد رمم وأزيلت أجزاء من حوائطه، وأبقيت أساسات الحوائط، وهناك المبنى الحجري الذي يختلف عن مجمع قصور المربع، لأن بناءه من الحجر بدلاً من الطين، وهو يتكون من دورين بني وسط قصر الملك عبدالعزيز.

دارة الملك عبدالعزيز

تعني كلمة دارة بالعربية أرضاً واسعةً بين الجبال، أو ما أحاط بالشيء كالدائرة.

ودارة الملك عبدالعزيز هيئة علمية مستقلة، أسست، بمرسوم ملكي سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م تخليداً لذكرى الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - يرحمه لله -، ويرأس مجلس إدارتها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض.

تقع الدارة في الجزء الغربي من مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، وتبلغ مساحة مبانيها ١١٧٠٠ متر مربع.

وكانت الدارة تقع خارج مركز الملك عبدالعزيز

التاريخي، وتم نقلها لتصبح جزءاً من المنشآت الثقافية في المركز. وهي تهدف إلى خدمة تاريخ المملكة العربية السعودية، وجغرافيتها، وآدابها: الفكرية والعمرانية خاصة، والجزيرة وبلاد العرب والإسلام عامة، بالإضافة إلى منح جائزة سنوية «باسم الملك عبدالعزيز»، وإعداد البحوث والدراسات والمحاضرات والندوات وخدمة الباحثين والباحثات في مجال اختصاصات الدارة. وقد نفذت الدارة عدداً من المشروعات العلمية منها «المشروع الوطني لتوثيق تاريخ المملكة»، و«مشروع أطلس لتاريخ المملكة»، وموسوعة «أعلام المملكة» إلى جانب مركز الملك عبدالعزيز للعلوم والوثائق الذي يضم مجموعة نادرة من الوثائق التاريخية. وبلغت إصدارات الدارة حتى الآن ٤١ كتاباً عن تاريخ المملكة. كما تصدر عنها مجلة الدارة التي صدر العدد الأول منها عام ١٣٩٧هـ، وهي مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات العلمية المتعلقة بتراث المملكة وتاريخها وجغرافيتها، وعن تراث الجزيرة العربية و العالم الإسلامي.

وتتبع الدارة الأقسام الآتية:

- مركز الوثائق والمخطوطات:

يضم هذا المركز أكثر من مليوني وثيقة تاريخية تشمل مراسلات تاريخية، وصكوكاً وملكيات وخطابات رسمية، وقرارات وتقارير، عربية وألمانية وأمريكية وبريطانية وعثمانية وهولندية وإيطالية وروسية، كما يضم المركز مخطوطات نادرة يصل عددها إلى ١٦٠٠ مخطوطة نادرة عن تاريخ المملكة. كذلك تضم الدارة مكتبة تحتوي على مركز متخصص في المعلومات التاريخية، ويضم أوعية المعلومات من كتب ومجلات وبحوث وصحف ووسائل علمية، وحفاظاً على مصادر تاريخ المملكة الشفوي تم إنشاء «مركز التاريخ الشفوي».

- مركز المعلومات الجغرافية:

الهدف منه إعداد أطلس تاريخي للمملكة العربية العربية السعودية تدون فيه الأحداث الأساسية التي


من مقتنيات القاعة التذكارية


جانب من القاعة التذكارية


الصور الفوتغرافية في القاعة التذكارية

شهدتها المملكة منذ توحيدها حتى العصر الحاضر. وقد تم تجهيز المركز بأحدث الأجهزة ونظم المعلومات الجغرافية وأرشيف لخرائط المملكة التاريخية والفضائية.

ويتوقع أن ينتج المركز ثماني وعشرين خريطة تمثل الدولة السعودية الأولى وثماني عشرة خريطة تمثل الدولة السعودية الثانية وأربعين خريطة تمثل المملكة العربية السعودية بحسب التسلسل التاريخي.

- قاعة الملك عبدالعزيز التذكارية:

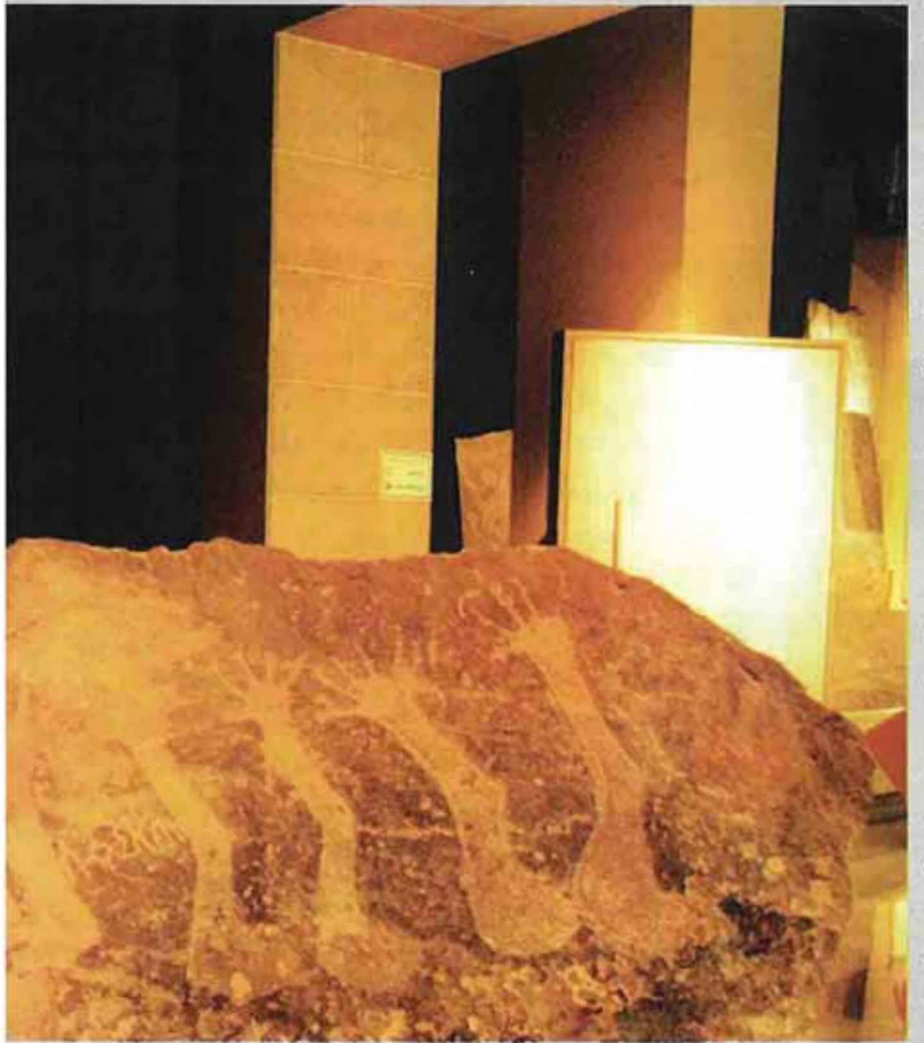
وتعد هذه القاعة أهم جزء في الدارة، وهي أقرب إلى متحف شخصي للملك عبدالعزيز إذ تضم رسائله وخطاباته، وبعض المقتنيات التاريخية، مثل الأسلحة التقليدية، كالبنادق والسيوف والرماح والخناجر وبعض العملات السعودية، والأختام، والساعات الخاصة بالملك، وتتضمن القاعة مجسماً لميثاق الدرعية. وفي الدور الثاني قاعة الصور الفوتوغرافية الخاصة بالملك التي التقطت خلال حياته ورحلاته واستقبالاته الشخصيات البارزة العالمية وصور لأشقائه وأبنائه وبعض أعلام الجزيرة العربية.

وفي الجهة الثانية من القاعة صالة لعرض السيارات التي كان يقتنيها الملك وأبرزها السيارة الرولزرويس المهداة من رئيس وزراء بريطانيا وينستون تشرشل.

كما تضم القاعة «أرشيف الملك عبدالعزيز للصحافة العربية والأجنبية» وهو رصد لكل ما كتب عن الملك في الصحف العربية والأجنبية. ولإغناء هذه القاعة التذكارية تقوم الدارة بإجراء مسح شامل للمصادر الوطنية، إذ يتم جمع الوثائق والمخطوطات وإجراء مقابلات شخصية مسجلة بالصوت والصورة مع شهود العيان والمعاصرين.

- إدارة البحوث والنشر:

وهذه الإدارة تتولى النشاط العلمي الذي يتضمن طباعة الدراسات والمؤلفات التاريخية والأدبية، وقامت بإنجاز عدد من المشروعات العلمية والتوثيقية والأعمال الموسوعية التي تخدم تاريخ المملكة، فمع اهتمام الدارة بالتاريخ الماضي لم تغفل استثمار تقنيات العصر بإدخال الحاسب الآلي لتقديم



الخدمات الفنية والمعلوماتية والأعمال المكتبية. وتضم الدارة قاعدة معلومات لخدمة الباحثين والباحثات على مستوى متقدم.

مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة

كان للملك عبدالعزيز كتب خاصة به وبعد وفاته جاء الاهتمام بهذه المكتبة للحفاظ عليها. كانت هذه

المكتبة في السابق في قصر المربع، ثم نقلها إلى جامعة الملك سعود لفهرستها، وتصنيفها، وتجليدها، ثم نقلت بعد ذلك إلى الدارة. وبلغ عددها ١٥٥١ مجلداً. وتضم المكتبة مختلف العلوم الشرعية، وكتب التراجم، والتاريخ الإسلامي والعام، واللغة العربية وآدابها.

جانب من قاعات المتحف الوطني

وتضم المكتبة الخاصة للملك عبدالعزيز مجموعة من المؤلفات والدوريات التي تم جمعها في حياته، كما تضم نوادر من المخطوطات القيمة التي ورثها عن آبائه، وما حصل عليها عن طريق الإهداء

وقد مرت المكتبة بأربع مراحل: جاءت المرحلة الأولى من خلال رصد محتوياتها، ودراسة أحوالها، وإصدار كتاب خاص بها، وجاءت المرحلة الثانية مكملة للأولى، فقد أعيد ترميم الكتب وتجليدها، وفحصها، ومراقبتها، وتعقيمها، وحفر الصفائح بالبصم الذهبي والخياطة الفنية اليدوية، وأخيراً تذهيب الأغلفة وتجليد الكتب.

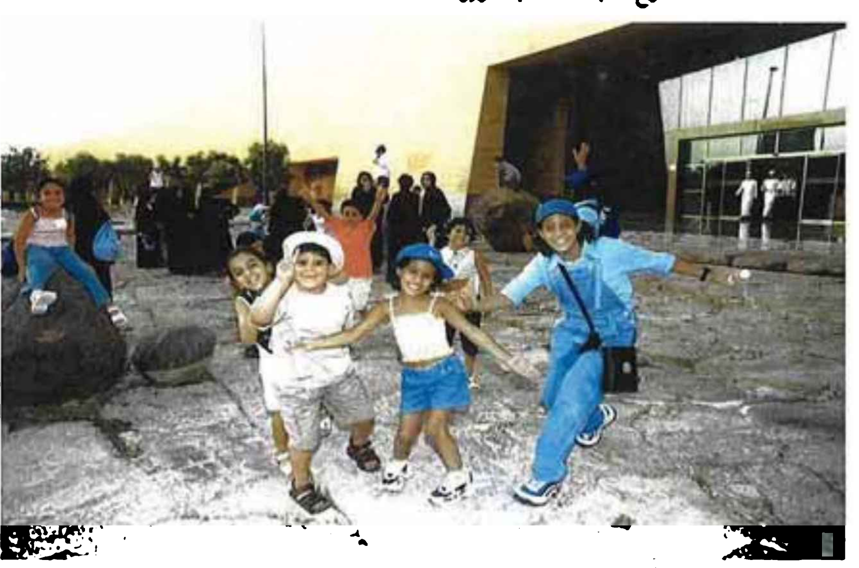
أما المرحلة الثالثة فقد خصص لها ركن خاص في الدارة باسم «مكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة»، مع تصميم خزانة خاصة بها للحفظ، وفي المرحلة الرابعة تم وضع بيانات الكتب في الحاسب الآلي لتصبح متاحة للباحثين بسهولة، كما تم تكليف المختصين في علوم المكتبات بإصدار فهرس تحليلي شامل لمحتويات المكتبة.

فرع مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

وفي الجهة الجنوبية من المركز، يقع فرع مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الذي افتتحه يوم ٧رمضان١٤٢٠هـ الموافق ١٥ديسمبر/ كانون الثاني ١٩٩٩م صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، وتقدر مساحة المكتبة بـ٢٣ ألف متر مربع، وتضم قسماً خاصاً بالرجال وآخر للنساء، والأطفال، وحدائق وأروقة للمرتادين، روعي في تصميمها النواحي التراثية، والمعمارية المتناسبة مع التصاميم في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي.

وتحتوي المكتبة على ما يقارب ٢٠٠ ألف مادة علمية، تشمل الكتب والمجلات الحديثةوالأوعية السمعية والبصرية والمخطوطات والكتب النادرة والصور، وتقتني المكتبة مجموعة من الوثائق النادرة عن الجزيرة العربية، وتضم ٥٠٠٠ صورة التقطها الرحالون والمبعوثون والقناصل السياسيون الذين زاروا المنطقة منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين، بالإضافة إلى الخرائط القديمة والنادرة التي تمثل مراحل استكشاف الجزيرة


فرع مكتبة الملك عبدالعزيز


أطفال في مدخل المتحف

العربية وتطور تكويناتها السياسية والجغرافية والتاريخية، ويبلغ عددها نحو ١٤٠٠٠ خريطة وتقتني المكتبة ٣٥٠٠ عملة نادرة، يعود تاريخها إلى العصور الإسلامية الأولى، وإلى الدولة السعودية في الوقت الحالي.

وللمكتبة عدد من الأنشطة الثقافية، كإصدار المطبوعات، والكتب التي تهتم بالجزيرة العربية.

ومن جهود المكتبة في اقتناء الكتب النادرة - بخاصة فيما يتعلق بتاريخ الملك عبدالعزيز يرحمه الله - حصولها على المجموعات التالية:

- كتب الرحالة والمستشرقين عن الجزيرة.
- مكتبة المستشرق الأمريكي جورج رونتر التي تضم كتباً ووثائق.
- مكتبة إمام جامعة باريس الشيخ حمزة أبو بكر.
- مكتبة الشيخ جمال الدين الفاسي وتشتمل على مخطوطات وكتب توضح دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.
- نشرات من هيلوكيوت البريطانية، وتعد بداية الرحلات الاستكشافية الأوربية إلى الشرق الأوسط.
- الكتب النادرة عن التراث العلمي الأندلسية.

واشتملت المكتبة على ١٦٠٠ كتاب في مجالات مختلفة.

وتقع بالقرب من المكتبة قاعة المحاضرات، وتنظم فيها النشاطات الثقافية المختلفة، وتتسع هذه القاعة لستمئة مقعد، منها مقاعد خاصة بالنساء، ولها مدخل خاص، وتبلغ مساحة مبانيها ٢٥٠٠م٢ مجهزة بوسائل العرض الحديثة، بالإضافة إلى وحدات الترجمة.

وهكذا تنتهي جولتنا السريعة في هذا المركز التاريخي الحضاري الذي يختزل قروناً من تاريخ الجزيرة العربية،لذا، فإن ما جاء في هذا الاستطلاع ليس إلا شذرات تمس الواقع، لأن من رأى ليس كمن سمع أو قرأ.



بنك الأراضي

محمد محمود السرياني
مكة المكرمة - السعودية

حينما تذكر كلمة مصرف أو بنك Bank ينصرف ذهن السامع إلى الأماكن التي تعنى بشؤون المال، حيث الإيداع والاقتراض والمضاربة والاستثمار، وغير ذلك من الأمور المالية التي تقوم بها بيوتات المال. وحتى (البنوك) التي يطلق عليها اسم «البنك العقاري» أو «بنك التنمية العقاري» تطلق على المؤسسات المالية التي تعنى بتسهيل بيع العقار وشرائه وامتلاكه واستثماره؛ ومهمتها مالية صرفة. أما مفهوم بنك الأراضي Land Bank فهو مفهوم حديث، وتعبير جديد، لم يألفه الناس بعد، وسيشهد مزيداً من الاهتمام في العقدين القادمين.

إن التوسع السريع الذي شهدته المدن خلال ربع القرن الماضي، أوجد مشكلات كثيرة جابهت المسؤولين المحليين، ومهندسي التخطيط الحضري. وعلى رأس هذه المشكلات يأتي توفير الأماكن المناسبة للنمو الحضري، والتحكم في التوسع السريع للمدن، والحفاظ على مصادر الأراضي لخدمات المستقبل، وتحسين الأوضاع الراهنة للمناطق التي تمت تنميتها، وتوجيه التنمية بصورة تضمن الاستخدام الأمثل للأراضي، والتحكم في أسعارها، ومنع المضاربات فيها.



اختيار الأماكن المناسبة للنمو الحضري مشكلة تواجه مخططي المدن

مسؤوليات بنك الأراضي

من هنا برزت الأفكار التي تنادي بضرورة وجود بنوك للأراضي في المدن تكون مسؤوليتها:

- تجميع أراضي القطاع العام وإدارتها.
- مد الجهات المعنية في القطاع العام بما تحتاج إليه من أراض لتنفيذ مشروعاته.
- الإشراف على سوق الأراضي وتجارته.

فمن المعلوم أن أراضي القطاع العام موزعة بين جهات متعددة. فهي إما أملاك عامة (ميري) وهي الأراضي الحكومية التي لم يتم توزيعها، وإما

أراضٍ موجودة في حيازة المؤسسات أو الوزارات أو البلديات، ويدخل في ذلك أراضي الأوقاف الخيرية أو الأراضي التي نزعت ملكيتها من القطاع الخاص لمصلحة القطاع العام.

إنّ أولى مهمات بنك الأراضي هي عمل قاعدة بيانات عن أنواع الأراضي كافة، ومساحاتها، ومواقعها، واستعمالاتها القائمة والمنتظرة. وأن يتم تخزين هذه المعلومات بصورة تجعل استرجاعها أمرًا سهلاً. وأن تكون هذه البيانات ميسرة لمختلف القطاعات، والأجهزة، والمؤسسات التي تحتاج إليها.

أما المهمة الثانية فهي قيام البنك بإدارة هذه الأراضي، والحفاظ عليها وتدخل مسؤوليته المباشرة في إدارة الأملاك العامة غير المملوكة لمؤسسات ومصالح الدولة المختلفة. أما الأراضي العامة المملوكة لمصلحة المؤسسات الحكومية والبلديات والوزارات فتكون المسؤولية فيها مشتركة ثنائية بين البنك وهذه المؤسسات.

والمهمة الثالثة التي يقوم بها بنك الأراضي هي الإشراف على سوق الأراضي وتجارته للحد من ارتفاع أسعارها نتيجة للمضاربة. وفي هذا المجال يعمد إلى السيطرة على الأسعار بالحد من ارتفاعها؛ إلا في الحدود المعقولة، كما قد يلجأ إلى تجميد الأسعار، وبالأخص في المناطق ذات الأولوية في التنمية العقارية.

وسائل بنك الأراضي

من الأمور التي يلجأ إليها البنك لتحقيق هذا الهدف:

ـ طرح مساحات من أراضي القطاع العام في السوق لحصول القطاع الخاص على ما يلزمه من الأراضي، وذلك بحسب البرامج الموضوعة لمراحل التعمير، وبعد التأكد من عدم الحاجة إلى هذه الأراضي لأعمال التنمية التي يقوم بها القطاع العام وفقًا للمخطط المعد لذلك.

ـ اتباع سياسة بيع الأراضي الحكومية، ومنحها ذوي الدخل المحدود على أن يكون البيع بأسعار مناسبة أو رمزية. ولعل هذا من أهم الأسباب التي تحمي الوطن من مضاربات الأراضي والارتفاع المستمر في أسعارها.

يقوم بنك الأراضي بعمل قاعدة بيانات عن الأراضي بجميع أنواعها وإدارتها والإشراف على تجارتها

ـ تنظيم السجل العقاري وتطويره بحيث يشمل المعاملات وحركة تداول الأراضي وأسعارها في المناطق المختلفة، ليكون ذلك دليلا على معرفة التداول والأسعار السائدة في المناطق والأوقات المختلفة ومعدلات ارتفاعها. وإنشاء سجل لقيد الأراضي الفضاء المملوكة للقطاع العام وتلك المملوكة للقطاع الخاص.

معاونة القطاع العام

أما المهمة الأخيرة التي يسهم فيها بنك الأراضي فهي معاونة القطاع العام في نشاطات التنمية العمرانية. فهناك بعض الوسائل التي تقوم بها بنوك الأراضي معاونَةً للقطاع العام في تنمية الأراضي، والتغلب على الصعاب التي تواجه المستثمرين، وتعوق تنمية الأراضي بسبب صغر الملكيات، أو عدم انتظام حدودها، أو سعيًا وراء الاستخدام الأمثل للأراضي، وفقًا لمخطط الاستخدام. ومن أهم هذه الوسائل:

ـ تجميع الملكيات الصغيرة، وضمها في قطعة واحدة كبيرة، يتم تخطيطها وتزويدها لمنشآت

الخدمات والمرافق العامة، ثم يعاد توزيعها على الملاك الأصليين بحسب نصيب كل منهم، مع مراعاة قيمة الأرض قبل التنمية وبعدها، ومراعاة ما يستقطع من الأرض للحدائق العامة وغيرها من الأراضي اللازمة للمنافع ومنشآت الخدمة العامة.

ـ إنشاء مؤسسات أو شركات مختلطة من القطاعين العام والخاص، تقوم بأعمال التنمية العمرانية، ترمي إلى تحقيق نوع من المنفعة المتبادلة. وفي هذا الإطار يمكن دمج أراضي القطاع العام مع أراضي القطاع الخاص بحيث تكون هناك شراكة بين القطاعين يحصل من خلالها القطاع الخاص على بعض الامتيازات التي تساهم في تشجيع التنمية الحضرية، كما تحقق الاستخدام الأمثل لأراضي القطاع العام.

ـ يقوم البنك بعد الحصول على إذنٍ من السلطات المختصة بتأجير الأراضي الزائدة عن الاحتياجات في الوقت الحاضر تأجيراً مؤقتاً يمكن أن يعود عليه ببعض الفوائد المادية التي تسهم في سد بعض الاحتياجات التي تتطلبها عمليات الإدارة والإشراف.

ـ يمكن التوسع في أعمال بنوك الأراضي، بحيث تطرق أبواب الاستثمار من خلال نشاطاتها واختصاصاتها. ويرى البعض أن بنوك الأراضي لديها الأرض التي يمكن أن تدخل بها شريكاً مع الممولين في القطاع الخاص، بحيث تتولى مشروعات الإسكان لذوي الدخل المحدود، والمتوسط، وتجني من ذلك أرباحاً تسهم في توسيع نشاطاتها وتخفف من أسعار المباني فيما لو تولاها القطاع الخاص لوحده؛ وكذلك تشارك مشاركة فعالة في التنمية العمرانية في المناطق التي توجد بها.

ـ من أجل هذا يرى علماء التخطيط الحضري، والإقليمي، أنه من المفضل أن تكون هذه البنوك على المستوى القومي بمعنى أن يكون هناك بنك مركزي، له فروع في كل مدينة، تتولى المهام التي تتعلق بشؤون تلك المدينة، وترتبط مع البنك المركزي الذي يتولى الإشراف على شؤون الأراضي للقطر كله.

الاستخدام الأمثل للأراضي يتطلب إنشاء مؤسسات أو شركات مختلطة من القطاعين العام والخاص لتقوم بأعمال التنمية العمرانية

المراجع

١ـ السرياني، محمد محمود، دراسة في مخططات الأراضي، منشورات نادي مكة المكرمة الثقافي الأدبي، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ.

٢ـ وزارة الشؤون البلدية والقروية، وكالة الوزارة لشؤون التخطيط:

ـ الرياض: المخطط الرئيسي التنفيذي، سياسة تطوير الأراضي، مشروع رقم (٢٠١) تقرير رقم (١٠).

ـ المدينة المنورة: المخطط الرئيسي التنفيذي، سياسة تنمية الأراضي، مشروع رقم (٢٠٢) تقرير رقم (٨).

ـ الدمام: المخططات التنفيذية: الرئيسية، دراسة سياسة تنمية الأراضي، مشروع رقم (٢٠٤) تقرير رقم (٨).

ـ الطائف: المخططات الرئيسية التنفيذية، دراسة سياسة تنمية الأراضي، مشروع رقم (٢٠٥) تقرير رقم (٨).

ـ مخطط التنمية الشامل لمنطقة مكة المكرمة، الأوضاع الراهنة، التقرير رقم (٢) جزء رقم (٥) المسودات الأولية.

3- Berry, B., "Commercial Structure and Commercial Blight" Research paper 85, Department of Geography, Chicago Press, 1963

4- Bourne, L., Internal Structure of the City, Oxford University Press, New Yourk, 1971. Brigham E. "The Determinats of the Residential Land Value" in Bourne L., Internal Structure of the city, Oxford University Press, New Yourk, 1971.

5- Downs, A., Urban problems and prospects:, Markham Publishing Company, Chicago, 1973.

6- Fagin, H. "Regulating the time of Urban Development: reprinted in Management and control Of Growth, Vol. 1, By the Urban land Institute, 1975.

تطور الشعر وعلم العروض في آسيا الوسطى

إيمينجان تالايوف
طشقند - أوزباكستان

من المعروف أن العروض ليس علماً لأشعار العرب فحسب، بل لأشعار الشعوب الكثيرة التي تقطن آسيا أيضاً. وهو مفتاح لأغوار شعرنا - نحن الأوزبكيين - منذ نشأة شعرنا المكتوب في القرن الحادي عشر حتى الآن(١). ومن هنا كان الاهتمام كبيراً عند أهل آسيا الوسطى بهذا العلم.

وتعود جذور هذا الاهتمام إلى ما قبل ذلك بقرنين، وهي تتعلق بشعرنا المكتوب في اللغة العربية الذي ظهر بعد برهة من الفتوحات الإسلامية للمنطقة. وكان هذا الحادث علامة على نشأة العلاقات الثقافية الأولى مع العرب، والشعوب الإسلامية الأخرى. فإذا أطلقنا النظر على هذه الفترة لاحظنا أن الفاتحين العرب عبروا نهر آمـيودريا العظيم الذي كان يعرف في ذلك الحين باسم «جيحون» واطلقوا اسم «ماوراء النهر» على أراضي هذه البلاد، وأقاموا فيها؛ وكان بينهم عساكر وفلاحون وبدو ومهنيون. وكان بينهم أيضاً شعراء وأدباء وعلماء. كل هؤلاء عاشوا على أرض ما وراء النهر، وشكلوا حياة جديدة لأنفسهم. وأقبلت شعوب هذه المنطقة على دراسة اللغة العربية، وأخذت تشارك العرب في الحالات المختلفة مثل اقتصاد البلاد وسياستها، كما أخذوا يشاركون ويساهمون مع العرب في الإدارة والثقافة. وكان وجود اللغات الكثيرة المختلفة عند شعوب هذه المنطقة يتعبهم ويصعب عليهم التعامل فيما بينهم، وأدى ظهور اللغة الجديدة القوية في الأفق إلى إجادتها سريعاً، ليست لكونها لغة الدين والإدارة فحسب، بل بوصفها لغة العلم والعلاقات الرسمية أيضاً، وحينما تعمقت إجادتهم هذه اللغة وأمعنوا في إتقانها أصبحت لغة الإبداع، وظهر الشعراء والأدباء المتمكنون منها.

الشعر الأوزبكي في اللغة العربية

سعد الشعب الأوزبكي بشعرائه عندما بدؤوا يكتبون القصائد العربية بمدح تلك الأطلال القديمة، وهذه الأحجار المسودة المحروقة برقة وذوق كما كان يفعل العرب، بل نافسوهم في هذه المهارة في بعض الأحيان.

ويؤرخ العلماء لنشأة الشعر العروضي في آسيا الوسطى بدءاً من ذلك الحين، وهذه التقاليد - نقصد تقاليد القصيدة - استمرت في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين وما بعدهما بكثير.

إن دراسة هذا الشعر دراسة عميقة علمية تعد واجبنا الأول بوصفه أول شعر كتابي مدون لدينا. والآن نشتغل به باستمرار، وهو يكتسب أهمية من وجه آخر أيضاً، وهو احتواؤه على معلومات تختص بمنطقتنا أدباً وتأريخاً ومكاناً، وطبيعة، ونواحي أخرى كثيرة(٢).

رسم متخيل لابن سينا

العلاقات حول طريق الحرير

تطورت العلاقات الثقافية في تلك الأوقات من خلال الطريق المعروف بطريق الحرير، وهذه العلاقات كانت متعددة الأطراف بين الشرق والغرب، وكانت العلاقات الأدبية في هذه الدائرة قوية جداً. وهذه العلاقات كانت في الحقيقة، سلسلة من حلقات ترتبط بها كل العلاقات الأخرى. وليس سراً القول: إن هذه العلاقات تأسست على المساجلات الشعرية التي قام بها الشعراء للشعوب المختلفة شرقاً وغرباً، بالمناظرة الشعرية، في العربية أو في لغاتهم.

وحسب المعلومات للعلامة المشهور أبي منصور الثعالبي (ت: ١٠٣٩م) عاش في بخارى وحدها في بداية الألف الثاني الميلادي سبعة وأربعون شاعراً كتبوا باللغة العربية(٣) ويشير هذا الرقم إلى مكانة بخارى في ثقافة ذلك الوقت ليس فيما وراء النهر فقط، بل في العالم. ومن ناحية أخرى كانت بخارى من المراكز السياسية المهمة للدولة الإسلامية على الحدود الشرقية. كان من هؤلاء الشعراء أبو أحمد الكاتب، وأبوعبدالله الزرير الأبوردي وأبوالقاسم إسماعيل

الشـحـري، وأبومنصـور البـوشنجي، وأبوالفـضل السكري المروزي..إلخ.

وهذه الأبيات من قصائد بعضهم على سبيل المثال:

قال أبو أحمد الكاتب (البسيط):

اختر لكأسك ندمانا تسر بـهم
أولا فزدهم عليها حلّة الكتب
هذا يفيدك علماً بالنجوم وذا
يأتيك بالخبر المستطرف العجب
وبين كتب إذا غابوا فأنت بها
في أنزه الروض بين العلم والأدب
فخير عمر الفتى عمر يعيش به
مقسم الحال بين الجد واللعب

وقال أبوالفضل السكري المروزي مترجماً من أمثال الفرس (الرجز):

من رام طمس الشمس جهلا أخطا
الشمس بالتطيين لا تغطى
أحسن ما في صفة الليل وجد
الليل حبلى ليس يدرى ما يلد
من مثل الفرس ذوي الإبجار
الثوب رهن في يد القصّار
إن البعير يبغض الخشاشا
لكنه في أنفه ما عاشا

والعلماء الذين عاشوا فيما بعد يشيرون إلى أن بلاد ما وراء النهر كانت مركزاً للشعر العربي بفضل قصائد أجدادنا الشعراء، وكانت العلاقات مع المناطق المركزية الإسلامية مستمرة.

علم العروض

كان أول من كتب في آسيا الوسطى في نظرية علم العروض أبوعبدالله محمد بن أحمد الكاتب الخوارزمي في كتاب «مفاتيح العلوم». وقد عاش أبو عبدالله الخوارزمي في عهد الملك نوح بن منصور (ت:٩٧٥م). وكانت رسالته موسوعة علمية، وقد خصص باباً منها لعلم العروض، وفسر فيه الأركان والبحور والتفاعيل والعلل والزحافات ..إلخ، وأوجزها في القسم النظري. ونشرت هذه الرسالة في عام ١٨٩٥م في ألمانيا. لغة الرسالة مختصرة ومركزة(٤). ووصف فيها الخوارزمي كل الفروع وبين التفاعيل والأوزان والقوالب.

وهناك رسالة أخرى أيضاً وهي للعالم أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ/١١٤٤م) وهي «القسطاس» المعروفة عالمياً وهذا التأليف أخلصه الزمخشري للعروض فقط، ونرى عند المؤرخين إشاراتهم الكثيرة إلى هذه الرسالة القيمة، التي تعد عندهم أفضل وأنفع رسالة في مجال العلم.

إن المؤلفات المخصصة للعروض كثيرة جداً، ومن بين المؤلفات المعتبرة منها: «رسالة صناعة شعر العرب» لأبي نصر الفارابي (ت: ٣٣٩هـ/٩٥٠م) والباب التاسع من قسم «المنطق» في كتاب «الشفاء» للعلامة الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا (ت: ٤٢٨هـ/١٠٣٧م) ورسالة أخرى له أيضاً وهي «الكتاب المجموع أو الحكمة العروضية».

أما أبوالريحان البيروني فله مقام خاص في علم العروض العربي، وقد كتب البيروني نفسه في رسالته «تاريخ الهند» أنه درس علم العروض في الموازنة بينه وبين «تشانده» أو علم الشعر عندهم. وهذا التدقيق له دراسة مقارنة هي الأولى من نوعها في العروض، وصل البيروني فيها إلى نتائج علمية هائلة.

نشأة علم العروض الأوزبكي

نرى أولى علامات الشعر العروضي الأوزبكي في نص الأغاني الموجودة في «ديوان اللغات التركية» لمحمود الكاشغري. أما القصيدة الكاملة ففي «قوتا دغو بيليك» ليوسف الخاص الحاجب و«هبة الحقائق» لأحمد اليوغناقي. أما الرسالات الخاصة بتقييد أوزان العروض التركية الأوزبكية فكتبها الشاعر العلامة عليشير النوائي (ت: ١٥٠١م) وهي «ميزان الأوزان». وهذه الرسالة كانت كافية في الشعر الأوزبكي العروضي الكتابي، وشملت كل القواعد العروضية والدوائر أيضاً. ويؤكد عليشير النوائي وجود ١٩ بحراً في شعرنا مقابل ١٦ بحراً في الأصل(٥) ويؤكد وجود ٧ دوائر بدلا من خمس دوائر في الأصل.

> أول من كتب في آسيا الوسطى في نظرية علم العروض أبوعبدالله محمد ابن أحمد الكاتب الخوارزمي في كتاب «مفاتيح العلوم»

وكتب الشاعر الأوزبكي المشهور زهير الدين محمد بابور رسالة مكملة في الشعر العروضي الأوزبكي. وهذه الرسالة تمثل التقدم في العلم!

وقد أثرت رسالتا عليشير النوائي وزهير الدين بابور في فن العروض الأوزبكي تأثيراً عميقاً، وكان لهما دور جديد في تطور نظرية الشعر العروضي في آسيا الوسطى. وساعدت هاتان الرسالتان الشعر الأوزبكي في الخلاص من التحديد الجغرافي، والخلاص من النظام القبلي، والانطلاق إلى النمو المستقبلي، وأصبح الشعر الأوزبكي بفضلهما معروفاً عالمياً.

المراجع والهوامش

١ـ عزت سلطان، مؤلفات، طشقند، ١٩٨٥م، ص٢٩٤
٢ـ عصمة عبدالله عبدالله، الناصر البخاري، طشقند، ١٩٦٩م، ص٧١.
٣ـ أبومنصور الثعالبي، يتيمة الدهر، طشقند، ١٩٧٦م، ص٧٠.
٤ـ مخلصة ضياء الدين، علم العروض في مفاتيح العلوم، طشقند، ، ١٩٩٥م.
٥ـ وثلاثة أخرى: الجديد والقريب والمشاكل.

متى وكيف يقتبس الشاعر من القرآن الكريم؟

مصطفى رجب
القاهرة - مصر

ربما يكون مدهشًا أن نفترض أن بعض الشعراء يسعون إلى الاقتباس دون وعي بسبب هذا السعي، وبتفسير أوضح لا يعرفون لماذا يقدمون على الاقتباس؟!! ليست هذه نظرة تشاؤمية، ولكنني أشك في أن بعض الشعراء - وأنا أتحدث عن الموجات الحداثية أو الموجات التي طرأت على أرض الشعر العربي مؤخرًا - يمارسون الشعر أو «يرتكبون» الشعر، كما كان يتندر أستاذنا طاهر أبو فاشا - رحمه الله - لمجرد أنهم يرغبون في ذلك، لأن عندهم ما يقولونه.

ودليلي على ذلك أنك تقرأ كثيراً مما ينشر الآن في المجلات الأدبية التي تزعم أنها «حديثة أو حداثية»، كما يفضلون التعبير عن أنفسهم، فلا تجد فيها إلا غثاء كغثاء السيل، ورغاء وهراء لا طائل من ورائه، ونجدهم وسط هذا الهراء يزجون بآية قرآنية أو جملة قرآنية لا لشيء إلا لمجرد التقليد، وقد انعكس هذا الوضع بالأسف الشديد على بعض الكتابات النقدية التي أسفرت في الآونة الأخيرة عن استخدام مصطلحات مثل «الصوفية» للتعبير عن تلك التهويمات الغيبية المستترة خلف سياق ذي طابع ديني في بعض الأحيان.

لماذا نقتبس؟

وحتى تكون البداية صحيحة لابد من وضع هذا السؤال: لماذا نقتبس؟

الاقتباس في نظرنا يتطلع إلى هدفين:

- ترقية لغة التعبير.
- تفجير طاقات دلالية خاصة.

فمن حيث الهدف الأول لا خلاف في أن التركيبة اللغوية لآيات القرآن تأتي على أرقى مستوى يمكن أن يكون عليه الأسلوب العربي، وفي الشعر الحديث تعد التركيبة اللغوية أضعف بكثير من الشعر القديم من حيث الصحة اللغوية، ومن حيث الصحة الصرفية، ومن حيث الألفاظ التي شاع استخدامها حتى أسماها د. عبدالقادر القط في تقديمه لديوان «بدلاً من الكذب» للشاعر محمد مهران السيد بـ «الأكليشيهات»، ويندر أن تقرأ ديوانًا لشاعر معاصر، فتجده خاليًا من مثل هذه التعابير الجاهزة، ويكفي للتدليل على ذلك أن أضرب مثلا بحافظ إبراهيم - وهو من هو بالقياس إلى شعراء هذه الأيام.

صورة متخيلة للخوارزمي

ففي ص ٦٠ من ديوانه يقول:

قد ظنَنّا ذاك المكانَ خلاءً
لا رقيبًا يُخشَى ولا نمّامًا

والحديث عن فتاتين، والفعل «يخشى» مبني للمجهول، وكان الصواب أن يقول لا رقيبٌ، لأنه لا وجه للنصب هنا إلا على تأويل متكلف سخيف.

وفي ص ٦١ يقول في القصيدة ذاتها عن الشاعرين: أحمد شوقي وإسماعيل صبري:

ملأا الشرقَ حكمةً وأقاما
في ثنايا النفوس أنّى أقاما

وعند قراءة البيت وفقًا للوزن المستخدم (الخفيف) لابد من إسقاط ألف الاثنين من الفعل ملأا، أما إذا بقيت الألف ـ وهي ركن ركين لا يصح حذفه ـ فسينكسر الوزن وهذه في عرف علماء اللغة مخالفة لغوية ـ صوتية.

فإذا تركنا «حافظًا» إلى أمل دنقل ـ وهو من هو بالقياس إلى أدعياء الحداثة ـ وجدنا الخطأ اللغوي يشيع حتى ليصبح من الصعب حصره.

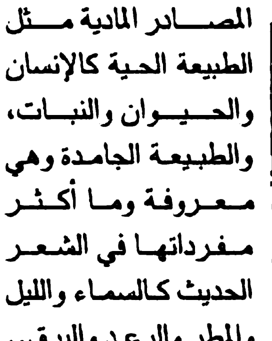
ففي ص١١٤ من ديوان «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة» يقول:

يا سيد الشواهد البيضاء

فهذا خطأ صرفي لغوي، لأن وزن أفعل (أبيض)، يجمع على «فُعْل» بضم الفاء وسكون العين، فيكون الصواب الشواهد البيض.

نستخلص من هذا أن ضعف التركيبة اللغوية في الشعر الحديث يدفع الشاعر إلى الاستعانة بالتعبير القرآني، في محاولة لترقية لغته الشعرية.

ومن حيث الهدف الثاني وهو تفجير طاقات دلالية خاصة نجد أن الشاعر الحديث يعتمد في تشكيل صورته الشعرية على مصادر يستولد منها الصورة منها المصادر المادية مثل الطبيعة الحية كالإنسان والحيوان والنبات، والطبيعة الجامدة وهي معروفة وما أكثر مفرداتها في الشعر الحديث كالسماء والليل والمطر والرعد والبرق.. إلخ، ثم المصادر الثقافية وهي خلاصة التكوين الثقافي للشاعر بما يشمله هذا التكوين من ثقافة دينية وتاريخية وعلمية..إلخ. ومن هذا المصدر الثقافي يستولد الشاعر صوره الشعرية، فتأتي لتعكس لنا حصيلته الثقافية بشكل غير مباشر عند تحليلنا للعمل الفني.


طاهر أبوفاشا

ولما كان الشعر بطبيعته فنًا جماهيريًا تلقائيًا، فإن واحدًا من أهداف الشاعر هو أن يتقبل جمهوره شعره قبولاً حسنًا بالإعجاب والتقدير، وهو في سبيل تحقيق هذا الهدف، يحتاج إلى عدة تقنيات فنية: إحداها: إيجاد تفاهم مشترك بينه وبين المتلقي، هذا التفاهم إن لم يكن في الفكرة كان في الخيال، وإن لم يكن في الخيال كان في الألفاظ، وإن لم يكن في الألفاظ كان في العاطفة، وهذه هي المكونات الأساسية للفن الشعري، وإذا فقد الشاعر التواصل مع جمهوره، فمعنى ذلك أنه لم ينجح في إيجاد خط فكري وعاطفي أو لغوي بينه وبين الجمهور، ولعل هذا هو السر في إخفاق من يكتبون القصيدة الحديثة المسرفة في التعامل مع الصورة الغامضة في الوصول إلى المتلقين.

كيف نقتبس؟

وهنا يأتي احتياج الشاعر للاقتباس من التعابير القرآنية بوصفها حدًا أدنى من المشترك الثقافي العام بين المبدع وجمهوره، يلجأ إليه الشاعر لتقريب الهوة بينه وبين جمهوره. ولكن المحذور الأعظم هو أن يسيء الشاعر الاقتباس، وهذا ينقلنا إلى سؤال تالٍ مهم وهو:


عبدالقادر القط

كيف نقتبس؟

إن الشاعر حين يلجأ إلى التعبير القرآني ينبغي أن يكون حريصًا على تفادي مأزقين هما:

ـ ألا يتحول إلى واعظ ديني.

ـ ألا يتحامل على النص الديني فيسطو على معظمه.

فالمأزق الأول يأتي من ضعف الوعي الفني وضحالة الفكرة لدى الشاعر، وقديمًا قال علي بن الجهم يمدح أحد الخلفاء:

اللّـه أكبرُ والنبيّ محمّد

والحقّ أبلجُ والخليفة جعفرُ!!

فقال الشاعر مروان بن أبي الجنوب يسخر منه:

أراد ابنُ جهم أن يقول قصيدةً

بمدح أمير المؤمنين فأذّنا!

فهنا جاءت السخرية لأن افتتاح القصيدة بتعبير جاهز هو: «الله أكبر» مع ضعف البناء الفني في البيت ككل، أعطى الجمهور إحساسًا بأن الشاعر تحول من فنان إلى مؤذن. وحين يقول ابن سناء الملك مقتبسًا من القرآن:

رحلوا فلست مسائلاً عن دارهم

أنا باخعٌ نفسي على آثارهم

فأي فنّ في هذا البيت؟

وحين يقول شاعر مغربي مقتبساً وهو يرثي أحد أصدقائه:

قد كان ما خفتُ أن يكونا
إنّا إلى الله راجعونا!

وحين يقول الأحوص الأنصاري:

إذا رمتُ منها سلوةً قال شافع
من الحب ميعادُ السلوّ المقابرُ
ستبقى لها في مضمَر القلب والحشا
سريرةُ حبٍ يوم تبلى السرائر

فما الجديد الذي أضافه اقتباسه للتعبير القرآني، أو ما القيمة الجمالية التي اكتسبها البناء الشعري؟

وفي رأينا أن الاقتباس القرآني لابد أن يتفادى مأزق الخطابة والوعظ، وفي الوقت نفسه لابد أن يتفادى مأزق التحامل الكامل على النص، فلا يأتي شاعر فينظم قصة أهل الكهف مثلاً برمتها، ويدعي أنه شاعر، كما فعل ذلك الشاعر الذي نظم حديثاً شريفاً فقال:

إن القلوب لأجناد مجنّدة
بالإذن من ربها تهوى وتأتلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف
وما تناكر منها فهو مختلف!!

أليس في إمكان القارئ أو السامع أن يؤدي المعنى بتسميع الحديث نفسه، وهذا أفضل؟! إن الاقتباس لابد أن يكون مجرد لمحة فنية تثير انفعالاً ذاهلاً في المتلقي وتجعله ـ من تلقاء ثقافته الخاصة ـ يستعيد دلالة قصة معينة أو يدرك ما وراء تعبير معين استخدمه الشاعر بحنكة.

فالشاعر حين يتحدث عن حالة حب يريد أن يتخلص منها، فيستخدم تعبيراً مثل: اركض برجلك ويكتفي بهذا، فإنه يثير مشاعر المتلقي بذكاء، فتجيش أحاسيسه بدلالة تاريخية لذا التعبير الذي استخدمه القرآن لإخراج النبي أيوب ـ عليه السلام ـ من حالة الإحباط والمرض إلى حالة أخرى تتجدد فيها حياته ومعنوياته وهكذا، والشاعر الذي يقول: «سيوضع الصاع في رحل الشعراء» ويكتفي بهذا يستثير في نفس متلقيه مشاعر ضد التلفيق وتزوير التهم للشعراء استئناساً بالحيلة الطريفة التي لجأ إليها رجال النبي يوسف ـ عليه السلام ـ لإبقاء أخيه معه.

وهناك نماذج لاقتباسات رشيدة مثل قول الشاعر محمد يوسف في ديوانه «تغريبة الفرفور» ص٣٨، «ابيضت عينا النهر»، فهو هناك يقول لنا إن النهر لحزين وأصبح شيخاً كبيراً هرماً، ويفقد أبناءه فيحزن عليهم ويشكو إلى الله.. إلى آخر هذه الدلالات التي لم يصرح بها الشاعر، ولكنه تركنا نهيم معها استئناساً بتعبير «ابيضت عيناه من الحزن»، الوارد في حق نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ.


أمل دنقل

ولكن حين يقول أمل دنقل:

والتين والزيتون
وطور سينين وهذا البلد المحزون
لقد رأيت ليلة الثامن والعشرين من سبتمبر الحزين
رأيت في هتاف شعبي الجريح
«رأيت خلف الصورة»
وجهك يا منصورة!

فما الذي أضافه تضمين آيات القرآن وتحريفها؟ وهل لو أقسم بالطلاق مثلاً بدلاً من أن يقسم بالتين والزيتون، أكنّا سنكذبه؟

ختاماً نوجز رؤيتنا في أنه من الضروري أن توجد معايير فنية ـ أخلاقية لضبط عمليات الاقتباس القرآني مثل:

ـ أن يكون الاقتباس ضرورة فنية تضيف ولا تضعف العمل الفني.

ـ يجب ألا يأتي الاقتباس في إطار يصادم العقيدة أو الشريعة التي هي جزء أساسي من ثقافة المتلقي، والجرأة في مثل هذا ليست من الفن في شيء، ولا تعدو كونها وقاحة.

ـ ألا يكون الاقتباس بتضمين نص قرآني بصورة مباشرة مثل حالة القسم بالتين والزيتون على شيء يمكن القسم عليه «بالعيش والملح»، كما يقولون في مصر!

ـ يمكن أن يتفرع الاقتباس القرآني إلى نوعين:

ـ اقتباس دلالات قصصية.

ـ اقتباس تعابير أو تراكيب لغوية.



حجاب بن يحيى الحازمي

جازان - السعودية

الشعر في منطقة جازان موروث عريق، بدأ تزيف شريانه في هذه المنطقة على أيدي أعلام توارثت الأجيال منذ عهود قديمة، روائع إبداعاتهم، لكن التأريخ الأدبي أجفل عن ذكر ذلك الموروث في القرون الهجرية الأربعة الأولى. وحين شرع في كتابة صفحات ناصعة لشعرائها الكبار، بدأها بشاعرها في القرن الخامس الهجري، علي بن محمد التهامي، وثناها بشاعرها عمارة الحكمي، شاعر القرن السادس، فابن هتيمل، وابن عامر شاعريها في القرن السابع الهجري.

فابن فليتة الحكمي شاعر القرن الثامن الهجري، فشاعريها الجراح بن شاجر وابن عمر في القرن العاشر، فشعراء آل النعمان، وآل البهكلي، وآل ابن عمر، في القرون: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الهجري؛ وفي أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر "الهجريين شهدت المنطقة تحولات سياسية؛ أدت إلى ضعف الحياة العامة، وتبعاً لذلك؛ ضعفت الحياة الأدبية. يأتي في مقدمة تلك التحولات: قسوة ممارسات الحكم التركي في أخريات أيامه، وما عانته المنطقة من إهمال تام أدى إلى استشراء الأدواء الجسام التي يأتي الجهل واختلال الأمن وتمزق فئات المجتمع في مقدمتها، شأنها في ذلك شأن بقية أقاليم الجزيرة العربية الواقعة تحت نير الحكم التركي المتسلط. وفي حلكة تلك الأيام القاسية، خبا صوت الشعر قليلاً - حتى انقضى الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري؛ ثم عادت إليه ومضات من حياة في فترات من الربع الثاني من ذلك القرن، حيث أسس محمد بن علي الإدريسي في تلك الفترة دولة شملت المخلاف السليماني وأجزاء من عسير، هيأت على الرغم من قصر مدتها لاستقرار نسبي، أدى إلى شيء من البعث الأدبي على أيدي عدد من الشعراء.

أثر التصوف

وقد شهدت منطقة جازان في عهد محمد بن علي الإدريسي (١٣٢٢ - ١٣٤١هـ) نوعاً من الاستقرار الذي لم يتهيأ لها في أيام ابنه علي، ولا في أيام أخيه الحسن (١٣٤١ - ١٣٤٩هـ)، فكان لهذا وذاك أثره في حركة الشعر، التي كانت حركة محدودة الأثر غلب عليها الضعف، وبرز بين سطورها أثر التصوف الذي كان يقود لواءه الأدارسة أنفسهم، وينقاد له بعض الأتباع من الوافدين والمريدين، وكان قد أرسى جذور ذلك الفكر الصوفي جده أحمد الإدريسي(١) في النصف الأول من القرن الثالث عشر على الرغم من قصر مدة استقراره بالمنطقة، وجاء حكم حفيده بعد أكثر من سبعين عاماً ليرسخ الفكر الصوفي في المنطقة، ويشجع مريديه وأتباعه، فكانت حركة الأدب على ضعفها نتاجاً لذلك الفكر، وثمرة من ثماره غير الناضجة؛ ونظرة سريعة إلى شعر شعراء تلك الفترة وأدب أدبائها تؤكد هذا الملمح، انظر إلى الشاعر علي السنوسي يسرد في بيتين فقط عدداً من المصطلحات والرموز الصوفية حيث: يقول في مدح السيد محمد بن علي الإدريسي:

يا ليت جازان تدري ماالذي كسبت
صبياً من الفخر بالميمون خير ولي
أرض بها السر مبثوث وما عريت
من سادة هم نجوم الأرض أو دول(٢)

وربما نجد عدداً كبيراً من المصطلحات الصوفية في بيت واحد كقول الإدريسي نفسه:

بدر تجلى على أهل الكمال كما
بدر تجلى وفي أرجائه الشهب(٣)

خطابة وإخوانيات

وقد برز في تلك الفترة عدد من العلماء والأدباء والشعراء،

وازدهرت الرسائل السياسية إلى جانب الرسائل الإخوانية والتقريظات، وبعض الكتابات المشتملة على النصح والتوجيه. كما ازدهرت الخطابة التي وجدت صدى في المناسبات التي يقيمها الإدريسي. وكان الشعر سيد الموقف، حيث وجد الشعراء تشجيعاً من محمد الإدريسي - الذي كان عالماً وشاعراً - خصوصاً في مناسبات الأعياد، وذكرى المولد وغيرها، فبرز عدد من الشعراء أمثال: عبدالرحمن المعلمي، ومحمد حيدر القبي النعمي، وعلي بن إبراهيم عطيف النعمي، وعبدالله بن علي العمودي، وعلي بن محمد السنوسي، ويحيى بن خميس الصوري(٤) إلى جانب عدد من الوافدين الذين شملهم برعايته، أمثال: صالح الصيلمي، وأحمد الزبيدي، وأحمد الأهدل، وغيرهم. ومن أعلام تلك

جبل فيفا

الفترة العلامة علي بن حسن الضمدي الذي تولى للإدريسي القضاء والإفتاء ومات سنة ١٣٥١هـ، كذلك ابنه محمد بن علي بن حسن الضمدي الذي تولى القضاء أيضاً في أيام الإدريسي في كل من صبيا وصامطة وتوفي سنة ١٣٥٥هـ(٥)، وهذان العلمان من اسرة القضاة بضمد، وهي أسرة علمية تنتمي إلى جدهم العلامة محمد بن علي بن عمر عالم القرن العاشر، وقد يكون سيدي الوالد العلامة يحيى بن موسى الحازمي المولود سنة ١٣٢١هـ والمتوفى سنة ١٣٦٧ معدوداً في أعلام تلك الفترة الذين يمكن أن يطلق عليهم لقب المخضرمين؛ حيث عاصر عهد الإدريسي، وأدرك العهد السعودي الزاهر، وعمل قاضياً في جهة بلغازي بمنطقة جازان، أيام الملك عبدالعزيز يرحمه الله. وهو القائل في الحنين إلى وطنه وأسرته من آل حازم في قصيدة بعث بها من مهاجره في طلب العلم يقول في مطلعها:

هب النسيم فمالت منه أغصانُ
وغرّدت في بشام الشعب ألحانُ

والتي يقول فيها:

أرضي بها من بني الزهراء طائفة
مامثلهم في خصال المجد إنسان
في كل ماشنتهم لبُوك قاطبةً
منهم رؤوس النهى طرّاً وأقران
أعني بني حازم الشعواء غارتهم
ما منهم عن طلاب المجد كسلان

إلى أن يقول:

أرضي لها نبأ في كل ناحية
بفضلها شهدت مصر وعمان
مني عليهم سلام كلما سجعت
ورقاء في سجعها شكل وألوان(٦)

وقد يطول بنا المقام لو أخذنا نماذج من خطب ورسائل وشعر تلك الفترة التي لسنا معنيين بدراستها، ولكن لا بأس من إيراد بعض النماذج الشعرية لأبرزهم:

فها هو ذا محمد بن علي الإدريسي نفسه يقول متشوقاً إلى مسقط رأسه صبياء أيام دراسته في مصر:

ربع عهدناه بالأحباب معمورا
قلبي جعلت على مغناه مقصورا
فما لقلبي وللسلوان عادلــه
وفي طريق الهوى قد راح مسحورا
ياساكني السفح من (صبيا) على أكم
بكم غدا لتجلي الهدي مفطورا
إني بغربيه صدقاً أحــدثكم
يوم الوداع جعلت القلب منحورا(٧)

والنماذج الشعرية كثيرة، ولعلنا نختتم هذه الاختيارات بنص للشاعر: محمد بن حيدر القبي النعمي، يمدح فيه القاضي علي بن حسن الضمدي، فيبدأ مشبباً على سنة شعراء العربية ثم يمهد للانتقال إلى الممدوح حيث يقول:

ما غرّدت ورقاً على الأغصان
إلا وقلبي دائم الخفقان
شوقاً إلى وادي العقيق وضاله
وبشامــه وخزَمه والبان
ومطارح للأنس حول كناسه
وملاعبِ الغاداتِ والغزلان
أيامَ لا واشٍ يَنِمّ بوصلنا
وحديثنا من حاسد أو شانِ
والشمل مجتمع بمعسول اللّمى
حالي الرُضاب معقرب الصدغان
لله مسمرنا بمنعرج اللوى
حيث التقينا طلعة النسران
والليل قد نشر الظلام مطارفاً
سترت على الصب العميد الحاني

والنماذج الشعرية لشعراء تلك الفترة كثيرة، قد يطول بنا المقام لو استعرضناها أو أخذنا عدداً آخر منها، وهي في مجملها شعر يغلب على كثير منه الغلو الصوفي، بمبالغاته

وشطحاته، كما تبدو عليه سمة التقليد واضحة المعالم، وربما ظهر على بعضه ضعف التراكيب، وندرة الصور الشعرية الجميلة، ومحدودية التجديد في البناء الفني، مع اهتمامهم بجودة السبك، ووضوح المعاني وصفاء المضمون، مع محاولة محاكاة سابقيهم في طريقة تناول موضوعاتهم، وفي تعدد أغراضهم الشعرية كالمدح، والغزل، والوصف، والرثاء...إلخ، على أن بعض الشعراء قد طوروا أدواتهم الفنية، وصححوا مسارهم الفكري حين أدركوا العهد السعودي الزاهر، وعادوا إلى منهج السلف يقتبسون من نوره الوهاج فيطفئون به ما أصاب فكرهم وشعرهم من شطحات الصوفية، وغلواء اتباعها، وذلك بعد أن أخذ الملك عبدالعزيز يوحد معظم بلدان الجزيرة العربية تحت راية سياسية واحدة هي راية المملكة العربية السعودية؛ وفي ظلال مذهب سني ظاهر سوي، هو منهج أهل السنة والجماعة، عند ذلك اختفى ذلك التيار الصوفي وتفرق شعراؤه الذين كانوا يغرقون في أوهام الصوفية.

كان الشعر في النصف الأول من القرن الرابع الهجري يغلب عليه الغلو الصوفي بمبالغاته وشطحاته كما تبدو عليه سمة التقليد واضحة المعالم

ومن شعراء تلك الفترة وأعلامها الذين نكتفي بذكر أسمائهم فقط:

ـ علي بن حسن الضمدي الذي تولى القضاء والإفتاء في عهد الإدريسي والمتوفى سنة ١٣٥١هـ(٨).

ـ علي بن إبراهيم عطيف النعمي المتوفى سنة ١٣٤٧هـ(٩).

ـ والدي يحيى بن موسى الحازمي قاضي بلغازي في عهد الملك عبدالعزيز والمتوفى سنة ١٣٦٧هـ(١٠).

ـ عبدالله بن علي العمودي المولود في أخريات القرن الثالث عشر، والذي مارس القضاء والتعليم في العهدين ١٢٩٥هـ ـ ١٣٩٨هـ(١١).

ـ علي بن محمد السنوسي القاضي في عهد الإدريسي وفي عهد الملك عبدالعزيز، المتوفى ١٣٦٣هـ(١٢).

ـ يحيى بن خميس الصوري أحد أعلام مدينة جازان المشهور بعلمه وأدبه وروايته للشعر؛ ولكل من هؤلاء الأعلام شعر رائق يمثل مرحلته، وإن تأثر بعضهم بشطحات الصوفية وغلوائها وغامض رموزها، وقد عايشهم في تلك الفترة شعراء وافدون ومقيمون كثيرون تفرقوا بعد انقضاء العهد الإدريسي الذي لم يتم الربع الثاني من القرن الرابع عشر.

وفي مستهل النصف الثاني من القرن الرابع عشر انضمت المنطقة إلى بقية مناطق المملكة العربية السعودية فشملتها رعاية الملك الباني عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود طيب الله ثراه الذي جمع الله به بعد فرقة وأغنى به بعد عيلة.. ووحد به بعد شتات.

الهوامش والمراجع

١ـ أحمد الإدريسي: هو جد محمد بن علي الإدريسي مؤسس دولة الأدارسة، ولد بفاس في المغرب سنة ١١٧٣هـ ووفد إلى مكة المكرمة سنة ١٢١٤هـ وأقام بها حتى سنة ١٢٤٤هـ حيث انتقل إلى مدينة زبيد في اليمن، وفي عام ١٢٤٥هـ انتقل إلى صبيا أيام ولاية علي بن مجثل العسيري واستقرت بها أسرته حتى برز منها حفيده محمد بن علي الإدريسي في أوائل القرن الرابع عشر الهجري فأسس دولة الأدارسة التي استمرت من ١٣٢٧هـ إلى ١٣٤٩هـ.

ـ انظر ترجمة الإدريسي في الأعلام للزركلي.. وفي تاريخ المخلاف السليماني للعقيلي، وفي أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوب الجزيرة العربية، وفي نشأة الأدب السعودي المعاصر في جنوب المملكة للدكتور عبدالله أبوداهش.

٢ـ نشأة الأدب السعودي المعاصر في جنوب المملكة العربية السعودية، الدكتور عبدالله أبوداهش، ص٢٠.

٣ـ التأريخ الأدبي لمنطقة جازان، الأستاذ محمد أحمد العقيلي، جـ٢، ص٩١٣.

٤ـ تاريخ المخلاف السليماني، محمد بن أحمد العقيلي، جـ٢، ص٩١٥.

٥ـ المصدر السابق، جـ٢، هامش ص٩١٦، وانظر التأريخ الأدبي للعقيلي، جـ٢، ص٩١٨.

٦ـ التأريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي، جـ٢، ص١٣٧٢، وانظر نيل الحسنيين لزبارة، ص١١٧.

٧ـ التأريخ الأدبي لمنطقة جازان، محمد أحمد العقيلي، جـ٢، ص٩١٦.

٨ـ تأريخ المخلاف السليماني، محمد أحمد العقيلي، جـ٢، ص٩١٥.

٩ـ انظر هامش ص٩١٦، من التأريخ الأدبي، جـ٢.

١٠ـ التأريخ الأدبي لمنطقة جازان، جـ٣، ص١٣٧١، وانظر في نبذة تاريخية عن التعليم، ص٣٠، وينظر نيل الحسنيين لمحمد زبارة، ص١١٧.

١١ـ انظر ترجمته في الأعلام للزركلي.. والتأريخ الأدبي للعقيلي، وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب للدكتور عبدالله أبوداهش، والتاريخ الأدبي للعقيلي.. وغيرها.

١٢ـ التأريخ الأدبي لمنطقة جازان، جـ٢، ص١٠٠٤، ونشأة الأدب السعودي للدكتور عبدالله أبوداهش ص٨، والمفقود من شعر علي السنوسي، ص٦٧، تحقيق الدكتور عبدالله أبوداهش.

الدعاة والسمات الاجتماعية والثقافية لغير المسلمين

عبدالله بن إبراهيم اللحيدان
الرياض - السعودية

تعد معرفة السمات الثقافية والاجتماعية لغير المسلمين، من الأمور المهمة في الدعوة. إذ لا يتصور نجاح دعوة قوم بعيداً عن فهم مجتمعهم، وواقعهم الذي يعيشون فيه، ودراسته دراسة وافية، تلم إجمالا بالظروف والمشكلات الظاهرة في المجتمع، وتبين النواحي الإيجابية والسلبية في أفراد المجتمع، ومن ثم الإفادة منها في دعوتهم إلى الإسلام، وربما كان رائد ذلك هو: المعرفة الجغرافية الصحيحة.

إن كثيراً من الجغرافيين قديماً كتبوا عن البلاد التي يعيشون فيها، أو تلك البلاد التي رحلوا إليها، فظهر في كتاباتهم ورحلاتهم وصف الأرض وسكانها الذين يعيشون فيها.

ومعظم السمات الاجتماعية والثقافية، من الأمور التي يتناقلها الناس قديماً وحديثاً، وربما أغفلوا تدوينها؛ لأنها ظاهرة ومعلومة عند كل أحد، ولا تحتاج إلى تدوين.

وجدير بالذكر أن الجغرافية تخدم كثيراً في مجال الدعوة، إذا وجهت فيها البحوث والدراسات لخدمة الدعوة.

وإذا كانت المعرفة الجغرافية الصحيحة قد أدت عملها في بلاد الغرب في خدمة حركة التنصير، فإنها في كثير من بلاد المسلمين لم تؤد - حتى الآن - عملها الكامل المنشود في



خدمة الدعوة الإسلامية، فكتب الجغرافية - في الغالب - لا تعطي الصورة الواضحة للسمات الاجتماعية والثقافية للدول غير الإسلامية، بل إن الجغرافيين أنفسهم يركزون على تعريف تلك الدول من الناحية الطبيعية (السطح، والمناخ، والنبات، والثروات الطبيعية....) في حين نجد أن معرفتهم سطحية في مجال السكان، وعاداتهم، وطبائعهم، وفي غير ذلك من الأمور التي تخدم الدعوة، وتسهل مهمتها.

ولعل للمنصرين النصيب الأكبر في ذلك، فقد سخروا كل المعارف والظروف الاجتماعية في سبيل نشر دعوتهم المحرّفة،

فعندما بدأت رحلاتهم إلى القارة الإفريقية مثلاً لم تقف المعلومات التي كانوا يسعون إليها عند كنوز القارة وخيراتها، بل اهتمت كثيراً بالسكان وأحوالهم ولغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ومازال تاريخ القارة الإفريقية في العصر الحديث وجغرافيتها يعتمدان على كتابات الرحالين والمستكشفين النصارى الذين جابوا أرجاء القارة في مراحل كشفها واستعمارها.

لقد كانت رحلات الأوربيين إلى القارة الإفريقية متعددة الأغراض و«أخذت الجمعيات الجغرافية في أوربا بزمام المبادرة، ووظفت الرحالة الجغرافيين توظيفاً يخدم تطلعات الفتح الأوربي، وهم يطلبون الكشف الجغرافي عن الأرض، أو وهم يمهدون للاستعمار، أو هم يحملون لواء التبشير، ولقد شددت الدول الأوربية على قيمة الرحلة الجغرافية، وباركت الكنيسة تحرك الرحالة وبشرتهم برضوان الله»(١).

وهذه المعارف التي جمعها الرحالة الأوربيون وظفت فيما بعد لخدمة التنصير، فكان المنصرون يتقنون لغة المدعوين ويلمون بثقافتهم وأفكارهم، وكانوا يقومون بتدريسها لبني جنسهم.

فمن ذلك - مثلا - زويمر - المنصر - كان يتقن اللغة العربية، وكان عالمًا بالإسلاميات(٢).

كما أمضى كريدز - وهو أحد المنصرين - ١٦ عامًا يدرّس اللغة العربية والإسلامية للمتطوعين ومواطني البلد العاملين في مجال التنصير؛ لأنه كان يعتقد ضرورة معرفة أفكار أولئك الذين يحاولون الوصول إلى قلوبهم وعقولهم معرفة دقيقة شاملة(٣).

وكان زويمر يقول: «إذا أرادت الكنيسة أن توصل الكتاب المقدس إلى العالم الإسلامي فعلينا - أولاً - أن نعرف العالم الإسلامي ونفهمه»(٤).

السبق للمسلمين

لم يكن هذا المنهج بدعًا من النصارى، وإنما كان للمسلمين الأوائل فضل السبق إلى ابتكاره والعمل به، وما انتشرت الدعوة قديمًا وحديثًا إلا وكان التصور الصحيح، والمعرفة التامة بالمدعوين سببًا تاليًا لفضل الله تعالى في نجاحها. وإن الدعوة لا تؤتي ثمارها المرجوة، مالم تكن مرتكزة على معرفة واضحة تامة بأحوال المدعوين الاجتماعية والثقافية وغيرها.

وقد كان الأنبياء ينطلقون في دعوتهم من البيئة التي يعيشون فيها، وكانوا يعلمون تماماً سمات المدعوين وأحوالهم، وكذلك كان الدعاة قديماً وحديثًا على دراية تامة بسمات المدعوين، وقدوتهم في ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم، وشواهد ذلك في سيرته لا تحصى، فمن ذلك: عندما اشتد أذى قريش على أصحابه، أمرهم في البداية بأن يهاجروا إلى الحبشة، وحين مات النجاشي ملك الحبشة قال صلى الله عليه وسلم: «مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة»(٥)، ثم أمرهم بعد ذلك بالهجرة إلى المدينة، وفي ذلك دليل على إحاطته بتلك المجتمعات، ومعرفته بها.

> كان الأنبياء ينطلقون في دعوتهم من البيئة التي يعيشون فيها، وكانوا يعلمون تمامًا سمات المدعوين وأحوالهم

كذلك كان صلى الله عليه وسلم يعرف الأفراد أيضًا، ففي صحيح البخاري أن قريشًا بعثت في صلح الحديبية رجلا من بني كنانة(٦)، فلما أشرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له»، فبعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، كما بعثت مكرز بن حفص(٧) أيضًا، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال: «هذا مكرز وهو رجل فاجر»(٨).

وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب الملوك والرؤساء بالدعوة، فلا يهمل مكانتهم الاجتماعية في دولهم، فيخاطب ملك الروم بقوله: «من محمد بن عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم»(٩).

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم، شأنه شأن الأنبياء من قبله، عاش في قومه قبل البعثة، وأحاط معرفة بسماتهم وظروف معيشتهم، وذلك مما يسهل على كل

رسول مهمته. قال تعالى: ***وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، ليبيّن لهم، فيُضلُّ اللهُ مَنْ يشاء ويهْدي من يشاءُ وهو العزيز الحكيم. إبراهيم: ٤.***

واقتفى الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن بعدهم أثر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، جاء في تفسير المنار: «وقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - أعلم أهل زمانهم بالتاريخ وما يسمى الآن بتقويم البلدان وبالجغرافية، ولذلك أقدموا على الفتوح ومحاربة الأمم، فانتصروا عليهم بالعلم لا بالجهل، فلو كانوا يجهلون مسالك بلادهم وطرقها ومواقع المياه وما يصلح موقعًا للقتال فيها لهلكوا، وكان الجهل أول أسباب هلاكهم، ومن قرأ ما حفظ من خطبهم وكتبهم التي كانوا يتراسلون بها ومحاوراتهم في تدبير الأعمال يظهر له ذلك بأجلى بيان»(١٠).

فالصحابة - رضي الله عنهم - كانوا بسلامة فطرتهم، وذكاء قريحتهم، وبما هداهم القرآن بآياته، والرسول صلى الله عليه وسلم ببيانه وسيرته، على بصيرة بحال من تُوجّه إليهم الدعوة، وأبو بكر - رضي الله عنه - وهو أفضل الصحابة، عُرف عنه أنه أنسب العرب، وكان ذلك من جملة الأسباب في ارتضاء الصحابة لخلافته - رضي الله عنه - قال صاحب تفسير المنار: «ومعنى ذلك أنه كان أعلم الصحابة بأحوال قبائل العرب وبطونها، وتاريخ كل قبيلة وسابق أيامها وأخلاقها، كالشجاعة والجبن، والأمانة والخيانة، ومكانها من الضعف والقوة، والغنى والفقر، وما كان إقدامه - مع لينه وسهولة خلقه - على حرب أهل الردة إلا لهذا العلم الذي كان به على بصيرة»(١١).

كتب خلّدت ذكرهم

ومع انتشار الفتوحات الإسلامية بدأ الرحالة المسلمون يجوبون بلاد الإسلام، بل يتجاوزونها إلى غيرها من البلاد الأخرى، وألّفوا الكتب التي خلّدت ذكرهم إلى هذا اليوم، وحوت كتبهم وصفًا دقيقًا للشعوب التي رأوها، وهي برهان على صبرهم، وشاهد على جدهم في البحث العلمي الدؤوب، فكانوا مثار إعجاب الأمم والأفراد. يقول أحدهم: «فالرحالة العرب وهم من أعظم الرحالة جميعًا يذهبون إلى بلاد بعيدة، ليكتشفوا ما تقوم به الشعوب الأخرى وما تفكر فيه، وليدرسوا ويفهموا فلسفتها وعلومها وأساليب حياتها»(١٢).

ومن أولئك الرحالة أبو الرَّيْحان البيروني(١٣) الذي زار الهند وألف عنها كتابًا يعد من أنفس ما كتب عن بلاد الهند، وكان من جملة أسباب وضعه كما ذكر في مقدمته «ليكون نصرة لمن أراد مناقضتهم وذخيرة لمن رام مخالطتهم»(١٤)، وضمن البيروني كتابه السمات البارزة لساكني بلاد الهند في ذلك العصر من اللغة والدين والرسوم والعادات، وذكر أن من طبائعهم وأخلاقهم: الغطرسة، والحمق، والعجب، وتبلد الإحساس، واعتقادهم أنه لا بلد مثل بلدهم، ولا أمة مثل أمتهم، ولا ملوك مثل ملوكهم، ولا علوم مثل علومهم(١٥) ويعلق على هذا الوصف صاحب كتاب اكتشاف الهند(١٦) - وهو هندي الأصل - بقوله: «ربما كان هذا وصفًا صحيحًا لمزاج الشعب»(١٧)، كما رثى صاحب كتاب «اكتشاف الهند» لحال الهند وانغلاقها على نفسها في ذلك الوقت وهو وقت ازدهار العلوم الإسلامية ويعبر عن ذلك بقوله: «ظل الهنود متحفظين منغلقين على أوهامهم المغرورة الخاصة.. وقد كان ذلك بائسًا يدعو للأسف لأن خميرة بغداد الثقافية، وحركة النهضة العربية كانتا مؤهلتين لتحريك العقل الهندي»(١٨).

مع انتشار الفتوحات الإسلامية بدأ الرحالة المسلمون يجوبون بلاد الإسلام، بل يتجاوزونها إلى غيرها من البلاد الأخرى، وألفوا الكتب التي خلدت ذكرهم إلى هذا اليوم

كما أن البيروني وهو يعرض السمات لمجتمع الهند، يبين أثرها في دعوتهم، ويذكر أيضًا أن من أسباب رفضهم للإسلام النظام الطبقي في بلادهم، فيقول: إن مخالفتنا إياهم وتسويتنا بين الكافة إلا بالتقوى أعظم الحوائل بينهم وبين الإسلام»(١٩)، ولم تكن بلاد الغرب أقل حظًا من بلاد الشرق في التدوين والكتابة عند علماء المسلمين، فعندما بعث ملك الصقالبة رسالة إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله(٢٠) سنة ٣٠٩هـ يسأله فيها أن يبعث له من يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الإسلام، بعث

الخليفة إليه أحمد بن فضلان(٢١) فأدى مهمته وكتب كتابه عن تلك الرحلة وأودع فيه ما شاهده في بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة وغيرهم، من اختلاف مذاهبهم، وأخبار ملوكهم، وأحوالهم في كثير من أمورهم(٢٢).

اعتراف

ومعرفة المسلمين التامة بأحوال الأمم والشعوب أمر ظاهر لكل أحد، يقول أحد المستشرقين: «ترك لنا العرب وصفًا مفصلا لجميع البلدان من أسبانيا غربًا إلى تركستان ومصب السند شرقًا، مع وصف دقيق لجميع النقاط المأهولة والمناطق المزروعة والصحاري، وبينوا مدى انتشار النباتات المزروعة، وأماكن وجود المعادن، ولم يجتذب اهتمامهم الجغرافية الطبيعية أو الظروف المناخية فحسب بل أيضًا الحياة الاجتماعية والصناعة والزراعة واللغة، والتعاليم الدينية، كما لم تقتصر معرفتهم على بلاد الإسلام وحدها بل تجاوزت بصورة ملحوظة حدود العالم الإسلامي، فتراثهم اليوم يمدنا بمعلومات من الدرجة الأولى عن جميع البلاد التي بلغها العرب أو التي تجمعت لديهم معلومات عنها، وذلك بنفس الصورة المتنوعة التي وصفوا بها بلاد الإسلام»(٢٣)، وليس المقصود هنا عرض ما دونه العلماء عن السمات الثقافية والاجتماعية لغير المسلمين في ذلك الوقت، وإنما المقصود بيان أهمية وقوف الدعاة على السمات، وأن المسلمين لم يغفلوا هذا الجانب في دعوتهم بل كانوا هم الرواد لمن بعدهم، فالنصارى عندما جاب رحالتهم القارة الإفريقية مثلا إنما تبعوا في ذلك منهج المسلمين من قبل، فإن «أول مرة يظفر فيها وسط إفريقية بوصف مفصل كان في مؤلفات المسلمين، وقد استمرت معلوماتهم تمثل القول الفصل حتى ظهر المستكشفون الأوربيون في القرن التاسع عشر»(٢٤).

ولذلك نرى أن الداعية مطالب بمعرفة السمات الاجتماعية والثقافية للمدعوين، ومن ثم يستطيع إشباع الاحتياجات الإنسانية لهم، «وهذه الاحتياجات... لا تقتصر على الطعام واللباس، وإنما تتضمن كذلك إشباع بعض المتطلبات النفسية والثقافية»(٢٥).

إن اهتمام الداعي بالمدعو وسؤاله عنه وعن أولاده وأسرته وإظهار الاهتمام به، جزء أساسي في الدعوة، كما أن ترك المدعو يبدي حاجاته ومشكلاته أمر بالغ الأهمية.

> **وضع البيروني كتابًا تعرض فيه لسمات المجتمع الهندي وأثرها في دعوتهم، وذكر أن من أسباب رفضهم للإسلام النظام الطبقي في بلادهم**

وكما أن للمعرفة الجغرافية الصحيحة أثرها في الدعوة، فإن الخدمة الاجتماعية يمكن أن يكون لها دور واضح في مجال الدعوة الإسلامية، «وذلك بأن تساعد الداعية على دراسة المجتمع دراسة علمية لمعرفة ظروفه ومشكلاته، وتيسر له اكتساب بعض المهارات التي تفيده في التعامل مع المجتمع بطريقة صحيحة لتحقيق أهداف الدعوة»(٢٦).

ويمكن للاختصاصي الاجتماعي أن يقدم خدماته المهنية بشكل مباشر للجهاز القائم بعملية الدعوة الإسلامية أو للداعية، وذلك بحكم تخصصه المهني في مجال الخدمة الاجتماعية، التي تقوم على الدراسة العلمية للظواهر والمشكلات الاجتماعية بغرض المساعدة على حلها، كما يمكنه تزويد الداعية ببعض الأسس العلمية التي تفيد في فهم سلوك الأفراد ودوافعهم واتجاهاتهم وميولهم وكيفية التأثير فيهم(٢٧).

ولذلك فإن الخدمة الاجتماعية مصدر مهم لإمداد الدعاة بما ييسر أمر دعوتهم ويساعد على قبولها ونجاحها.

كما أن معرفة شبكة العلاقات الاجتماعية للمدعو، لها أهميتها في العمل مع غير المسلمين، فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه، «والطبيعة البشرية تنطوي على الألفة وحب التجمع، والميل للارتباط بالآخرين والحاجة إلى الشعور بالانتماء والولاء لهم. وبحكم هذه الطبيعة التي فطر الله الإنسان عليها لا يمكن تصور وجود الإنسان

الفرد المنعزل في هذا الكون»(٢٨)، فعلى الدعاة في دول الإسلام خاصة(٢٩)، ألا يهملوا هذا الأمر، بل عليهم أن يولوه اهتمامهم، ولاسيما أن معظم غير المسلمين اليوم يفدون بمفردهم دون أهليهم، وربما يمكثون فترة تصل إلى سنتين أو أكثر دون أن يعودوا إلى بلادهم، ولذلك فإن الإحاطة بظروف معيشتهم، ومحاولة فهم الأسلوب الذي يحكم حياتهم أمر يخدم الدعوة كثيراً، فيكون التعامل معهم في ضوء معرفة صحيحة تامة، وتكون دعوتهم قائمة على بينة وبصيرة.

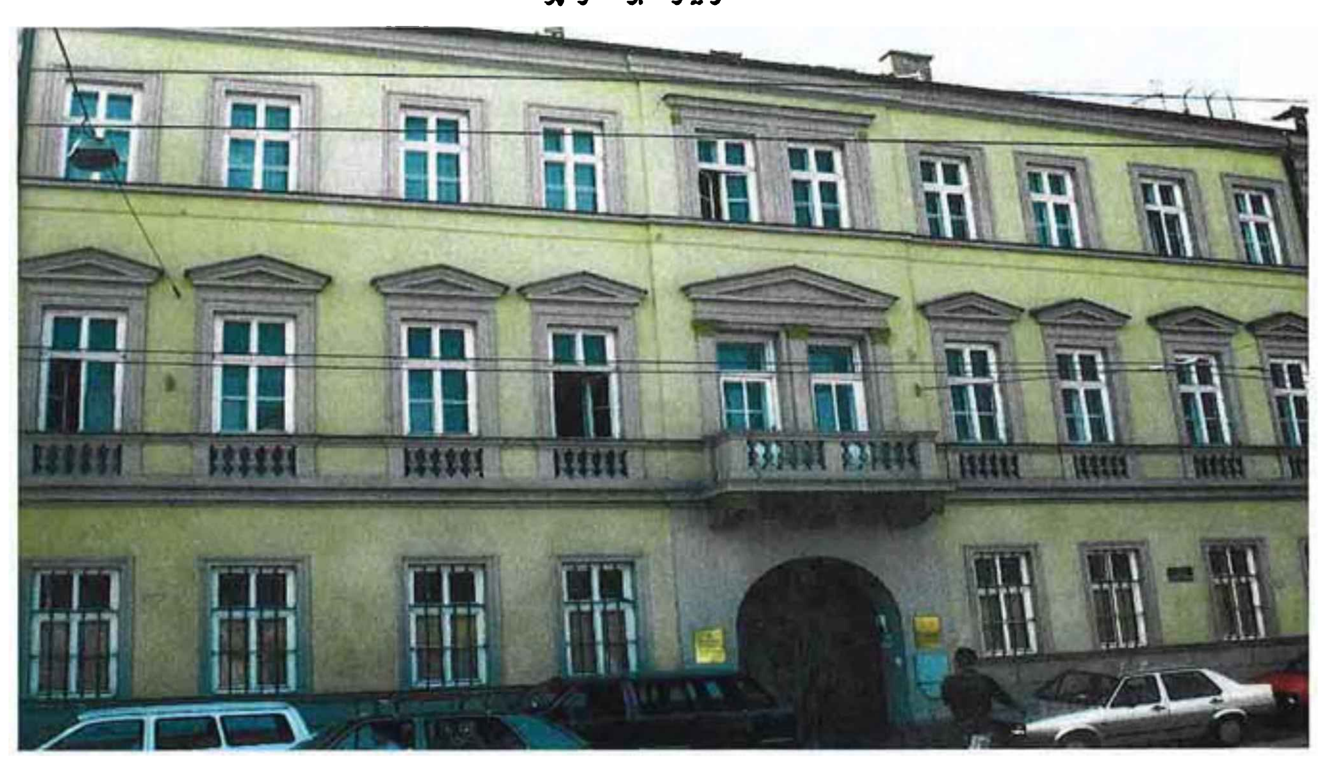
إن معرفة السمات الثقافية والاجتماعية تتطلب جهوداً كبيرة من أهل الاختصاص، في الدخول مع غير المسلمين ومعرفتهم عن قرب، والذهاب إلى بلدانهم ومعرفة طبائعهم «وعاداتهم وتقاليدهم وديانتهم، ومواطن الضعف فيهم، والوسائل التي تجذبهم»(٣٠)، وإفادة الدعاة بعد ذلك منها، وليس هذا الأمر ثانوياً في مجال الدعوة، بل هو أساس فيها، فإن من صميم احتياجات الداعية في كل عصر معرفة الواقع الذي يحيط به ومعرفة أحوال المدعوين.

المراجع والهوامش

١ـ د. صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص١٩٣.
٢، ٣ـ التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو، ١٩٧٨م، ص٣٢.
٤ـ المرجع السابق، ص٣٣.
٥ـ رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، جـ٣، ص١٤٠٧، رقم الحديث ٣٨٧٧، وانظر: ابن حجر، فتح الباري، جـ٧، ص١٨٨، وابن هشام، السيرة النبوية، جـ١، ص٣٢١.
٦ـ هو الحليس بن علقمة، أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، كان سيد الأحابيش، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، جـ١، ص٣١٢.
٧ـ مكرز بن حفص بن الأخيف، اختلف في صحبته، انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٥، ص٤٣٦.
٨ـ رواه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، جـ٢، ص٩٧٤، رقم الحديث ٢٧٣١.
٩ـ رواه البخاري، كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، جـ١، ص٩، رقم الحديث٧، ورواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، جـ٦، ص٣٤٦، رقم الحديث ١٧٧٣.
١٠ـ محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، المنار، جـ٤، ص٤٠.
١١ـ المصدر السابق، جـ٤، ص١٣٩، ١٤١ (بتصرف).
١٢ـ جواهر لال نهرو، اكتشاف الهند، ترجمة فاضل جنكر، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٩م، جـ١، ص٣٦٠.
١٣ـ هو محمد بن أحمد البيروني، توفي عام ٤٤٠هـ، له عدة مؤلفات منها: الآثار الباقية عن القرون الخالية، وكتابه عند الهند: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، انظر ترجمته في الكتاب نفسه.
١٤ـ البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص١٥.
١٥ـ المصدر السابق، ص١٧ ـ ٢٠.
١٦ـ جواهر لال نهرو، كان أول رئيس وزراء في الهند، له دور في تأسيس حركة عدم الانحياز، عمل رئيساً للوزراء حتى وفاته عام ١٩٦٤م، انظر: الموسوعة العربية العالمية، جـ٢٥، ص٤٣٦.
١٧ـ جواهر لال نهرو، اكتشاف الهند، جـ١، ص٣٦٦.
١٨ـ المرجع السابق، جـ١، ص٣٦١، «بتصرف».
١٩ـ البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، ص٧١.
٢٠ـ المقتدر بالله هو: جعفر بن الخليفة المعتضد بالله، بويع بالخلافة للدولة العباسية سنة ٢٩٥هـ، توفي سنة ٣٢٠هـ، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٥، ص٤٣، وابن العماد، شذرات الذهب، جـ٢، ص٢٨٤.
٢١ـ هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، لم أجد له ترجمة، انظر: رسالته في وصف الرحلة تحقيق د. سامي الدهان، مكتب الثقافة العالمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
٢٢ـ د. سامي الدهان، رسالة ابن فضلان (تحقيق)، ص٦٧.
٢٣ـ اغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م، جـ١، ص١٧، ٢٢، (بتصرف).
٢٤ـ المرجع السابق، جـ١، ص٢٣.
٢٥ـ اليكس انكلر، مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة: د. محمد الجوهري وآخرين، دار المعارف، مصر، ط٦، ١٩٨٣م، ص١٢٧.
٢٦ـ د. محمد عبدالهادي، الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، القاهرة، ٣٠/١ ـ ١٤١٢/٢/٣هـ الموافق ١٠ ـ ١٩٩١/٧/١٣م، ص٦.
٢٧ـ المرجع السابق، ص١٤، ص٢٣ (بتصرف).
٢٨ـ د. فادية عمر الجولاني، مبادئ علم الاجتماع، الدار الوطنية للنشر، الهفوف، ط١، ١٩٨٣م، ٤٦٧.
٢٩ـ وبقية الدول عامة.
٣٠ـ الغزالي، مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، ص٧٤.

مكتبة الغازي خسرو بك تمهد لإثبات الهوية

مصطفى يحيتش
سراييفو - البوسنة والهرسك



المبنى الحالي للمكتبة

لقد أحدث دخول بلاد البوسنة والهرسك تحت سلطة العثمانيين في القرن الخامس عشر الميلادي تغييرات كبيرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية لهذه البلاد. وقد دخل منذ ذلك الوقت عدد كبير من أهالي البوسنة والهرسك في الإسلام، تحت تأثير الثقافة الإسلامية التي حملها الأتراك العثمانيون معهم. وبدخول بعض أهالي بلادنا إلى الإسلام وإخلاصهم لعقيدتهم الجديدة، أصبح الإسلام دينًا قوميًا لهم. وبانتشار الإسلام في هذه البلاد، انتشرت حضارته وعلومه وآدابه باللغة العربية، والتركية، والفارسية. وكانت المساجد والكتاتيب، والمعاهد الدينية والتكايا المنتشرة في أنحاء البلاد ينابيع الكتابة والحضارة لهذا المجتمع الإسلامي، وكانت تبنى في المواضع التي يسكنها المسلمون ولاسيما في الأماكن الرئيسة.

وقد نشأت المكتبات الأولى في بلاد البوسنة والهرسك في القرن الخامس عشر الميلادي، وخلال القرن السادس عشر الميلادي أنشئت مكتبات إسلامية كثيرة عامة تابعة للأوقاف، وأخرى خاصة بأصحابها في أعظم مدن البوسنة والهرسك مثل: بنالوكا، وسرايفو، وموستار، وفوجا، وغيرها. وكان منها عدد في المدن الأخرى أيضاً، وكثير من المدن الصغيرة اليوم مثل: بروسانس - التي كانت تسمى آقحصار -، وأزفورنيك، وبوجيتل، وجاينجه، وإهليونو، وتيشان، وستولاتس، ونوسينه.

وكانت هذه المدن في الفترة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر مراكز مهمة للمعارف الإسلامية فقد كان بها كثير من المكتبات العامة والخاصة، كما كان فيها كثير من العلماء المشهورين بمعارفهم وآدابهم الإسلامية.

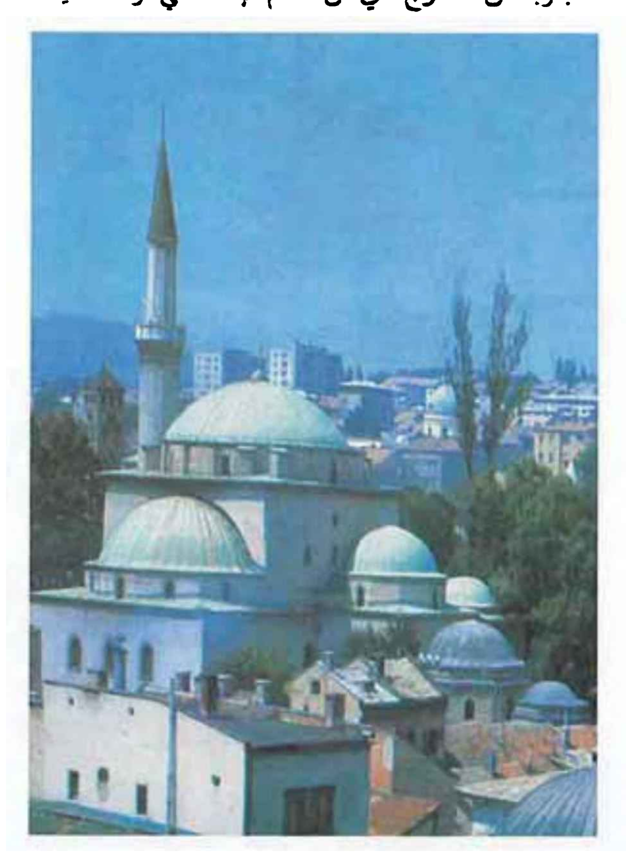
كتب من العالم الإسلامي

إن هذه المكتبات في بلادنا كانت تُزوَّد بكثير من الكتب التي جلبت من العالم الإسلامي. فقد كان لمسلمي هذه البلاد علاقات ثقافية قوية مع العالم الإسلامي. وكثيراً ما كانوا يرحلون لطلب العلم إلى أشهر مراكز المعارف الإسلامية مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة وإستانبول والقاهرة وبغداد ودمشق وغيرها من بلاد الشرق الأدنى وإفريقية الشمالية. وكان بعضهم الآخر يسافر إلى هذه المراكز لغرض التجارة، أو لشغل بعض الوظائف، أو لتأدية الحج والعمرة.

وكان كثير من أولئك وهؤلاء يرسلون إلى وطنهم كتباً، أو يأتون بها عند رجوعهم إليه للاحتفاظ بها في مكتباتهم الخاصة، أو لتقديمها إلى الأصدقاء، أو لتزويد المكتبات المحلية بها.

وإلى جانب ذلك كان هناك طريق آخر لتزويد هذه المكتبات بالكتب وهو طريق النسخ، فقد كانت الكتب في السابق - إلى أواخر القرن الثامن عشر - تنسخ في البوسنة والهرسك، كما تشهد بذلك التعليقات الموجودة على بعض المخطوطات. وكان بعض الناس يشتغلون بحرفة التجليد في كثير من مدنها. ففي وسط مدينة سرايفو اليوم مثلاً شارعان: اسم أحدهما «المجلدون الصغار» واسم الآخر «المجلدون الكبار».

ومما هو مهم أن كثيراً من الكتب في هذه المكتبات قد ألّفها علماء البوسنة والهرسك. وتتميز المكتبات الإسلامية فيها وفي سائر بلاد البلقان من المكتبات الشرقية في أوربا الغربية، إذ إن جميع المخطوطات الموجودة في مكتباتها مجلوبة من الخارج؛ أي من العالم الإسلامي، وهناك أيضاً



جامع السلطان ومكتبة غازي خسرو بك في مدينة سرايفو

مخطوطات نسخها أو كتبها علماء هذه البلاد ثم وصلت - في ظروف مختلفة - إلى تلك المكتبات.

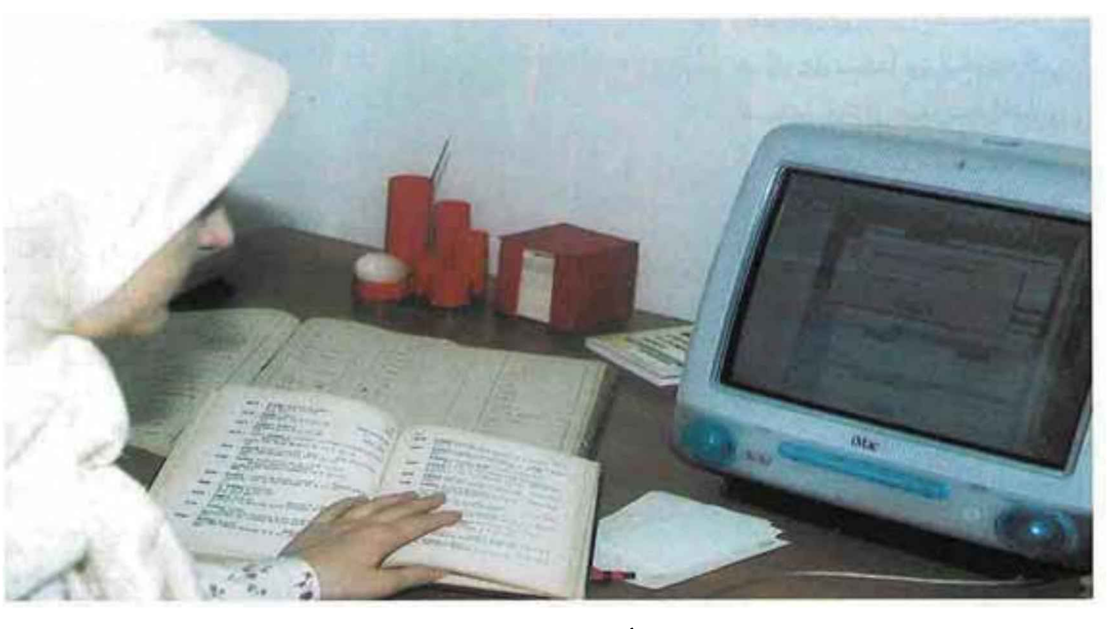
نهب وهلاك

الجدير بالذكر، أن المكتبات في البوسنة كانت عرضة للهلاك، والنهب بسبب الحروب أو الحرائق. وكثير من المخطوطات قد تلف، وبعضها قد نهب، بسبب جهل حافظي الكتب بقيمتها، وعدم مبالاتهم بحفظها، وبعضها تسرب إلى الخارج بطريق البيع أو غيره.

وفي الحرب الأخيرة التي تعرّض فيها مسلمو البوسنة والهرسك للقتل والتشريد، والتهجير، وتدمير الممتلكات، استهدف العدو الصربي والكرواتي أيضاً تخريب المعالم

التاريخية للبلاد، فحرّق مكتباتها التي تحتوي على كنوز من المخطوطات والكتب النادرة. واستهدفت نيرانهم كل المرافق والمؤسسات الإسلامية. وكذلك حرقت قذائف الصرب الجوامع والمدارس والبيوت والمكتبات.وكان مما دمر حرقًا المكتبة الوطنية والجامعية التي كانت تحتوي على أكثر من

فعندما رأوا أن نيران الصرب قد استهدفت كل المرافق والمؤسسات الإسلامية، استشعروا ما يهدد مكتبة الغازي خسرو بك من أخطار، وأدركوا خطورة الموقف فنقلوا المخطوطات والسجلات والوثائق من المقر القديم إلى مقر مؤقت، فلما اشتد القصف على العاصمة وأتت الحرائق على



•• فهرسة المخطوطات عن طريق الحاسوب ••

مليون مطبوع بين كتاب ومجلة وجريدة وأطروحة. واستهدفت قذائف الصرب المعهد الاستشراقي الذي حرّقوا فيه أكثر من خمسة آلاف مخطوطة إسلامية، ومجموعة الوثائق التاريخية المتعلقة بالبوسنة والهرسك، ومكتبة المطبوعات الخاصة بالباحثين في العلوم العالمية. وقد احترقت أيضًا الدوريات المحلية والعالمية، وباختصار حرّقوا فيه كل شيء، وعلى الرغم من جسامة الخسارة فإن الذين يدّعون الاهتمام بالاستشراق لم يتحركوا، بل شاهدوا ما يفعل أعداء الفكر مثل ما فعل إخوانهم معبرين عن كراهيتهم كل شيء إسلامي عندما أحرقوا المخطوطات في غرناطة في الأندلس وفي بغداد في العراق.

تلك خسائر لن تعوض، لأننا لا نملك لها نسخًا مصورة ولا ميكروفيلمات وهي خسارة لنا نحن البوسنيين في الدرجة الأولى، وللمسلمين في الدرجة الثانية، وخسارة للإنسانية في الدرجة الثالثة.

وقد تصرف البوسنيون بحكمة في الحرب الأخيرة،

الكثير من الأماكن خشوا على الكتب فغيروا مكانها ثماني مرات خلال سنوات الحرب الأربع. ووضعوا المخطوطات النفيسة التي تبلغ نحو مائتين في خزائن المصرف وبقيت هناك طوال سنوات الحرب.

وبعد أن عادت المكتبة إلى ممارسة دورها في خدمة التراث الإسلامي بدأت بإصدار فهارس المخطوطات الموجودة فيها وطُبعت سبعة مجلدات حتى الآن والمجلد الثامن تحت الإعداد لنشره، فقد كانت المخطوطات الإسلامية قبل العدوان الصربي والكرواتي على مسلمي البوسنة والهرسك تُحفظ في بعض المكتبات الأخرى في البوسنة والهرسك مثل: مكتبة المعهد الشرقي والمكتبة الوطنية والجامعية في سراييفو و(أرشيف) هرسيغوفينا في مدينة موستار وغيرها من المكتبات التي دمّرها العدوان الفاشي.

مكتبة خسرو بك خزينة المخطوطات الإسلامية

والآن أصبحت مكتبة الغازي خسروبك هي المكتبة الوحيدة

التي تُحفظ فيها المخطوطات الإسلامية في البوسنة والهرسك.

وتعد مكتبة الغازي خسروبك اليوم من أقدم المكتبات الإسلامية وأكبرها في أوربا، وهي اليوم الخزينة الوحيدة للمخطوطات الإسلامية في البوسنة والهرسك. وقد أسسها الغازي خسرو بك، أشهر ولاة الأتراك العثمانيين في البوسنة والهرسك لتكون مكتبة لمدرسته التي بناها قرب مسجده المشهور. غازي خسرو بك بوسنوي الأصل من جهة أبيه الذي كان من رجال الدولة التركية. وأما أمه فهي سلجوقة بنت السلطان بايزيد الثاني.

وُلد خسرو بك عام ١٤٨٠م وقد أسندت إليه الدولة العثمانية ولاية البوسنة عام ١٥٢١م، واستمرت ولايته عليها حتى وفاته عام ١٥٤١م، وقد اشتهر بتشييد عدة مؤسسات علمية وثقافية وخيرية في سرايفو، لا يزال بعضها موجوداً حتى وقتنا الحاضر. ومن تلك المؤسسات: المسجد، والمدرسة الدينية، والخانقاه، ومكتب تعليم الأطفال، والحمامات التركية العامة وغيرها. ومن أروع تلك المؤسسات هذه المكتبة التي أنشأها في الوقت الذي أنشأ فيه هذه المدرسة أي في عام ١٥٣٧م، وقد طلب الغازي خسروبك في وقفيته الخاصة بالمدرسة ما يلي: «.. وما يتبقى من تكاليف البناء يُبتاع به الكتب القيمة التي ستستعمل في المدرسة المذكورة ليستفيد منها كل من يطالعها ويستنسخها طلاب العلم...».

أما ما يتعلق بالكتب وتنظيمها وكيفية الاستفادة منها في الفترة الأولى لهذه المكتبة فليست لدينا معلومات صحيحة عنها، إلا أن ما نعرفه أنه كان لها في الربع الأول من القرن السابع عشر حافظ للكتب.

وقد بقي عدد قليل من مخطوطات خزينتها في أول عهدها، أما سائر كتبها فقد فُقدت في المحن التي مرت بها مدينة سرايفو خلال أربعة قرون من حروب وحرائق وفيضانات أصابت المكتبة نفسها. وعلى الرغم من هذه المحن فقد احتفظت حتى اليوم بعدة مخطوطات يتضح من خطها وأختامها أنها تمثل رصيداً من المخطوطات التي وقفها الغازي خسروبك نفسه كما أن هناك عدداً من الكتب التي استنسخت في مدرسة الغازي خسروبك، مما يدل على أن مدرسة كانت مركزاً مهمّاً لنسخ المخطوطات.



تم تصوير أكثر من ٥٠٠٠ مخطوطة على ميكروفيلم



إغناء المكتبة

وقد وصل بطريق الوقف أو الوصية أو التبرع أو الابتياع إلى هذه المكتبة عدة مكتبات خاصة قيمة ومجموعات من المخطوطات النادرة. وقد ازدادت ثروة مكتبة الغازي خسروبك على وجه الخصوص بعد إلحاق المكتبات العمومية الأخرى بها، وانتقال المخطوطات إليها من المدارس الإسلامية في البوسنة والهرسك.

وقد بذلت إدارة المكتبة وإدارة أوقاف الغازي خسروبك والمشيخة الإسلامية في البوسنة والهرسك جهدها لشراء عدة مكتبات مهمة كان يملكها بعض الأفراد والأشخاص المشهورين.

وبهذه الطرائق اجتمعت وتركزت في هذه المكتبة جميع مكتبات الأوقاف العامة وكثير من المكتبات الخاصة في البوسنة والهرسك.

وتحتوي المكتبة اليوم على نحو عشرة آلاف مخطوطة بين كتاب أو رسالة، بعضها منفرد، وبعضها مضموم إلى غيره.

كما تضم المكتبة ـ إلى جانب ذلك ـ أربعة وثمانين سجلا للمحكمة الشرعية في سرايفو (وهي سجلات من القرن السادس عشر إلى التاسع عشر الميلادي) وعدداً من دفاتر

مـالية لوقف الغـازي خـسـرو بك، ثم مـا يقـرب من ١٤٠٠ وقفية (وقـفنامه) وما يقدر بنحو ٣٥٠٠ وثيقة تاريخية يرجع زمنها إلى الفترة بين القرن السادس عشر ومنتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن المكتبة تحتوي على الكتب المطبوعة باللغات الإسلامية العربية والتركية والفارسية وبعض اللغات الأوروبية التي يتجاوز عددها ٤٠.٠٠٠ كتاب بالإضافة إلى الأعداد الأولى لمجموعة من المجلات الشهرية والأسبوعية في البوسنة والهرسك ومجموعات أخرى من الصور القديمة والنشرات المطبوعة التي لها مساس بماضي مسلمي البوسنة والهرسك وثقافتهم.


مخزون المخطوطات

ولمكتبة الغازي خسروبك أهمية كبرى، لأنها تضم كثيراً من المخطوطات. فيها الكتب العربية، والتركية، والفارسية من مختلف البلاد الإسلامية، وأكثرية كتبها مكتوبة باللغة العربية، ثم منها عدد غير قليل باللغة التركية، وأقلها باللغة الفارسية. بينها مخطوطات قديمة ونادرة تتناول العلوم الإسلامية، ولا سيما علم التفسير وعلم الحديث وعلم الفق. وتمتاز المخطوطات التركية بكثرة المواد التاريخية والأدبية، كما تمتاز المخطوطات الفارسية بوجود عدة تآليف منها في فنّ الأدب والشعر الفارسي الكلاسيكي.

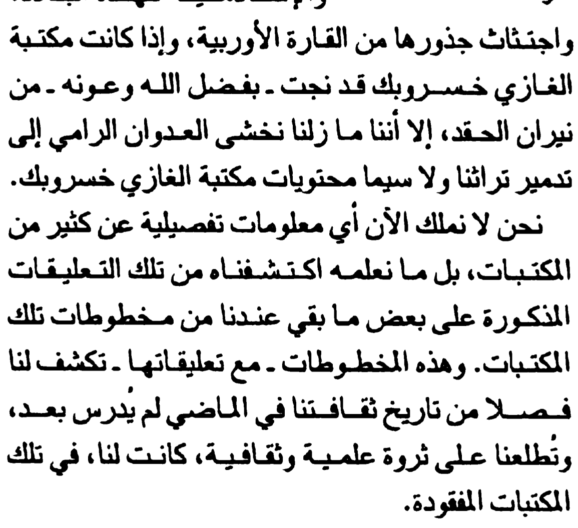
وفي بعض المخطوطات نماذج رائعة في الرسم اليدوي وحسن الخط وبديعه.

مؤلفون بوسنيون

وتشتمل هذه المكتبة على عدد كبير من الكتب تُعين على دراسة الآداب العربية والتركية والفارسية التي كانت تنمو وتزدهر في البوسنة والهرسك. ومن بين هذه الكتب مؤلفات كثيرة لعلماء البوسنة والهرسك الذين كتبوا باللغات الثلاث المذكورة. ومنها مؤلفات حسن كافي الآقحصاري البوسني (ت: سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م) الذي كان أبرز شخصية بين مثقفي البوسنة في القرن السادس عشر الميلادي، ومثل مؤلفات مصطفى بن يوسف أيوبي زاده الموستاري (ت: ١٠٩٨هـ/١٦٨٦م)، ومؤلفات الشيخ علاء الدين علي دده ابن مصطفى البوسني (ت: ١٠٠٧هـ/١٥٩٨م)، ومؤلفات أحمد بن مصطفى المفتي الموستاري (ت: ١١٩٠هـ/١٧٧٦م)، ومؤلفات إبراهيم بن إسماعيل أوبياج (ت: ١١٣٨هـ/١٧٢٥م)، ثم مؤلفات أحمد سودي البوسني، شارح الشعراء الكلاسيكيين الفارسيين (ت: ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م)، وغيرهم.

اجتثاث الجذور

إن الاعتداء على كل أثر إسلامي في البوسنة يأتي لكون الصرب والكروات يرون في تدمير التراث البوسني الإسلامي نصراً لهم في سبيل إلغاء الهوية الوطنية والإسلامية لهذه البلاد، واجتثاث جذورها من القارة الأوربية، وإذا كانت مكتبة الغازي خسروبك قد نجت - بفضل الله وعونه - من نيران الحقد، إلا أننا ما زلنا نخشى العدوان الرامي إلى تدمير تراثنا ولا سيما محتويات مكتبة الغازي خسروبك.



نحن لا نملك الآن أي معلومات تفصيلية عن كثير من المكتبات، بل ما نعلمه اكتشفناه من تلك التعليقات المذكورة على بعض ما بقي عندنا من مخطوطات تلك المكتبات. وهذه المخطوطات - مع تعليقاتها - تكشف لنا فصلا من تاريخ ثقافتنا في الماضي لم يُدرس بعد، وتُطلعنا على ثروة علمية وثقافية، كانت لنا، في تلك المكتبات المفقودة.

الشاي الأخضر وصحة المرأة

درويش مصطفى الشافعي
إربد - الأردن

النباتات هي إحدى الآلاء العظيمة التي أنعم بها الله على عباده، وهي إحدى المقومات الرئيسة التي تسهم في استمرار الحياة على الأرض. وقد استطاع الإنسان بهدي من الله، أن يكتشف الخواص الطبية، والغذائية، والصناعية، لعدد كبير من النباتات، وأن يفيد منها في شتى مناحي حياته. وكان الشاي إحدى النباتات التي استعملها الإنسان لسنين طويلة شراباً منعشاً لذيذاً، ولكن عندما تناوله العلماء بالبحث والتحليل وجدوا فيه خصائص طبية مهمة، وفوائد غذائية كثيرة، أدهشت الأوساط العلمية.

ولما كان تناول هذا الموضوع من جوانبه كافة يطول ويتشعب، بحيث لا تتسع له عشرات الصفحات، فإننا سنلقي الضوء على أهمية الشاي الأخضر لصحة المرأة.

ما هو الشاي؟

الشاي شجرة صغيرة، لو تركت على طبيعتها لوصل طولها إلى ثمانية عشر متراً. واسمها العلمي Camellia Sinensis وتنتمي إلى الفصيلة الكاميلية، ويختلف طول أوراقها وشكلها حسب عمرها، فالأوراق الكبيرة رمحية الشكل ومسننة، يصل طولها إلى ١٢ سم. أما الأوراق الصغيرة فهي بيضوية الشكل ومُسنّنة الحواف أيضاً، وتحتوي الأوراق على غدد زيتية، ومواد طبية، وغذائية متعددة، أما أزهار الشاي فهي بسيطة التركيب بيضاء أو قرمزية اللون، ولها رائحة زكية، تشكل بعد التلقيح ثماراً علبية تحتوي كل منها على ثلاث بذور. ويُعتقد أن الشاي عُرف أول مرة في جنوب شرق آسيا ولاسيما في الصين، وقد جاء ذكره في كتاب ألّفه لويو Luyu عام ٧٨٠ قبل الميلاد.

أوراق الشاي اليافعة

الشاي الأخضر والشاي الأسود

بعد قطف أوراق الشاي الغضة، تُجفف بطرق بسيطة، ثم تحفظ في عبوات محكمة، بعيدة عن الرطوبة، فتظل محتفظة بلونها الأخضر، وعناصرها الطبية والغذائية. وهذا هو الشاي الأخضر Green Tea، المشروب الشائع في بلدان جنوب شرق آسيا وبلدان المغرب العربي. ويتشكل الشاي الأسود Black Tea عندما تخضع أوراق الشاي الخضراء لعمليات معقدة مثل

التخمير والترطيب، وهذا يؤدي إلى فقدان أوراق الشاي الخضراء معظم خواصها الطبية والغذائية، وترتفع نسبة الكافيئين إلى أكثر من الضعف وتتشكل مواد جديدة أقل فائدة.

القيمة الغذائية للشاي الأخضر

تحتوي أوراق الشاي الأخضر الغضة والمجففة على عدد من الفيتامينات الضرورية مثل فيتامين ب، د، ك، هـ، وطلائع فيتامين أ وفيتامين ج التي تعدل كميتها في ملعقة صغيرة من أوراق الشاي الخضراء الجافة كميتها في برتقالة متوسطة الحجم.

وتحتوي أوراق الشاي على ستة عشر عنصراً معدنياً منها: البوتاسيوم، والمغنيزيوم، والزنك، والفلور، والحديد، والإسترونتيم، والنحاس. ويوجد في الشاي الأخضر عشرون حمضاً أمينيًا من أهمها الثيانين Theanine الذي لا يوجد إلا في الشاي وله تأثير طبي مهم حيث يعزز فعالية بعض الأدوية المضادة للسرطان، والحمض الأميني Butylated Hydroxyanisole الذي يحُول دون تصلب الشرايين، والحمض الأميني R-Amion Butyric Acid الذي يخفض الضغط الشرياني المرتفع.

آلية التأثير الطبي للشاي الأخضر

بيُنت الدراسات والتحاليل المخبرية وجود مركبات في الشاي الأخضر تسمًى البوليفينولات Polyphenols التي تحتوي على أربعة أنواع من الكاتشنات Catechines يرمز إليها بـ BGCG. BGC. ECG. EC، وتصنف هذه المواد كمضادات للأكسدة Antioxidants حيث تطرد السموم من الجسم وتعمل على إبطاء عمليات التأكسد التي تحدث بصورة طبيعية في خلايا الجسم، والتي تتسارع في حالة المرض والتدخين والقلق والتوتر والتسمم الغذائي.

ويعتقد العلماء أن الكاتشنات تقوم بتغليف الحمض النووي Dna المسؤول عن وظائف الخلايا وصفاتها وتحميه من تأثير المواد المسرطنة والشقوق الحرة Free



تحتوي أوراق الشاي الأخضر على عدد من الفيتامينات والعناصر المعدنية الضرورية

Radicals. ويشارك الكاتشينات في وظائفها هذه كل من فيتامين هـ، ج، وعنصر السلينيوم، وبالإضافة إلى ذلك تُسهم الكاتشينات بطرق مختلفة في منع تصلب الأوعية الدموية، وتقلل احتمالات حدوث الجلطات الدموية والأمراض الخبيثة.

علاقة الشاي الأخضر بصحة المرأة

تتعرض النساء للإصابة ببعض الأمراض أكثر من الرجال، بسبب طبيعة تركيبها ووظائف أعضائها، ولعل الأمراض التالية من أبرزها:

هشاشة العظام Osteoporosis: تمر العظام بصورة طبيعية وبشكل مستمر بعملية بناء وهدم كما هو الحال في خلايا وأنسجة الجسم الأخرى، وكثيراً ما يحدث أن تزداد عملية الهدم على حساب عملية البناء لأسباب غذائية أو مرضية، أو بسبب تناول بعض الأدوية مثل الكورتيزون ومشتقاته، فتكون النتيجة اضمحلال كمية الكالسيوم والعناصر المعدنية الأخرى التي تدخل في تركيب الهيكل العظمي وبنائه، فتصبح العظام ضعيفة هشة قابلةً للكسر لأتفه الأسباب، ويقل طول القامة وتظهر آلام في العظام والمفاصل. ومع أن هشاشة العظام تحدث عند الرجال والنساء على حد سواء إلا أن النساء أكثر تعرضاً لها بنسبة ٨ إلى ١. ويزداد احتمال حدوث هشاشة العظام عند النساء مع بداية سن اليأس عندما يقل أو ينعدم إفراز المبيض لهرمون الأستروجين والبروجسترون اللذين يُسهمان في تمثيل الكالسيوم وترسيبه على العظام.

ومن أجل الوقاية من هشاشة العظام ينصح الأطباء المريضات بتناول أقراص تكميلية تحتوي على الهرمونين المذكورين، وأقراص أخرى تحتوي على كالسيوم سهل الامتصاص والتمثيل، وكذلك ممارسة الرياضة، ولكن ما علاقة هشاشة العظام بالشاي الأخضر؟

لقد لاحظ الباحثون أن نسبة تعرض السيدات اليابانيات إلى هشاشة العظام أقل بكثير من السيدات الأمريكيات، وبعد إجراء عدة تجارب على الحيوانات المخبرية ومعالجات سريرية تبين أن كاتشنات الشاي الأخضر تشجع على تمثيل الكالسيوم وترسيبه على العظام، وتؤخر عملية الهدم. ومن المعروف أن السيدات اليابانيات يكثرن من شرب الشاي الأخضر.

سرطان الثدي: يحتل سرطان الثدي المرتبة الأولى في قائمة الأمراض السرطانية التي تصاب بها النساء. وقد لاحظ الباحثون أن نسبة الإصابة بسرطان الثدي عند السيدات اليابانيات اللاتي هاجرن إلى أمريكا وتكيفن مع



أزهار الشاي مصدر لصناعة العطور

نمط الحياة فيها هي أكبر بكثير من نسبتها عند اليابانيات اللاتي يقمن في اليابان. وقد عزا الباحثون ذلك إلى النمط الغذائي السائد في أمريكا. ولمعرفة دور الشاي الأخضر في الوقاية من سرطان الثدي أجرى الباحثون عشرات الأبحاث والتجارب على الحيوانات المخبرية نذكر منها التجارب التالية:

- جرى عرض مجموعة من الفئران على تأثير مواد تسبب سرطان الثدي، وفي الوقت نفسه تم عرض مجموعة أخرى من الفئران على المواد ذاتها ولكن أضيفت إلى علفها خلاصة الشاي الأخضر. وبعد مضي ستة وثلاثين أسبوعاً على التجربة لاحظ الباحثون أن معظم الفئران التي زودت بخلاصة الشاي قد نجت من سرطان الثدي، وكان سرطان الثدي عند البقيّة القليلة صغيراً ومحدوداً، أما مجموعة الفئران الأولى فقد أصيبت جميعها دون استثناء.

- قام باحثون من جامعة ناجويا اليابانية بدراسة عدة أنواع من الخضار والفاكهة والأعشاب البرية، بغية

إيجاد مضادات أكسدة قوية تقاوم الأمراض السرطانية وتقي منها، لكنهم لم يعثروا على أقوى من مضادات الأكسدة (البوليفينولات) الموجودة في الشاي الأخضر وفي دراسات أخرى وجد الباحثون أن المركب المسمى إبيجالوكاتشين جاليت E G C G الموجود بكمية كبيرة في الشاي الأخضر هو المسؤول المباشر عن وقف

المسماة Streptococcus Mutans وقد وجد الدكتور تاوسونج أن مركبات البوليفينولات الموجودة في الشاي الأخضر تقضي تماماً على هذه الجراثيم وتمنع تشكل المواد الكلسية (البلاك) على الأسنان، ومن المعروف أن البلاك يشكل فراغات بين الأسنان واللثة مما يوفر بيئة مناسبة لنمو الجراثيم التي تتلف اللثة



الشاي الأخضر مشروب تقليدي شائع في بلدان المغرب العربي

سرطان الثدي، وذلك من خلال إيقافه عمل الإنزيم Ornithine Decarboxylase الذي يشجع على تحول الخلايا السليمة إلى خلايا سرطانية، ويساعد على انقسامها، ويقول الباحثون إنه كلما زاد تركيز مركبات البوليفينولات في الجسم قل احتمال الإصابة بالسرطان.

وعلى ضوء نتائج أبحاث كهذه وكثير غيرها قامت مصانع الأدوية باستخلاص مركبات الشاي الفاعلة وعملت على تركيزها في كبسولات وأقراص صيدلانية.

تسوس الأسنان وتلف اللثة: تتعرض معظم السيدات بسبب تكرار الحمل والرضاعة إلى زوال أو ضعف مينا الأسنان مما يجعلها عرضة لمهاجمة الجراثيم الفموية

وتنخر الأسنان. ونتيجة لدور الشاي الفاعل في حماية الأسنان واللثة من التلف فقد قامت عدة مصانع بإنتاج معاجين أسنان وغسولات فموية من خلاصات الشاي الأخضر.

ترهل الجلد وتجاعيد الوجه: تهتم المرأة أكثر من الرجل بجمال وصحة وجهها، وبشرة المرأة رقيقة تتأثر بالعوامل الضارة أكثر من الرجل. والحقيقة أن صحة جلد المرأة وبشرتها تواجه اليوم تهديدات خطيرة من أهمها سوء أو ضعف التغذية والشقوق الحرة وتلوث الهواء، والأشعة فوق البنفسجية U V التي تصدر عن الشمس، وبقليل من الجهد والوقاية تستطيع المرأة المحافظة على بشرتها

وتأخير ظهور التجاعيد والخطوط على وجهها من خلال ارتداء النظارات الشمسية والقبعات، وتناول الأغذية الغنية بفيتامين هـ، وتجنب التواجد في الأماكن الملوثة بعوادم السيارات، ودخان السجائر. أما تجنب أضرار الشقوق الحرة التي تتلف الكولاجين Collagen وهي المادة المسؤولة عن جمال الجلد وشبابه فيتم عن طريق تناول الكثير من مضادات الأكسدة المتوافرة في الخضار والفاكهة مثل الفراولة والتوت والحمضيات والبازلاء والفاصوليا، والسبانخ.. وغيرها.

وقد وجد الباحثون أن الكاتشينات إبيكاتشين جاليت E C G، والأبيجالو كاتشين جاليت E G C G من أفضل مضادات الأكسدة المعروفة في حماية الكولاجين من تأثير الشقوق الحرة والأشعة فوق البنفسجية وأقواها، كما أنها تثبط عمل الإنزيم Collagenase، الموجود طبيعيا في الجسم والمسؤول عن تكسير جزيئات الكولاجين. وعلى ضوء هذه الاكتشافات قامت مصانع الأدوية بإنتاج شامبوهات وكريمات تحتوي على خلاصة الشاي الأخضر.

السمنة الزائدة: تعد السمنة الزائدة مشكلة عالمية يعاني منها عدد كبير من الناس خصوصاً السيدات، وذلك بسبب طبيعة حياتهن والحمل وارتباطهن بالمطبخ. وقد تكون السمنة الزائدة نتيجة خلل هرموني أو بسبب كثرة تناول الطعام أو استعمال بعض الأدوية مثل الكورتيزون لفترة زمنية طويلة، أو لأسباب خلقية ووراثية.

ويعمل الشاي الأخضر بطريقتين لتخفيف الوزن هما ما يلي:

ـ تعمل كاتشنات الشاي على تقليل فعالية إنزيم الأميلز Amylase المسؤول عن تكسير المواد


أوراق الشاي الأخضر المجففة

الكربوهيدراتية وتحويلها إلى جزيئات بسيطة (الجلوكوز) ومن ثم نقل إفادة الجسم من المواد الكربوهيدراتية. وقد وُجد أن فنجاناً واحداً من الشاي غير المحلّى بالسكر يقلل نشاط إنزيم الأميلز بنسبة ٨٥٪.

ـ تتحد مركبات البوليفينولات مع أملاح العصارة الصفراوية ومستحلب الدهون فيتشكل راسب غير قابل للامتصاص من الأمعاء، مما يؤدي إلى عدم وصول الدهون إلى الدم والاستفادة منها.

وهناك فوائد تجنيها المرأة من تناولها الشاي الأخضر، مثل التخلص من قشرة الرأس وإزالة حبوب الوجه، وفوائد كثيرة أخرى.

المراجع

1- Hirose M.hoshiya T. Akagik, Takahashi S. Hara y. Ito N. Effects of green tea catechines in rat multi-organ Carcinogenesis model carcinogenesis model. Carcinogenesis 1993 14: 1549-1553.

2- Komori A. yatsunami J. Okabe S. etal. Anticarcino genesis activity of green tea Polphenois. T Pn T Clin Oncol. 1993' 23: 186-190.

3- Sakanaka S. Kim M. Taniguchi M. yamamo to T. Antibacteriai Substances in Tapanese green tea extracts against Streptococcus mutans. a Cariogenic bacterium. Agric Biol Chem. 19Bg: 53:2307 - 2311.

4- Araki R. Tnoue S. Oshournel M. Telang N. Cheroprevention of mammary neopiasia. In Vitro effects of a green Tea. Polyphenois.Ann Ny Acad Sci.1995'Y68:215-222.

5- Muramatsuk, Fukuyo M.hara Y.Effect of green tea catechines on plasma cholesterol Level in cholesterol-ted rats. T Nutr Sci vitamino (Tokyo) 1988'32: 613-622.

الحل والمصير...

ثاني أكسيد الكربون وغازات الدفيئة

ميسون عبدالرحمن النحلاوي

دمشق - سورية

الاحتباس الحراري، أو ما يسمى بالتسخين الكروي، مصطلح شاع كثيراً في السنوات الأخيرة من القرن العشرين وهو موضوع ساخن لا تزال المناقشات حوله في ذروتها. وقد بدأت آثاره المدمرة بالظهور شيئًا فشيئًا ابتداءً من ثمانينيات القرن الماضي، مع تزايد الخوف من آثاره القادمة.

توازن الطاقة الأرضية والدفيئة

تستقبل الأرض عبر غلافها الجوي المحيط، وبصورة مستمرة نحو ١٠×١.٧ واط يوميًا من شعاع الشمس، وهذا الشعاع هو المصدر الرئيس للطاقة على كوكب الأرض. وهو عامل جد حيوي لاستمرار الحياة عليها. وعندما تصل الأشعة الشمسية إلى سطح الأرض يجري امتصاص جزء منها، وعكس الجزء الآخر. أما الجزء الممتص فيستخدم في تسخين السطح، ولهذا السبب تعزا سخونة الأجسام التي يصيبها نور الشمس، ومن هنا نتوصل إلى النتيجة القائلة: إن ما يسخن الجو هو في الواقع سطح الأرض الساخن، وليس أشعة الشمس التي تمر عبره. ويدعى إشعاع الشمس بالإشعاع ذي الموجة القصيرة. أما ذلك الصادر عن الأرض فيدعى بالإشعاع ذي الموجة الطويلة. إلا أن هذا الأخير لا يمر بطلاقة عبر الهواء، حيث يتم امتصاص جزء منه من قبل بخار الماء وثاني أكسيد الكربون على وجه الخصوص فيسخن الهواء نتيجة لذلك، ويقوم بدوره، أي الهواء، بإطلاق بعض الحرارة إلى الأرض وبعض منها إلى الفضاء، وهكذا يعمل الجو، بحبسه بعض الإشعاع المنطلق على جعل سطح الأرض أكثر دفئًا ويدعى هذا بمفعول «الدفيئة» (ظاهرة البيوت الزجاجية أو Green House).

ويعد معدل درجة حرارة الكوكب الحالية البالغة نحو ١٥ درجة مئوية أعلى من حرارة الفضاء الخارجي بنحو ٢٧٠ درجة مئوية، وبذلك تعمل الأرض مشعًا كوكبيًا لمحيطها الفاتر. ويبلغ معدل الطاقة التي تغادر سطح الأرض ضعف معدل امتصاص الكوكب للطاقة الشمسية بشكل مباشر. وفي هذا تكون الأرض في وضع

يشبه ما يحدث لأحدنا عندما ينفق من مدخراته أكثر مما يجنيه وبهذا يغرق في الدين. وفي وضعنا هذا ستكون النتيجة أن تغرق الأرض في وضع من البرودة غير المتناهية، إلا أن هذا ما لا يحدث في الواقع فللأرض مدخراتها الداخلية، وهي غلافها الجوي الذي يحفظ لها توازنها.

يمتص الغلاف الجوي ٨٤٪ من الحرارة التي تشعها الأرض ليعيدها من جديد إلى الأرض، ونتيجة لهذا التبادل يعيش كوكب الأرض في حالة من التوازن بين الطاقة التي ترسلها الشمس إلى الأرض وما تعطيه الأرض من طاقة.

تمتص المنطقة تحت الحمراء من الطيف، ثم إنها تسمح لأشعة الشمس بالمرور ولكنها تحتجز الكثير من الحرارة الصادرة عن الأرض. والآلية أصبحت واضحة فكما علمنا أن لغاز ثاني أكسيد الكربون دوراً كبيراً في معادلة التوازن الحراري للأرض، ولكن إذا كان القليل منه مفيداً فالأكثر منه ليس كذلك؛ وبتعبير آخر، إن أي زيادة في ماص الأشعة تحت الحمراء، وهو غاز CO^2، تعني ارتداد نسبة زائدة على الـ ٨٤٪ إلى الأرض ومن ثم سيكون هناك زيادة ملازمة في معدل درجات الحرارة.



الاعتداءات الصارخة على الغابات تزيد من كمية ثاني أكسيد الكربون في الجو

وهذا ما يسبب حالة من الثبات مع معدل نظامي لدرجة حرارة اليابسة يقل أو يكثر.

فعبارة يقل أو يكثر هذه هي بيت القصيد، بمعنى آخر هي محور الدراسات والاهتمامات التي تدور في فلك «التسخين الكروي»، ونسبة ٨٤٪ من الطاقة الصادرة عن سطح الأرض هي التي تحدد تأثير «الدفيئة».

تتكون نوافذ «الدفيئة» أو البيوت الزجاجية أو Green house من جزيئات شفافة تسمح بمرور الضوء إلا أنها

وتعود بدايات هذه الدراسة إلى عام ١٩٠٠م حين قام العالم الكيميائي السويدي سفانت أرهينوس (١٨٥٩ - ١٩٢٧م) بدراسة مدى تأثير هذه الزيادة، فوجد أن تضاعف تركيز غاز CO^2 ستنتج عنه زيادة في درجة حرارة سطح النبات بمعدل ٥ - ٦ درجات مئوية!

فقد أدى ازدياد تركيز ثاني أكسيد الكربون في القرن التاسع عشر بمعدل ٢٥٪ إلى ازدياد معدل حرارة النبات في إحدى المناطق التي أخضعت للدراسة بنسبة ٠.٥ و ٠.٦ درجة مئوية.

الميزانية التاريخية والحديثة لغاز ثاني أكسيد الكربون

أمكن تحديد التغير في توازن غاز ثاني أكسيد الكربون الجوي عند نهاية العصر الجليدي Pleistocene بدقة، من خلال سجل الفقاعات الهوائية المحتجزة في الجليد القطبي. وتشير أفضل سجلات النوى الجليدية (من محطة بايرد Byrde في القارة القطبية) إلى أن تركيزات ثاني أكسيد الكربون التي سجلت بين الـ ١٧٠٠٠ و ١٨٠٠٠ سنة الماضية قد قفزت من 200 PPM إلى 280 PPM وهي النسبة



الصحارى تتسع رقعتها بزيادة النشاط البشري

المسجلة بين الـ ١٠٠٠٠ و ١١٠٠٠ سنة الماضية. وهذه الزيادة سجلت معدل ترسبات بلغ نحو ١٧٠ غيغاطن من الكربون الجوي، أي بمعدل 0,03 - 0,02 غيغاطن من الكربون في السنة.

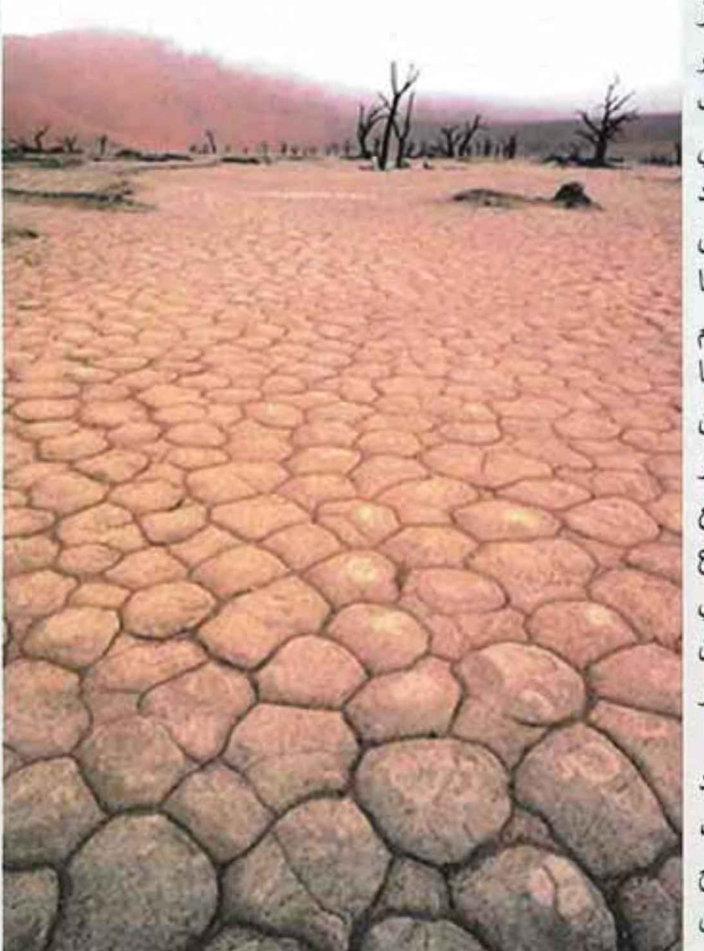
وعلى سبيل الموازنة تشير الإحصاءات الحديثة إلى أن تزايد التركيزات الجوية لغاز ثاني أكسيد الكربون منذ القرن التاسع عشر ١٨٠٠ يسير بالنسبة نفسها أما معدل ترسبات ثاني أكسيد الكربون في طبقات الجو في وقتنا الحاضر فيصل إلى ٣ غيغاطن في السنة، ولكن من الصعب وجود أي عملية طبيعية يمكن أن تحرر ثاني أكسيد الكربون إلى الجو بسرعة الفعاليات البشرية نفسها.

من جهة أخرى فإن تدفقات ثاني أكسيد الكربون المرتبطة بالتجوية الكيميائية والقوة البركانية ضئيلة جداً؛ إذ إن مساهمتها لا تذكر في زيادة ثاني أكسيد الكربون الناتجة من الانحسار الجليدي. وكذلك لا توجد أدلة على زيادة ضخمة في البركانية الأرضية في نهاية العصر الجليدي. وقد تم تقويم إصدارات ثاني أكسيد الكربون الكروية في العصر الحديث الناتجة من البراكين بنحو 0,05 - 0,04 غيغاطن من الكربون في السنة وسطياً.

وإذا كانت الفعاليات البشرية هي المصدر الأكبر للزيادة الحديثة في تركيزات ثاني أكسيد الكربون بشكل عام، فقد زاد الوقود الأحفوري، الذي ازدهر استخدامه في القرن الأخير، الطين بلّةً. لقد أسهمت الفعاليات الصناعية (بما فيها عمليات تكليس حجر الكلس في إنتاج الإسمنت) بإنتاج نحو ٢٢٠

غيغاطن من الكربون وثاني أكسيد الكربون بين عام ١٧٥٠م و١٩٩٠م. وقد أخذ عملياً، أكثر من ثلثي هذا الإنتاج مكانه بعد عام ١٩٥٠م، إلا أن فعاليات بشرية من نوع آخر ساهمت في تحرير كميات ذات قيمة من غاز ثاني أكسيد الكربون إلى الجو وذلك قبل بداية الفعاليات الصناعية ومن ثم شاركت في زيادة تركيز هذا الغاز في الجو؛ فقد كان لتحويل الغابات إلى مناطق زراعية وخاصةً في مناطق أمريكا الشمالية، بين عام ١٧٥٠م و١٨٥٠م أثر كبير في إطلاق ما يقارب ٤٠ غيغاطن من الكربون وثاني أكسيد الكربون من الأشجار والتربة. وعلى الرغم من أن قطع الأشجار وتحويل الغابات إلى مراع وأراض زراعية يسببان زيادة في ثاني أكسيد الكربون الجوي، إلا أن حرقها يحرر هذا الغاز بشكل مباشر وسرعة أكبر.

هذا الإطلاق لثاني أكسيد الكربون تنامى مع تكاثر السكان، خاصة في المناطق المدارية، وقد نتج منه بشكل تلقائي توسع في المناطق الزراعية، إلا أن تقدير تأثير استخدامات الأراضي السكانية في ميزانية ثاني أكسيد الكربون يبقى أكثر صعوبة من تقدير كميته الصناعية المحررة.



التغيرات المناخية تنذر بلداناً كثيرة بالجفاف والتصحر

ميزانية ثاني أكسيد الكربون المستقبلية

تختلف التنبؤات المستقبلية حول إصدارات غاز ثاني أكسيد الكربون بشكل كبير، ويعتمد هذا التفاوت على الافتراضات المتباينة للأسباب مثل السكان، النمو الاقتصادي، معدات الطاقة والتكنولوجيا، والاستخدامات الأرضية. ويقول أحد الملخصات الحديثة التي تتناول تقاويم الإصدار التراكمية الواقعة بين عام ١٩٩٠م و٢١٠٠م: إنها قد تراوح بين ٧٠٠ و٢١٠٠ غيغاطن من الكربون. وقد تتجاوز كمية ثاني أكسيد الكربون البشري المتراكمة خلال القرن القادم كميته التي صدرت عن البحر العميق خلال فترة الـ٧٠٠٠ سنة الماضية أي عند نهاية الانحسار الجليدي.

نحن نحقن الغلاف الجوي بغاز ثاني أكسيد الكربون بشكل مباشر، ومن الجو يتخذ طريقه عائداً إلى الأرض والبحر وذلك عن طريق الامتصاص، والتبادل الغازي وكذلك ينتقل تأثير الدفيئة وغازات إنسانية أخرى من الجو باتجاه الأسفل على شكل انتقال حراري عبر سطح المحيط والأرض. وقد تؤدي هذه التغيرات في النهاية إلى تعديلات كبيرة في دورة الكربون والنظام المناخي تشبه في بعض جوانبها تلك التي حدثت خلال فترة الانحسار الجليدي.

وماذا بعد..؟

تفاقمت المشكلة في السنوات الأخيرة من القرن الماضي حتى أصبحت الشغل الشاغل لعلماء البيئة، بعد ما أخذت بصماتها تظهر بقوة على أصقاع العالم شرقه وغربه. وقد وصل علم التغيير المناخي في النهاية إلى درجة معقولة من الإجماع العالمي، على الرغم من أن هذا لم يحصل في النواحي السياسية والاقتصادية.

ويحتدم النقاش عالمياً في أسئلة متبادلة حول من المسؤول الأول عن الزيادة الحاصلة في تركيزات غازات الدفيئة؟ ومن ثم ما البلد الذي يتوجب عليه المبادرة إلى التخفيض، وما كمية التخفيض المستحقة؟

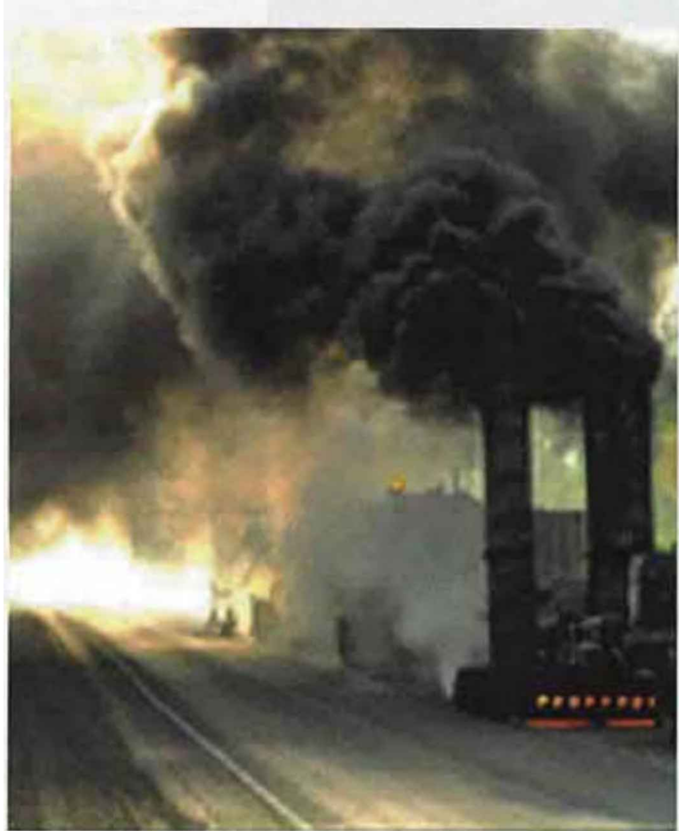
أثبتت الدراسات أن السبب الرئيس لزيادة تركيز غازات الدفيئة العالمية يعود بالدرجة الأولى إلى النمو والازدهار الصناعي الذي رعته وعملت على تطوره البلدان الصناعية باستخدام الوقود الأحفوري. ومن هنا ترى البلدان النامية أن هذه البلدان الصناعية هي التي يتوجب عليها اتخاذ الإجراءات اللازمة للحد من الإصدارات الغازية وأن عليها أن تعمل، من خلال الثروة التي حققتها من صناعاتها، بالتمويل المالي والتقني لمواجهة أخطار التسخين الكروي، في الوقت الذي لا تزال هي - أي الدول النامية - فيه بحاجة إلى الزمان والمكان المناسبين لتطوير اقتصادياتها، إلا أن الدول الصناعية ترى الموضوع بمنظار مختلف؛ فمن وجهة نظرها أن النمو السريع لبعض البلدان النامية سيسبب المزيد من الإصدارات الغازية الضارة التي ستتجاوز وبشكل كبير الإصدارات التي نتجت من البلدان الصناعية منذ ٢٥ سنة ما لم تتخذ الإجراءات الحاسمة.

وكخطوة أولى تعهدت الدول الصناعية بعد مؤتمر الأمم المتحدة الأول أمام المشاركين في إطار معاهدة التغير المناخي بأن تضع حدوداً كمية وخططاً ترمي إلى تخفيض الإصدارات الإنسانية خلال زمن محدد، وذلك بتخفيض نسبة غازات الدفيئة. أما بالنسبة إلى الدول النامية فيبدو أن تنفيذ التعهدات الملزمة قانونياً على المدى القصير للتخفيضات الغازية مستحيل على الصعيد العلمي وغير قابل للتطبيق سياسياً. إذ إنه من غير المنطقي أن نتوقع أن تقوم البلدان التي تعدّ إصداراتها الغازية الفردية جزءاً ضئيلاً من إصدارات البلدان الصناعية بإجراء تخفيضات بالمستويات المفروضة نفسها على هذه الأخيرة، وخاصة عندما يكون مستوى المعيشة لديها منخفضاً عن تلك.

ويبدو أن الوضع أصبح مثيراً للقلق، فمؤشرات التوسع السكاني والعمراني والاقتصادي السريع للدول النامية تنذر بخطر حقيقي. وهذا التوسع سيؤدي بالتأكيد إلى زيادة في الإصدارات بنسبة تفوق النسبة التي تصدرها الدول الصناعية في الوقت الحالي، لذا عليها أن تجد حلا لتخفيض إصداراتها، إذا كانت ترغب في تجنب الكارثة البيئية.

إذا كانت البلدان الصناعية ستخفق في العودة بالإصدارات الغازية إلى مستويات عام ١٩٩٠م، فإن البلدان النامية ستحقق مزيداً من إصدارات غاز ثاني أكسيد الكربون يساوي أو يفوق إصدارات البلدان الصناعية

ولقد حازت البلدان الصناعية على قصب السبق في تلويث الجو الكروي بالغازات الصناعية وبنت اقتصادياتها المتينة والقوية على حساب البيئة ومستقبل البشرية؛ وبعد ذلك بزمن أفاقت الدول النامية لتبدأ باللحاق بركب «الحضارة» الصناعية ولكن بعد أن كان الجو قد أشبع



يزداد التلوث يوماً بعد يوم ولا يزال اللغط يشتد حول: من المسؤول؟

بالغازات التي بدأت تؤثر فعلياً في التغيير المناخي للكرة الأرضية. وبما أن هذه الدول تبدأ بمسيرة «التطور» من مستويات أولية، من قاعدة أولية وأن خطواتها ستكون سريعة، فإن النسبة المئوية لمدخرات هذه الانبعاثات ستكون أكثر خطراً،

وهذا ما تتنبؤ به الدراسات.

ومع هذا الاختلاف بين المنطق واللامنطق يبدو الوصول إلى حل أمراً صعباً، إن لم نقل مستحيلا مادام الحاكم لا علاقة له بالمصلحة العامة للبشرية ككل، والحاكم لا علاقة له بالمصلحة العامة للبشرية ككل، والحاكم هنا هو المصلحة الخاصة. وإذا كانت البلدان الصناعية ستخفق ككل في تحقيق الأهداف الطوعية للعودة بالإصدارات الغازية إلى مستويات عام ١٩٩٠م، فإن البلدان النامية ستحقق مزيداً من إصدارات غاز ثاني أكسيد الكربون يساوي أو يفوق إصدارات البلدان الصناعية، حتى إنه بات مؤكداً، وكما تبين دراسة معهد الموارد العالمية WRIأن البواعث الاقتصادية هي التي تحكم الإصدارات الحالية في البلدان النامية (وبالطبع هذه البواعث ليست حصراً على البلدان النامية)، فستستمر في زيادة الإصدارات بغض النظر عن الذروة الملزمة قانونياً مادام أنها تحقق أرباحاً اقتصادية.


ستشهد بعض بلدان العالم الكثير من الفيضانات التي ستغمر أراضيها

الواقع...

إن أصحاب الشركات الكبرى هم أصحاب القرار... فهم الذين يحكمون حركة الإنتاج العالمية، وبتعبير أصح يسيطرون على القرارات الكبرى المتعلقة «بالتنمية» في كثير من بلدان العالم. وهؤلاء في غالبيتهم يتملكهم نهم لجمع الثروات لا يعرف الارتواء. وهذا يعني ترتيباً جديداً لأوضاع البشرية لا تُراعى فيه أحوال الموارد الطبيعية، والإنسانية، ولا الظروف البيئية ولا التوازن المناخي الذي يحكم الأرض ومصيرها.

واليوم يسود اعتقاد قوي بأن الثمن الذي ستدفعه البشرية للتنمية المجنونة المستمرة في دورتها غير المدروسة سيفوق كل حساب. وكتدبير لا بد منه، قامت الأمم المتحدة بجمع أكثر حشد علمي في التاريخ وكلفته دراسة هذه المسألة التي تتعلق بمصير البشرية جمعاء، ويبلغ عدد أعضاء هذا الحشد، أو الفريق الضخم ٢٥٠٠ عالم ينتمون إلى بلدان شتى.

وبناءً على التقارير التي قدمها هذا الفريق إلى المنظمة الدولية، فإن ما سيحدث يبعث على الخوف والرعب، فالتغيرات المناخية تسير في اتجاهين متطرفين حيث ستشهد بعض بلدان العالم الكثير من الفيضانات التي ستغمر الأراضي الزراعية، في حين ستعاني مناطق أخرى من ندرة الأمطار ويضر بها الجفاف والتصحر. وثمة دول أخرى سيزداد فيها الصقيع، ورابعة ستعاني ارتفاعاً شديداً في درجة الحرارة. وتشير دراسات أكثر خصوصية - جرت في ألمانيا - إلى أن المنحنى البياني لأحداث العنف هناك يبدأ بالارتفاع بحلول شهر آذار ثم يبدأ بالانحدار بحلول شهر سبتمبر/ أيلول، وعموماً ترتفع معدلات الجرائم بنسبة ١٥٪ مع كل ارتفاع يسجله المحرار لدرجة الحرارة بمقدار درجة مئوية واحدة.

تشير إحصائية أخرى في أمريكا إلى أن كل درجة حرارة زائدة يسجلها المحرار تعني زيادة في ارتكاب الجرائم بنسبة ٦.٦ جرائم زائدة لكل ألف مواطن وسطياً. وبتعبير آخر يتم ارتكاب ٦٠ ألف جريمة إضافية في العام في الولايات المتحدة عند ارتفاع درجة حرارة الجو بمقدار درجة مئوية واحدة، ويعزو بعض الخبراء ذلك إلى أن زيادة الحرارة في المناطق الباردة ترتبط بزيادة النشاط البشري الذي ينتج منه هذا العنف.

المراجع

1- Chemistry In Context 1994 Issue
2- Science Magazine: Vol. 259. Feb. 1993.
3- Our Planet Series: Vol. 9 No. 3 1998.

٤ ـ العيش في الزمن الصعب، الدكتور عبدالكريم البكار، دار القلم، ١٩٩٩م.

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٢٨٥)

ربيع الأول ١٤٢١هـ - يونيو / يوليو ٢٠٠٠م

الفائز الأول: **وداد نجم محمد سلامة - الأردن.**

الفائز الثاني: **محمد ياسين مهنا - سورية.**

الفائز الثالث: **أحمد محمد عبدالمجيد محمد - مصر.**

الفائز الرابع: **ولي الله سعيدي فلاحي - الهند.**

حل مسابقة العدد (٢٨٥)

الزّمِندار جابي الرسوم المفروضة على الأرض خلال الحكم الإسلامي للهند.

وفي الكلام كلامٌ ما نَطَقْتُ به ... إلا نَدمتُ عليه حين أبديه

قائل البيت: طرفة بن العبد.

ناصر الدين ديني: فنان فرنسي مسلم عاش في الجزائر.

التريكوغراما: حشرة صغيرة مفيدة تنتمي إلى رتبة غشائيات الأجنحة.

سيربيروس: كلب ذو ثلاثة رؤوس زعمت الميثولوجيا الكلاسيكية أنه يحرس باب الجحيم.

مسابقة الشهر (العدد ٢٨٨)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: **جفون العذارى من خلال البراقع ... أحدُّ من البيض الرقاق القواطع**
☐ عنترة العبسي ☐ جميل بن معمر.

(٢) «أم المساكين» لقب إحدى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .. هل هي:
☐ زينب بنت جحش الأسدية.
☐ زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية.

(٣) سيبوس
☐ نهر في الجزائر ينبع من التلي في جبال الأطلس ويصب في البحر المتوسط.
☐ أحد حكماء اليونان السبعة، خفف وطأة الضرائب على الفقراء، وسنّ لبلاده قوانين تحررية.

(٤) علي الغربي
☐ بلدة في العراق (محافظة ميسان).
☐ شاعر مكي ورد على السلطان بايزيد، وصنّف باسمه تاريخ «الدر المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الروم».

(٥) الأوروميتر
☐ مقياس ارتفاع الجبال.
☐ أداة تبيّن مدى الاختمار.

الاسم: ---------------- ص.ب: ----------------

العنوان: ---------------- الرمز البريدي: ----------------

المدينة: ---------------- هاتف: ----------------

الدولة: ---------------- ناسوخ: ----------------

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وقرعة أخيرة للفائز الأخير.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

الجوائز

الجائزة الأولى:
١٥٠٠ (ألف وخمسمئة ريال سعودي).

الجائزة الثانية:
٧٠٠ (سبعمئة ريال سعودي).

الجائزة الثالثة:
٥٠٠ (خمسمئة ريال سعودي).

الجائزة الأخيرة:
(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

عنوان المجلة:

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب

أحمد مختار العبادي
الإسكندرية - مصر

في القرن الرابع قبل الميلاد، قام الإسكندر الأكبر المقدوني ٣٥٦- ٣٢٣ق.م بأول محاولة لإقامة دولة واحدة، تشمل أقاليم أوربا وآسيا وإفريقية، وتمتد من مقدونيا غربًا إلى الهند شرقًا. ولم يكتف الإسكندر بهذا التوحيد السياسي، بل اتخذ وسائل أخرى لتوحيد العناصر البشرية في هذه المنطقة من العالم، مثل احترام أديانها، والصلاة في معابدها، وتأسيس عدد كبير من المدن الجديدة التي عرفت باسم «الإسكندريات»، نسبة لاسمه، ويقدر عددها بنحو سبع وعشرين مدينة، بعضها في بلخ وصغديانا، وفي أسفل القوقاز ثم في مصر.

وكان هدفه من وراء ذلك هو اختلاط السكان الأصليين بالجاليات اليونانية، كي تنشأ من هذا المزيج ثقافة جديدة، تستمد أصولها من الحضارات السابقة. وهكذا صارت الإسكندريات بوتقات أو مراكز علمية لنشر هذه الثقافة الجديدة. وقد حرص الإسكندر على تطبيق هذه المبادرة على نفسه ليكون قدوة لغيره، فتزوج الأميرة روكسانا الفارسية، وأمر قواده أن يفعلوا مثله.

وعلى الرغم من أن دولة الإسكندر لم تلق نجاحًا سياسيًا بعد وفاته، إذ تفككت إلى دول متفرقة بين قواده، إلا أن الحركة العلمية التي كان ينشدها استمرت وازدهرت من بعده، وهي التي اشتهرت باسم العصر الهيلينستي تمييزًا لها من العصر الهيلينتي الذي ساد اليونان قبل عصر الإسكندر.

ومن أشهر المراكز الهيلينستية الجديدة مدينة الإسكندرية المصرية بمكتبتها ومدرستها العلمية التي كانت مزيجًا من كل هذه الحضارات السابقة الشرقية والغربية، ولاسيما الحضارة الإغريقية والحضارة المصرية القديمة.

أحد مساجد الإسكندرية القديمة

أسس الإسكندر مدينة الإسكندرية سنة ٣٣١ ق.م في البقعة التي كانت تحتلها بلدة راقودة أو رع قدت الفرعونية على ساحل البحر المتوسط. وكانت تقع أمامها جزيرة فاروس التي أشار إليها هوميروس قبل الإسكندر بخمسة قرون. ولقد اهتم الإسكندر ببناء جسر Heptastadium بين راقودة وفاروس نشأ عنه ميناءان للإسكندرية وهما: الميناء الشرقي الرئيس Partus Magnus والميناء الغربي Eunostos أي العود السعيد.

منازل قد كفيناها

ولم تلبث الإسكندرية أن نمت وازدهرت وصارت عاصمة لمصر في عهد البطالمة والرومان، كما استطاعت بفضل

موقعها الجغرافي الفريد أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببلاد البحر الأبيض المتوسط إلى درجة أن الرومان رأوها كياناً خاصاً إلى جانب مصر، فوصفوها بقولهم: Alexandria ad Aegyptum أي: الإسكندرية المتاخمة لمصر أو القريبة من مصر، وهو وصف صادق ظلت الإسكندرية تتميز به إلى عصورنا الحديثة.

هذا الوضع السياسي والجغرافي لمدينة الإسكندرية، قد فرض عليها أن تكون مدينةً حصينة تعتمد على نفسها وعلى قوة أسوارها وقلاعها، فضلاً عن الإمدادات التي قد تصل إليها من الرومان والبيزنطيين من بعدهم.

وحينما فتح العرب مصر وبلغوا مدينة الإسكندرية، هالتهم قوة أسوارها وحصونها لدرجة أن القائد عمرو بن العاص صلّى يومئذ بجيوش المسلمين صلاة الخوف طالباً من الله أن يعينه على فتحها «إذ كانت بها حصونٌ مبنيةٌ لا تُرام، حصنٌ دون حصن»، على حدّ قول ابن عبدالحكم(١).

وبعد أن استولى المسلمون على الإسكندرية سنة ٢١هـ/٦٤٢م، راعهم ما شاهدوه فيها من دور وقصور محكمة البناء، مفروشة بالرخام الملون، وفي كل دار حمامٌ خاص به. هذا إلى جانب اتساع شوارعها وكثرة محلات البقولات فيها، لدرجة أن عمرو بن العاص فكّر في اتخاذها حاضرة لمصر كما كانت من قبل، وهمّ أن يسكنها هو وجنوده، لوفرة المساكن الخالية بعد أن غادرها الروم، وقال عبارته المشهورة «منازلُ قد كُفيناها» وكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك، ولكن عمر رفض هذه الفكرة، وقرر أن تكون العاصمة في موقع الفسطاط عند رأس الدلتا، وفي منطقة مصرية صميمة اشتهرت بعواصمها المعروفة مثل منف وعين شمس وبابليون، فضلاً عن سهولة اتصالها بالجزيرة العربية.

باب المغرب

وعلى الرغم من أن مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي قد فقدت مكانتها السياسية بوصفها عاصمة لمصر، إلا أنها ظلت محتفظةً بمميزات موقعها الجغرافي الفريد الذي يربطها براً وبحراً ببلاد المغرب والأندلس. ولذا أُطلق عليها اسم «باب المغرب» والمقصود بالمغرب هنا، المغرب الإفريقي والمغرب الأندلسي أيضاً. وهذا ما سوف تعنيه كلمة مغرب في هذه الدراسة، أي المغرب والأندلس.

ومنذ بداية هذه الفترة الإسلامية المبكرة كانت الإسكندرية هي القاعدة الحربية الكبرى التي خرجت منها الجيوش والأساطيل الإسلامية التي شاركت في فتوحات المغرب والأندلس وجزر البحر المتوسط، ثم صارت همزة الوصل بين المشرق والمغرب، والمحطة الرئيسة التي استقبلت واستضافت جموع الوافدين المغاربة من الحجاج والتجار والعلماء والطلبة، فضلاً عن غُزاة البحر والثائرين الذين طردوا من بلادهم كالربضيين من أهل قرطبة وغيرهم. ولاشك أن هذا الاتصال الوثيق بالمغرب قد أعطى الإسكندرية، دون غيرها من المدن المصرية، طابعاً مغربياً مازلنا نلمس آثاره إلى اليوم.

التأثر اللغوي

معظم أهالي الإسكندرية قد تعصبوا لمذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي (ت:١٧٩هـ)، الذي ساد بلاد المغرب والأندلس، في حين أن أكثر المصريين يتمذهبون بمذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت:٢٠٤هـ). كذلك نلاحظ هذا التأثير المغربي في أسواق المدينة وأحيائها مثل سوق المغاربة، وزنقة الستات. و«الزنقة» كلمة مغربية معناها الشارع، ولا تستعمل إلا في الإسكندرية. ونجد فيها أيضاً حي كرموز، وكلمة كرموز أو كرموز النصارى تعني في المغرب التين الشوكي الذي اشتهرت زراعته أيضاً في هذا الحي المغربي السكندري فسمي به.

> عدد كبير من العائلات السكندرية القديمة من أصل مغربي، بل إن اللهجة المحلية الدارجة لسكان المدينة انفردت بتأثر مغربي، وكثير من المساجد المشهورة بها لعلماء مغاربة

كذلك نلاحظ أن عدداً كبيراً من العائلات السكندرية القديمة من أصل مغربي مثل عائلات المغربي والسنوسي والزواوي والناضوري والتاودي والعبادي وغيرهم.

بل إن اللهجة المحلية الدارجة لسكان المدينة، انفردت بتأثر مغربي مثل استعمال صيغة الجمع للمفرد المتكلم فيقولون: «ناكلو، نشربو» بدلا من آكل وأشرب وهكذا.

مساجد مشهورة أقامها مغاربة

كذلك نلاحظ أن كثيراً من المساجد المشهورة في المدينة، لعلماء مغاربة وماتوا فيها، منهم: الإمام أبوبكر الطرطوشي نسبة إلى مدينة طرطوشة Tortosa في شمال شرق إسبانيا. رحل إلى مصر في عصر الدولة الفاطمية، واستقر في الإسكندرية حيث اشتغل بالتعليم، وألف عدة كتب منها كتاب «سراج الملوك» الذي نقله إلى الإسبانية في جزأين العالم الإسباني ألاركون Maximiliano Alarcon بعنوان Lampara de los Principes. وللطرطوشي كتاب آخر بعنوان «الحوادث والبدع»، نشره العالم التونسي محمد الطالبي. وتوفي الطرطوشي بالإسكندرية سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م، وفي تاريخ وفاته خلاف(٢).

ومنهم الشيخ الزاهد أبوالقاسم محمد بن منصور اللَّكّي المشهور بسيدي القباري. والقباري نسبة إلى حفر القبور، واللكي نسبة إلى مدينة لُك، وهي حسب رواية ابن الشباط(٣)، تسميةٌ تطلق على مدينتين، إحداهما في جليقية Golicia في شمال غرب إسبانيا Locus Augusti ولعلها

مدينة Lugo الحالية. والثانية بين برقة وطرابلس في المغرب الأدنى؛ وكل هذا يدل على أنه من أصل مغربي. عاش القباري زاهداً منقطعاً عن الناس في بستان له في غرب الإسكندرية لا يأكل إلا من غرس يده(٤). وقد زاره السلطان المملوكي الظاهر بيبرس لسماع نصائحه، وقد نصحه بتعمير أسوار الإسكندرية. ومات القباري ودفن في بستانه سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م، وحي القباري الآن من أشهر الأحياء التجارية بالإسكندرية.

ومنهم الشيخ الزاهد أبوعبدالله محمد بن سليمان الشاطبي، نسبة إلى مدينة شاطبة Jatiba في شرق الأندلس الذي عاش مرابطاً على ساحل الإسكندرية. وقد زاره أيضاً السلطان الظاهر بيبرس لتكريمه والاستماع إلى نصائحه. وتوفي الشاطبي سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٢م وقبره في عمارة الأوقاف بجوار مبنى إدارة جامعة الإسكندرية. ولذا يقترن اسم الشاطبي بالحيّ الجامعي(٥).

وكذلك نشير إلى مسجد سيدي جابر الذي يُطلق اسمه على حي كبير برمل الإسكندرية، ويعتقد بعض المؤرخين أمثال ليفي بروفنسال وأحمد زكي باشا، أن سيدي جابر هو الرحالة الأندلسي ابن جبير الذي مات بالإسكندرية سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م وأن العامة حرفت اسمه من جبير إلى جابر. وتعدّ رحلة ابن جبير من أهم الرحلات التي اهتمت بوصف الإسكندرية وما فيها من آثار قديمة وإسلامية(٦).

وأخيراً نذكر عالم الإسكندرية أبا العباس أحمد بن عمر الخزرجي الأنصاري المرسي نسبة إلى مدينة مرسية Murcia شرق الأندلس. رحل إلى تونس حيث التقى الشيخ أبا الحسن الشاذلي(٧).

وكذلك شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري نسبة إلى مكان ولادته في أبي صير بالقرب من بني سويف في مصر الوسطى؛ إلا أن نسبه يرتفع إلى محسن الصنهاجي، أي إلى قبيلة صنهاجة المغربية. اشتهر البوصيري بقصائده في المدائح النبوية، وأهمها قصيدته المعروفة باسم: «الكواكب الدرية في مدح خير البرية» التي اشتهرت باسم «البردة» التي يقول في مطلعها:

أمن تذكّر جيرانٍ بذي سلم
مزجتَ دمعًا جرى من مقلةٍ بدم

وقد عارضها كثيرون: منهم أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته نهج البردة بقوله:

ريمٌ على القاع بين البان والعلم
أحلّ سفك دمي في الأشهر الحُرُم.

وتوفي البوصيري سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م وقبره بجوار قبر أستاذه المرسي أبي العباس.

علماء مغاربة مروا بالإسكندرية

هذا عن العلماء والصلحاء الذين استوطنوا الإسكندرية وماتوا فيها. أما الذين مروا بها في طريقهم إلى بلاد المشرق أو رحلوا عنها إلى بلاد المغرب، فعددهم كبير جداً، وقد أفرد



أحد المساجد في المغرب

المقّري لبعض المشهورين منهم جزأين من موسوعته نفح الطيب «الثالث والرابع طبعة محيي الدين عبدالحميد»، إلى جانب كتب التراجم المعروفة بالمكتبة الأندلسية التي تحدثت عنهم، وكذلك كتب الرحلات والمتصوفة التي أكتفي بذكر بعضها مثل:

كتاب «تحفة المغترب ببلاد المغرب» لأحمد بن إبراهيم الأزدي القشتالي نسبة إلى بلدة قشتال Castril في غرناطة. وهذا الكتاب نشره فرناندو دي لاجرانخا في المعهد المصري بمدريد عام ١٩٧٤م، ويتضمن كرامات (كذا) الشيخ أبي مروان عبدالملك اليحانسي في مدينة الإسكندرية وغيرها في بلاد المشرق. واليحانسي هذا من بلدة يحانس Ohanes من أعمال المريه في جنوب شرق إسبانيا. وعاش في القرن السابع الهجري أو الثالث عشر الميلادي.

وهناك كتاب «المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف» لعبدالحق البادسي الذي ألفه سنة ٧١١هـ/١٣١١م ويتضمن تراجم لعدد من علماء شمال المغرب وزهاده الذين سافروا إلى المشرق عبر الإسكندرية. وقد نقله المستشرق كولان Colin إلى الفرنسية في مجلة الأرشيف Archieves Marocaines XXVL. 1926. Paris وطبع حديثاً في المغرب.

أما الرحالون والجغرافيون المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق، فقد خصوا الإسكندرية بجزء كبير من كتاباتهم، أشادوا فيها بنهضتها العلمية والحضارية. وتعد ملاحظات

هؤلاء الرحالة على جانب كبير من الأهمية، لأن الغريب يلاحظ أشياء لا يلتفت إليها ولا يحس بها أهل البلد نفسه ومن هنا جاءت أهمية كتب الرحلات.

وبعض هذه الكتب مفقود للأسف مثل كتاب «الدرّة المضيّة في تاريخ الإسكندرية» لأبي الحسن حازم القرطاجني(٨) الأندلسي صاحب القصيدة المقصورة في رثاء شرق الأندلس (ت:٦٨٤هـ/١٢٨٥م)(٩). ولكن لدينا، مع ذلك، كتب رحلات كثيرة ومنشورة مثل رحلات: ابن جبير البلنسي (ت:٦١٤هـ/١٢١٧م)، وابن رشيد السبتي (ت:٦٨٣هـ/١٢٨٤م)، والعبدري الحيحي (ت:٦٨٨هـ/١٢٨٩م)، وابن بطوطة الطنجي (ت:٧٢٥هـ/١٣٢٥م)، ثم محمد بن قاسم النويري السكندري وهو من أصل مالقي أندلسي(١٠) (ت:٧٧٥هـ/١٣٧٢م)، وكتابه «الإلمام فيما جرت به الأحكام المقضية في وقعة الإسكندرية» يهتم بأحداث الغارة التي شنها القبارصة على الإسكندرية ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، ولكنه يعطينا كذلك معلومات قيمة عن الجالية المغربية الكبيرة التي كانت تعيش في الإسكندرية في ذلك الوقت.

تمازج ثقافي

ولا شك أن هذه العناصر المغربية، لم تسكن الإسكندرية بأشخاصها فقط بل بثقافتها وتجارتها وعلمها وفنها، بل المشاركة في الدفاع عنها. فقد ذكر النويري على سبيل المثال أن مجاهداً مغربياً اخترع نوعاً من القنابل اليدوية أطلق عليها اسم «القدور الكفيات»، لأنها كانت في حجم الكف وفي شكل الرمانة Grenade وتلقى باليد. وكانت قدوراً صغيرة من الفخار أو الخزف، ضيقة الأفمام، مملوءة جيراً ناعماً مطفياً بالبول ومسدودة بمشاقة أي فتيلة. فإذا ألقيت على العدو المدرع بالحديد، انكسرت وصعد الجير المختلط بالأمونيا في وجهه ودخل في عينيه وخياشيمه، فيكتم أنفاسه ويعمي بصره، فيسهل التغلب عليه. ويضيف النويري أن هذا المجاهد المغربي اختار مدينة الإسكندرية ليهديها اختراعه، فعرضه على حاكمها الأمير سيف الدين الإكز الذي استحسنه وأعجب به وأمر بأن تصنع من هذه القدور كميات كبيرة وبأحجام مختلفة منها الصغير الذي يلقى باليد ومنها الكبير الذي يقذف بالمجانيق(١١).

إسكندريون عاشوا في المغرب

وإذا كانت الإسكندرية قد استضافت المغاربة وتأثرت بهم واستفادت من خبرتهم، فإن بلاد المغرب والأندلس أيضاً قد استضافت أبناء الإسكندرية وتأثرت بهم كذلك. فالمؤرخ ابن حيان القرطبي (ت:٤٦٩هـ/١٠٧٦م) يحدثنا عن الوزير عبدالواحد يزيد الإسكندراني الذي هاجر إلى الأندلس وهو فتى وعمل مع الحاجب - أي رئيس الوزراء - عيسى بن شهيد، وظل يترقى في منازل الخدمة حتى رُقي إلى الوزارة والقيادة في عهد الأمير الأموي عبدالرحمن الأوسط أو الثاني(١٢). ويذكر ابن عذاري المراكشي (ت: نحو:٦٩٥هـ/نحو:١٢٩٥م)(١٣) أن من بين الأمناء - أي المهندسين - الذين أشرفوا على بناء مدينة الزهراء في شمال غرب قرطبة على عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، مهندساً مصرياً سكندرياً اسمه علي بن جعفر الإسكندراني. فهو الذي أشرف - مع زميلين له من الأندلس - على جلب الرخام والسواري «أي الأعمدة» من تونس وقرطاجنة بإفريقية. وكان الخليفة الناصر يصلهم على كل رخامة ثلاثة دنانير، وعلى كل سارية ثمانية دنانير سجلماسية(١٤). كذلك يذكر المقري أن فقيهاً شافعياً اسمه أبوالطاهر إسماعيل الإسكندراني، درس على الفقيه أبي الطاهر السِّلفي (ت:٥٧٦هـ/١١٨٠م) في الإسكندرية، ثم رحل إلى الأندلس متاجراً ونزل مدينة مرسية حيث أنشد شعر السِّلفي وكان يردد قوله:

أنا من أهل الحديث وهمْ خيرُ فئة

عشت تسعين وأرجو أن أعيش لمئة

فعاش كما تمنى رحمه الله(١٥).

احتلت الإسكندرية وأهلها، مكانة مرموقة في قلوب المغاربة إلى درجة أنهم اتخذوها قدوة يتشبهون بها في مجالات مختلفة

ولقد احتلّت الإسكندرية وأهلها، مكانةً مرموقة في قلوب المغاربة إلى درجة أنهم اتخذوها قدوةً يتشبهون بها في المجالات المختلفة:

فابن فضل الله العمري (ت:٧٤٩هـ/١٣٤٩م) في «مسالكه»، يُشبّه أهل فاس بأهل الإسكندرية في المحافظة على علوم الشريعة وتغيير المنكر والقيام بالناموس(١٦).

وعبدالواحد بن علي المراكشي (ت:٦٤٧هـ/١٢٥٠م) يطلق على مدينة رباط الفتح «عاصمة المغرب حالياً» اسم إسكندرية المغرب لأنها كانت تُشبهها في اتساعها وحصانتها، وحسن تقسيمها، وإتقان بنائها(١٧).

أما الجغرافي الأندلسي أبوعبيدالله البكري (ت:٤٨٧هـ) فيذكر أن الأمير سعيد بن صالح بني عام ٢٦٣هـ في مدينة نكور - الحسيمة الحالية - مسجداً على صفة مسجد الإسكندرية بمحارسه وجميع منافعه(١٨).

وأغلب الظن أن مسجد الإسكندرية - المشار إليه في هذا النص - هو مسجد النبي دانيال الذي يقع في الشارع المسمى باسمه في وسط المدينة. وقد يؤيد ذلك ما ورد في كتاب «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، من أن فقيهاً شافعياً من الموصل يدعى محمد دانيال الموصلي، قدم الإسكندرية في نهاية القرن الثامن الهجري (١٤م)، واتخذ مسجد الإسكندرية - كما كان يسمى

وقتئذ ـ مكاناً يدرس فيه الفقه الشافعي حتى وفاته عام ٨١٠هـ(١٩). ولهذا فإنه من المرجح ـ كما يحدث عادة في تشابه الأسماء ـ أن يقع التباس بين دانيال الموصلي ودانيال النبي، فشاع بذلك اسم النبي دانيال، على غرار مساجد الأنبياء المتعددة التي ذكرها ابن عبدالحكم (ت:٢٥٧هـ) في الإسكندرية في الفترة الإسلامية المبكرة مثل مساجد النبي موسى والنبي وسليمان والخضر وذي القرنين عليهم السلام التي اندرست أماكنها الآن. وتجدر الإشارة هنا إلى أن النبي دانيال عاش قبل إنشاء الإسكندرية بثلاثة قرون، وقبره في بلدة سوس بخوزستان أو عربستان بإيران.

حقائق معمارية

وإلى جانب ما تقدم، هناك حقيقة معمارية تجذب الانتباه، وهي تأثير منارة الإسكندرية القديمة في شكل عمارة المآذن أو الصوامع في مساجد المغرب والأندلس؛ إذ نجدها تتخذ شكلاً مشابهاً، وهو المئذنة المربعة التي تشبه الحصن أو الصومعة، والطريق الحلزوني الصاعد بداخلها من دون سلم أو درج. لعل من أوضح النماذج المشابهة لمنارة الإسكندرية تلك المنارات التوائم الثلاث: منارة جامع إشبيلية (La Jiral-da)، منارة جامع حسان بالرباط، ومنارة جامع الكتبية بمراكش. وفي ذلك يقول عبدالواحد المراكشي في وصف منارة حسان بالرباط التي بناها الخليفة الموحدي المنصور يعقوب بن يوسف (ت:٥٩٥هـ): «وعمل للمسجد مئذنة في نهاية العلو على هيئة منار الإسكندرية، يصعد فيه بغير درج وتصعد الدواب بالطين والآجر والجص وجميع ما يحتاج إليه في أعلاها»(٢٠).

وفي مجال التشابه بين الإسكندرية والأندلس، نشير إلى ما اشتهرت به الإسكندرية منذ أيام الرومان بمستودعات مياهها الجوفية العذبة، حتى قيل: إن الإسكندرية تتكون من مدينتين: إحداهما فوق الأرض، والأخرى تحت الأرض(٢١). ثم جاء العرب وحافظوا على استنباط المياه الجوفية، وهو ما يعرف بعلم الريافة «من الريف وهو ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها»، وطبقوه على المدن التي بنوها في المغرب والأندلس. ومن أبرز الأمثلة على ذلك مدينة مجريط أو مدريد عاصمة إسبانيا، وهي التي بناها الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن الأوسط في القرن الثالث الهجري (٩م)، وقد اشتهرت بمستودعات مياهها الجوفية، حتى قيل: إن أصل مجريط مشتق من كلمة مجرى بالألف المقصورة الممدودة بالكسر أي الإمالة التي هي لهجة أهل الأندلس، ثم المقطع الإسباني إيط ite الذي في آخر الكلمة للدلالة على الكثرة. فالاسم مجريط يدل على مجموعة المجاري والقنوات الجوفية كما يوضح ذلك المستشرق الإسباني Laime Oliver Asin في كتابه عن هذه المدينة، وكذلك الأخ الدكتور محمود علي مكي في كتابه «مدريد العربية».

أصل ماريا

وجه شبه آخر نجده في الاسم «مريه» الذي وصفت به الإسكندرية في القول المأثور «إسكندرية مرية وترابها زعفران». كما سميت به أيضاً مدينة المريّة Almeria أكبر قاعدة بحرية في شرق الأندلس. ويلاحظ أن مرية الإسكندرية اسم فرعوني قديم وهو Merit بمعنى ميناء، أطلق على بلدة جنوب الإسكندرية تطل على بحيرة مريوط.

> في العهد الإسلامي كانت الإسكندرية هي القاعدة الحربية الكبرى التي خرجت منها الجيوش والأساطيل الإسلامية التي شاركت في فتوحات المغرب والأندلس وجزر البحر المتوسط، ثم صارت همزة الوصل بين المشرق والمغرب

ثم حور اسم Merit إلى ماريا في العصر اليوناني والروماني، فقيل إسكندرية ماريا بمعنى ميناء الإسكندرية. أما عبارة ترابها زعفران فنسبة إلى الزعفران الذي كان يزرع ويباع بثمن غال ويوزن بالذهب، فالتشبيه هنا من باب المديح أي ترابها ثمين(٢٢). وما يقال عن مرية الإسكندرية يقال أيضاً عن مريّة الأندلس التي كانت تسمى في الأصل مرية بجّانة وهو اسم بلدة رومانية قديمة مجاورة «في شمالها الغربي» تسمى Pechina فعُربت إلى بجانة أو بالأحرى بجينة بالإمالة. وغير بعيد أن يكون معنى مرية بجانة هو ميناء بجّانة على غرار مرية الإسكندرية. وإن كان التفسير السائد الذي قال به المستشرق الهولندي دوزي R. Dozy هو أن مريّة من الفعل رأى فهو مرني وهي مرنية أو مريّة نسبة إلى منارتها التي كانت تشرف على البحر تهتدي بها السفن من بعيد.

وكيفما كان الأمر فإن تطابق الاسمين يوحي بهذا الترابط بين هاتين المدينتين المصرية والإسبانية.

حزن المغاربة لنكبة الإسكندرية

أما في المجال الاقتصادي فنجد أن صناعات الإسكندرية كان لها رواج كبير في أسواق المغرب والأندلس، نخص بالذكر منها صناعة المنسوجات الكتانية الرقيقة، التي كانت تصنع منها الملابس الداخلية، وتلف بها العمائم، وتُعمل منها الخمر التي تغطي رؤوس النساء. وقد اشتهرت هذه المنسوجات في الأندلس إلى درجة أن بعض الصناع كانوا يقلدونها ويبيعونها على أنها من الإسكندرية.

وفي مجال الحرب والجهاد ساهمت الإسكندرية في بناء مدينة تونس التي كانت ـ كما يقول البكري ـ قرية خاملة الذكر شرق قرطاجة في المغرب الأدنى. ثم جاء القائد العربي حسان بن النعمان الغساني (ت: بعد ٨٦هـ) وبأمر الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، فحولها إلى قاعدة بحرية حصينة

مستعيناً في ذلك بألف أسرة من أقباط مصر، كان معظمهم من أهل الإسكندرية الذين تخصصوا في بناء السفن ودور الصناعة.

وظلت الإسكندرية تتمتع بحب المغاربة في أفراحها وأتراحها، وأبلغ مثال على ذلك موجة الحزن والغضب التي انتابت الأندلسيين عقب الغارة الوحشية التي شنها القبارصة على الإسكندرية بقيادة ملكهم بطرس لوسنيان P. Lusignan ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، إذ يروي الوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب (ت:٧٧٦هـ) أن صيحة قتال الغرناطيين في حروبهم كانت: «وا لثارات أهل الإسكندرية!!» هي صيحة جميلة تحمل في طياتها كل معاني الحب والتضامن والإخاء رغم بعد المسافة بينهما(٢٣).

واستمرت الإسكندرية مدينةً مزدهرة، إلى أن اكتشف البرتغاليون طريق الهند من رأس الرجاء الصالح على يد فاسكو دي جاما عام ١٤٩٨م. فأثر ذلك في اقتصاد الإسكندرية واضمحلالها، ثم سقوط مصر في يد العثمانيين عام ١٥١٧م. وكان الحكم الإسلامي في إسبانيا قد انتهى في ذلك الوقت بسقوط مملكة غرناطة عام ١٤٩٢م. فلم نعد نسمع بعد ذلك عن علاقات بين مصر وإسبانيا، اللهم إلا في المناسبات الخاصة مثلما حدث في افتتاح قناة السويس في عهد الخديوي إسماعيل عام ١٨٦٩م، فقد حضر في هذا الاحتفال إمبراطور فرنسا نابليون الثالث وزوجته أوجيني وهي إسبانية غرناطية واسمها الحقيقي Eugenia de Montijo.

استطاعت الإسكندرية بفضل موقعها الجغرافي الفريد أن ترتبط ارتباطا وثيقا ببلاد البحر الأبيض المتوسط إلى درجة أن الرومان رأوها كيانا قائما بذاته إلى جانب مصر

الهوامش والمراجع

١ـ عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم (ت:٢٥٧هـ): فتوح مصر والمغرب والاندلس، تحقيق عبدالمنعم عامر ص١٠٩.

١ـ جمال الدين الشيال: أعلام الإسكندرية في العصر الوسيط «دار المعارف ١٩٦٥م».

٣ـ تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ص١٥١، ١٧٧، تحقيق أحمد مختار العبادي، «مدريد ١٩٧١م».

٤ـ أبوشامة: الذيل على الروضتين «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» ص ٢٣١ تحقيق عزت العطار الحسيني «القاهرة ١٩٤٧م».

٥ـ تجدر الإشارة هنا إلى أن أبا عبدالله محمد الشاطبي هذا، هو غير أبي محمد القاسم بن فيره الرعيني الشاطبي الذي هاجر إلى القاهرة في عهد صلاح الدين الأيوبي وعمل استاذاً بالمدرسة الفاضلية وألف كتباً كثيرة في تفسير القرآن وقراءاته السبع، كما ألف أرجوزة في القراءات تعرف بالشاطبية. ومات بالقاهرة ودفن في قرافتها عام ٥٩٠هـ/١١٩٤م.

٦ـ راجع الرحلة التي اشتهرت باسم: «رحلة ابن جبير» أو «الرحلة إلى المشرق» ـ دار صادر، بيروت ١٩٥٩م. وكذلك سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون جـ٣، ص٩٦.

٧ـ نورالدين أبوالحسن الشاذلي، ولد في غمارة بالقرب من سبتة أو في شاذلة بتونس عام ٥٩٧هـ. أخذ التصوف عن جنيد وعبدالسلام بن مشيش وأسس الطريقة الشاذلية التي انتشرت في المغرب والأندلس ومصر. وتوفي وهو في طريقه إلى الحج في حميثري بالقرب من عيذاب على البحر الأحمر عام ٦٥٦هـ، له مجموعة أوراد دينية سميت بـ«حزب الشاذلي» أشهره حزب البحر. «جمال الدين الشيال: المرجع السابق ص ١٦١».

٨ـ سعد زغلول عبدالحميد: الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع السكندري في العصور الوسطى «في كتاب مجتمع الإسكندرية عبر العصور ص٢١٣، مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٧٣م».

٩ـ شرح هذه القصيدة الشريف الحسني أبوالقاسم الغرناطي (ت: ١٣٥٩/٧٦٠م) في كتابه «رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة» ـ القاهرة ١٩٢٥م.

١٠ـ راجع «ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، جـ٤، ص١٤٢».

كتاب الإلمام: نشره عزيز سوريال عطيه، وابتيين كومب في سبعة أجزاء «حيدر أباد الركن بالهند ١٩٦٨م»، وتجدر الإشارة هنا إلى أن محمد بن قاسم النويري، وهو غير شهاب الدين أحمد النويري (ت:٧٣٢هـ/١٣٣٢م) صاحب كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب. وتقع بلدة نويرة التي ينتسب إليها كل منهما في إقليم الفيوم بمصر الوسطى.

١١ـ راجع كتابنا تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص٣٢٤ـ ٣٢٥، بالاشتراك مع السيد عبدالعزيز سالم ـ جامعة بيروت العربية ١٩٧٢م.

١٢ـ ابن حيان: المقتبس من انباء أهل الأندلس، نشر محمود علي مكي ـ بيروت ١٩٧٣م؛ المقري: نفح الطيب جـ٥، ص٨٥.

١٣ـ أورد دوزي في معجمه ـ جـ١، ص٣٨ ـ أن كلمة أمين تعني العريف أي المهندس المعماري .Architecte de Batiment

١٤ـ الدنانير السجلماسية نسبة إلى مدينة سجلماسة وهي تافيلالت الحالية في جنوب المغرب الأقصى. وكانت مركزاً لتجارة الذهب الحر الوارد من السودان. راجع: ابن عذاري: البيان المغرب، جـ٢، ص ٢٣١. المقري: نفح الطيب، جـ٢، ص١٠٤. وكذلك جمال محرز: فضل مصر على صناعة السجاد في إسبانيا، المجلة، نوفمبر ١٩٥٧م.

١٥ـ المقري: نفح الطيب، جـ٤، ص١٣٩ـ ١٤٠. وأبوالطاهر السلفي كان مؤسساً وأستاذاً بالمدرسة السلفية بالإسكندرية في أواخر العصر الفاطمي وأوائل الأيوبي. وقد حضر الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي بعض مجالسه العلمية. ومن مؤلفات السلفي كتاب معجم السفر أورد من قرأوا عليه أو اتصلوا به من المغاربة والمشارقة ـ نشره إحسان عباس.

١٦ـ كلمة الناموس تعني الشريعة والوحي. والناموس الأكبر جبريل عليه السلام.

١٧ـ عبدالواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

١٨ـ البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب.

١٩ـ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، جـ١، ص٣٢٧.

٢٠ـ عبدالواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢٦٦، السيد عبدالعزيز سالم: تأثير منارة الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد ٢٣، ١٩٨٥م.

٢١ـ مثال ذلك قناة شبديا التي كانت تستمد مياهها من الفرع الكانوبي.

٢٢ـ فوزي الفخراني: حفائر مدينة ماريا ـ كتاب اليوبيل الذهبي لجامعة الإسكندرية، ١٩٤٢ـ ١٩٩٢م، كلية الآداب، ص٩٢.

٢٣ـ راجع كتابنا دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٤٥.



لأنك الحب

علي أحمد جاحز
حوث ـ اليمن



هذا هو الحَرْفُ بالمكْنون يَعترفُ ... في مجلس القول في الإيقاع يرتجفُ
يمتصُ جذوة إحساسي ويحملها ... إليكِ بضعةَ أبياتٍ وينصرفُ
أحبّكِ.. المُنتهى للحسن ما نظرتْ ... سواكِ عيناي إلاّ عنه تنحرفُ
أحبكِ.. الضوءَ في إحْلاكِ أسئلتي ... تبدو الطريقُ لأفكاري وتنكشفُ
أحبكِ.. البسمة البيضاء تغسلني ... وأسْتقي شَهْدَها حينًا وأرتشفُ
لأنك الحبُّ فالأيام تعبُرني ... تمضي وتتركني في الحبِّ أنجرفُ
أشارك الطَّرْفَ في حُسنٍ يهيم به ... والقلب عن غير هذا الحُسن منصرفُ
أنت التي إنْ ذكرتُ العشقَ أعشقُها ... وإنْ تغنَّيتُ أعنيها وأعترفُ
لم أستطع في ابتعادي عنك ثانيةً ... أنْ أستريح وكاد الحُسْنُ ينخطفُ
لم أحتملْ مرَّةً أن تغضبي فأنا ... أحببتكِ.. الشعرُ إن أخفيتُ ـ يعترفُ
وفي يديك حياتي فارْفقي وثقي ... أنَّ المَعنَى إذا سامحتِ يختلفُ

عندما تطلب السنديانة تصريحاً
قصيدتان لـ إ.إ. كمنجز

ترجمة: يوسف عبدالعزيز
أسوان - مصر

(١)
عندما تساوم الثعابين من أجل حقّ
التلوّي
والشمس تُضرب عن الشروق لكي
تحصل على الأجر الكافي
وعندما تنظر الأشواك لأزهارها
بانزعاج
وأقواس قزح تؤمّن على ألوانها ضدّ
الشيخوخة.

ooo

عندما يغرّد كلُّ طائرٍ دون ارتباطٍ
ببزوغ القمر
وما استحسن البومُ الناعبُ صوته
وأيّ موجةٍ بإمكانها أن توقّع على
الخط المنقّط
أو يجبر المحيط على الإغلاق!

ooo

وعندما تطلب السنديانة تصريحاً لعصا
التأديب
لكي تجعل أودية البلوط تتّهم جبالها
بأنها ارتفعت عن سطح الأرض
وشهر مارس يبلّغ عن أبريل بأنه
مخرّب.

ooo

عندئذ سوف نصدّق بوجود هؤلاء
الناس
الخرافيّين الذين تخلّوا عن طبائعهم
الحيوانية
(وليس قبل ذلك)!

(٢)
أشكر يا اللّه، بسبب هذا اليوم المدهش
وبسبب أرواح الأشجار المتوثّبة بالخضرة
وحلم السماء الأزرق الحقيقيّ،
وبسبب كل شيء طبيعي لا نهائيّ
وإيجابيّ.

ooo

(أنا الذي كنتُ ميتًا من قبل، حيٌّ مرّةً أخرى
اليوم
وهذا يوم ميلاد الشمس،
ويوم ميلاد الحياة والحب والطيور
والدنيا السعيدة الواسعة بلا حدّ).

ooo

كيف يشكُّ أيُّ إنسان وهو مجرّد كائن
جعلته يتذوّق ويلمس ويسمع ويرى
ويتنفّس
- وقبل ذلك خلقته من عدم العدم -
كيف يشكُّ فيك يا من لا يدركك عقل!

ooo

(الآن استيقظت آذانُ آذاني
وأبصرتْ عيونُ عيوني).





توأمي الإفريقي

محمد بن عبدالله الهويمل

الرياض - السعودية

كلُّ يوم
وعند الخامسة والثلث عصراً
أشعر يا أمي أن يداً فولاذيةً
تمتد من الهواء فتصفعني
كجبّار سفيه يربّي أبناءه
على العدل في صفع الوجوه
وأشعر أن حنجرتي تستطيل أنبوباً لتهريب الصراخ الممنوع
وأن لساني مسرح للمستحيل
حيث ترقص العنقاء
ويغنّي الغول ويعزف الخلُّ الوفيُّ
وأشعر يا أمي بالجوع الأسود
كعباءتك المعلقة منذ ثلاثين عاماً
أشتهي وقتها لو ألتهم لحم الشوارع
وكنافة الجدران وحلوى الأرصفة
وقشور برتقال ينمو من تراب قبرك
أشتهي أن ألتقيك
كالتقاء اليدين عند الدّعاء
لا كالتقاء المعصمين في قيد
..... نلتقي ثلاثتنا
أنا، وأنت، والدمع
كالقلم، والقرطاس، والحبر
لنكتب قصيدةً جاهليةً
بلا وزن، ولا قافية، ولا كلمات، ولا قصيدة
أشتهي لقاءك
لأشكو إليك توأمي الإفريقي
الذي أنجبته بعدي بأربع شهقات
وسميته باسمي..
إنه يا أمي لا يزال يفضحني
ويكشف عورتي تحت كل عمود إنارة
لا يزال يمشي أمامي.. يومئ بعجزه
ويستبق الأبواب ليصفقها في وجهي
إنه لا زال يُخربش بقلمه في وجهي وأنا نائم
ويتبوّل أسراري أمام الدكاكين والصبيان
ويزرع أسنانه الطويلة في حذائي كظهر القُنفذ
إنه لا يفتر عن دلْق لُعابه المسعور في محبرتي
إنه يا أمي توأمي الإفريقي
الذي أرضعته من ثديك الثّر دُرّاً مُذاباً
فاستشاط ثلاثين عاماً
كعربيد في حانة شعبيّة
فلَكِ اللهُ، يا أميّ، لو رأتني عند الخامسة والثلث
وأنا أفتح باب غرفتي فأسمع صراخ السطور
وهي تتضاغى جوعاً.. فأطعمها محبرتي
ولعاب توأمي الإفريقي
غرفة يا أمي ليس فيها
غير جلد يستره ثوبي الأخضر ذو الرائحة النّتنة
وعنكبوت يهندس بيته على طراز حديث
ودمعة شبقيّة تخلع عباءة أهدابي
وتُغلّق الأبواب وتقول: «هيتَ لك»
لك الله يا أمي
يا مُرضعة أبناء التراب والتراب
أكاد أخدش غشاوة الماضي
بإبرة من إبر الثلاثين الصدئة
لأعود رضيعاً أبلّه في راحتيك
تُداعبينني وتُرسلينني في الهواء كالدّعاء
فأرجع إليك كالدعاء المُستجاب
أجل.. لم يبقَ غير عباءتك المعلّقة
وساعتك التي أهديتنيها قبل مولدي
وأنا ضحكة مشطورة بين الصلْب والتّرائب
تلك الساعة المؤمنة برعشة الخشب الخائف من طعنات المسامير
أضبط عليها كلّ يوم ألفاً وأربعمائة وأربعين موعداً
مع الهموم المُزدحمة عند باب غرفتي
كغابة من سيوف المغول
لقد صفعها الزمان فسكتت
ويبست عقاربها كأصابع هيكل عظميّ
رغم أنها منذ ثلاثين عاماً
وعقاربها لا تشير إلاّ إلى الخامسة والثلث

حكايات كورية

ترجمة: محمد أحمد طجو
الرياض ـ السعودية

العرّاف

ذهب توتيبي إلى توري، وكرر ما قال لوالده، وأشار إلى المكان الذي كان السيف مخبأ فيه.

طلب والد توتيبي توري، وسأله: هل تستطيع أن تعرف أين سيفي؟

ـ نعم، أجاب توري، وأشار إلى المخبأ.

قدم والد توتيبي له مبلغا كبيرا من المال، ووعده بحمايته.

اختفى ختم إمبراطور الصين بعد فترة من الزمن فكتب إلى ملك كوريا يسأله إن كان لديه عراف، وطلب منه إرساله إليه في حال كان الجواب إيجابياً.

حدث والد توتيبي الملك عن توري فقال الملك: ينبغي أن نختبره أولا.

حينما مثل توري أمام الملك، قال له الملك وهو يشير إلى صندوق مغلق: اعرف ما في الصندوق!

ـ أوه، توتيبي، تأوه توري بنبرة عتاب.

ـ إنك تقول الصواب. إنه ضفدع فعلا، قال الملك وهو يعرض الضفدع المخبوء في الصندوق على الحضور. وأضاف: أنت الرجل الذي نحتاج إليه. ينبغي أن تذهب إلى الصين.

ـ لقد أخطأت هذه المرة، وسوف يقطع الملك رأسي! آه، يا توتيبي، لقد أسديت خدمة فريدة إلي، قال توري وهو في طريقه.



عندما وصل توري إلى مشارف بكين، جلس تحت ظل شجرة ليستريح فغنى عصفور على غصنها: تشي ـ تشو، تشي ـ تشو! أخذ توري يردد دون كلل أو ملل: تشي ـ تشو، تشي ـ تشو! كان توري متأكدا جداً من أنه سيموت عندما مثل أمام الإمبراطور، حتى إنه عندما سئل عن مكان الختم اكتفى بالقول: تشي ـ تشو، تشي ـ تشو! وفي الحال سقط أحد جلساء الملك راكعا، واعترف بأنه أخذ ختم الإمبراطور. كان الجليس يسمى تشي ـ تشو.

ـ أقر بأنك عرّاف كبير، وسوف تبقى في بلاطي، قال له الملك.

لم يكن توري راضياً بهذا القرار، لأنه كان يخشى أن يكتشف أمره بين يوم وآخر. وطلب توري أن يعود إلى بلده، قرب زوجته وأقربائه.

تردد الإمبراطور قليلا؛ إذ إنه سيفقد عرّافا كبيراً، لكنه على الرغم من ذلك قبل بمغادرته بعد أن أغدق عليه العطاء.

سخر جلساء الإمبراطور من توري، لكنه لم يكترث بسخريتهم! لقد عاد إلى أهله، وعاش حياة طويلة وزاخرة بالحكمة، والثراء، والاحترام.

كونفيوشوس

كان كونفيوشوس(١) في أحد الأيام ومعه ثلاثة آلاف من تلامذته يعبرون سهلاً ترتفع في وسطه شجرة محملة بالفاكهة، وكانت امرأتان تجلسان إحداهما على اليمين، والثانية على الشمال، تأكلان منها. وكانت التي تجلس في الغرب جميلة؛ ممتلئة الجسم، بيضاء الوجه. أما التي تجلس في الشرق فقد كانت شاحبة، وقبيحة.

ـ كم هي جميلة، قال كونفيوشوس وهو يشير إلى الأولى.

ـ أجل، هتفت الثانية، ولكن عندما تحتاج إلى إدخال خيط في تسعين ثقباً لإحدى الفتحات، فإنك ستتذكر امرأة الشرق لا امرأة الغرب.

ـ إنها قبيحة، وتبدو مجنونة أيضاً، همس كونفيوشوس.

وعندما وصل كونفيوشوس أمام باب إمبراطور الصين، قدم له الإمبراطور فتحة صغيرة وشائكة بتسعين ثقباً، وهو يقول له:

ـ إن تكن حكيماً حقاً، تدخل خيطاً في هذه الثقوب التسعين.

تذكر كونفيوشوس عندئذ المرأة التي كانت تجلس في الشرق، ورجع إليها فوجدها تحت الشجرة نفسها، وقد اختفت صديقتها. خاطبها قائلاً:

ـ لقد عدت إليك، وأرجو مساعدتي.

ـ أخذت المرأة الفنحة، ووضعتها في العسل، ثم ربطت خيطاً من الحرير الدقيق بقائمة نملة صغيرة. تنقلت النملة من ثقب إلى آخر لتأكل العسل، وأدخلت الخيط في تسعين ثقباً.

ـ لقد عرفت ماذا طلب الإمبراطور مني، وتوصلت إلى حل مسألة صعبة. من أنت؟ وأين درست؟ قال لها كونفيوشوس متسائلاً.

ـ لم أدرس في أي مكان، وأعرف كل شيء على الرغم من ذلك، لأنني خادمة السماء. وأضافت: لقد أرسلت إليك لأن السماء ترغب في أن يجيب من اختارته عن الأسئلة التي قد يطرحها عليه الناس.

وما إن أنهت المرأة كلامها حتى صعدت إلى السماء على مرأى من كونفيوشوس. نام كونفيوشوس على الأرض، واستغرق في تأمل عميق طوال الليل، إذ إن الإنسان العادي يحتاج إلى آلاف السنين ليفكر بما فكر به كونفيوشوس في تلك الليلة.

الفنان

كان في كوريا في قديم الزمان فنان شهير اسمه كين ـ تون. وكان يحلم بمجد أعظم من المجد الذي وصل إليه. رأى ذات مساء في الحلم عجوزاً ثمانينياً يخاطبه بهذه الكلمات:

«هناك نهر سماوي أكثر روعة من السماء وأكثر صفاءً من أنقى مياه الأرض. وينبغي مراقبة السماء كل ليل لاكتشافه؛ إذ يبدأ مجراه في المكان الذي يسقط فيه بريق أوريون(٢)، الذي يميل إلى الحمرة ويضيئه بلونه.

ارسم لوحة لهذا النهر، وسوف يسعد عملك كوريا كلها؛ لكنه سوف يكلفك حياتك».

استيقظ كين، وانتظر بفارغ الصبر حلول الليل، ونظر إلى السماء فلم ير شيئاً في بادئ الأمر، إذ إن السماء كانت تارة زرقاء قاتمة؛ لا تمتقع إلا حول النجوم الكبيرة الشبيهة بقطرات الندى، وتارة أخرى مضاءة بالقمر الذي يحيط به بريق أوريون الخفيف؛ حيث كان ضوء النجوم يخفت، وتمتقع السماء.

نجح كين بعد تأمل طويل في تمييز أجزاء أخرى من السماء كانت وكأنها تموج مثل أمواج البحر، وأمعن النظر حتى تمكن من رؤية ما لم يره إنسان من قبله قط. وكان الذين يشاهدونه غارقاً في تأمله يقولون: «إن روحه تحررت من جسده وتاهت في الأثير».

كان عمل كين يتقدم تقدماً بطيئاً. مرت شهور وسنوات. وبينما كان كين ذات يوم يتأمل السماء، ويوشك على اكتشاف آخر شعاع، توقف فجأة عن رؤية السماء الصافية، وكل ما يحيط به. لقد أصبح ضريراً، ووجد ميتاً عندما دخل الناس غرفته في الصباح.

حملت لوحة كين إلى الملك الذي نادى العلماء وسألهم: «ماذا يعني هذا؟».

ـ «لاشيء»، أجابوا بعد نقاش طويل.

وضعت اللوحة في الأرشيف، لكن حكيماً صينياً قال لإمبراطور الصين: «إن كين ـ تون فنان كوريا الشهير، رسم لوحة رائعة؛ وينبغي الحصول عليها بأي ثمن».

أمر إمبراطور الصين بشراء اللوحة، وتخلى عنها ملك كوريا مقابل ألف كاش(٣). وبما أنه كان على الصينيين رشوة الكوريين فقد كلفتهم اللوحة ثلاثين ألفاً.

ـ «ماذا تريدون أن تفعلوا بهذه القذارة؟» سأل الوزراء الكوريون، وهم يخبئون النقود في أيديهم.

ـ «ماذا نريد أن نفعل بها؟ أعطونا صنارة وسوف ترون»، أجاب الصينيون. عندما وضعت الصنارة قرب اللوحة، خرجت منها سمكة حية.

ـ «أترون؟ لقد بعتم سعادة بلدكم»، هتف الصينيون.

وبدأت الصين منذ ذلك الوقت تزدهر، وغاصت كوريا شيئاً فشيئاً في البؤس، ومازالت فيه حتى يومنا هذا.

الهوامش

* حكايات كورية هي حكايات جمعها ونشرها باللغتين الروسية والصينية المهندس الروسي المعروف غارين، وذلك خلال إقامته الطويلة في كوريا، وقد قام الفرنسي سيرج بيرسكي بترجمتها إلى الفرنسية ونشرها في عام ١٩٢٥م، وقد صدرت الترجمة الفرنسية عن دار النشر ليبريري دولاغراف.

يقول غارين في معرض تقديمه هذه الحكايات: «كان عشرون أو ثلاثون كورياً متدثرين، ومعتمرين قبعات عريضة الأطراف، يحيطون بنا ويجلسون القرفصاء. قام أفضل شاعر غنائي من الحضور بقص علينا حكايات استجابة لطلب أحدنا، بينما كان الآخرون يدخنون غليوناً ويصغون بانتباه. وكان يرافقني صديقي كيم، وهو مدرس كوري، كنا ندون الحكايات تدويناً سريعاً، الجملة تلو الجملة، ونحاول الحفاظ على نكهتها وبساطتها. كنت أسمع هذه الحكايات، تارة في المساء بعد دعوة على العشاء، وتارة أخرى عندما كنا نستريح على إحدى الروابي؛ حيث كان باستطاعتنا إلقاء نظرة شاملة على السهول والوديان التي كانت تمثل رسماً خريفياً دقيقاً يذكر بالسجاد الفارسي القديم. وكانت شمس الشرق الصفراء بأشعتها البنفسجية والبرتقالية تغيب بكامل هيبتها، وتنطفئ، وتتوارى في الشحوب الغسقي، بعد أن تكون قد أضاءت ألف شعلة. وفي تلك اللحظة، كان المجتمعون حولنا، وكذا الطبيعة، وكأنهم من عصر خرافي».

والحكايات الكورية، تعود بنا إلى كوريا الألفية، وآدابها، ومعتقداتها، وأخلاقها، ورغبتها الفطرية في العدل؛ إذ يتدخل أوكونشانتيه، في معتقدها، مرات ومرات لحماية الشرفاء، حتى إن لم يذكر بالاسم، ويظهر تأثيره في كل مكان من خلال أحداث ثانوية تكتسب أهمية في سياق المأساة، وتسهم في إنقاذ البطل أو البطلة.

إن الأب في الحكايات الكورية يتمتع بالسلطة المطلقة؛ فسلطته صورة عن سلطة الملك. ويعاقب الأب إن أساء استعمال سلطته؛ فالقانون الأزلي فوق كل سلطة، والشعور بالعدالة العليا موجود لدى كل الشعوب. وتبقى هذه الحكايات بمغزاها وحكمها الكونية غامضة أحياناً فيما يتعلق بمعتقدات هذه الشعوب المنغولية وتقاليدها؛ إلا أنها تسحر الأطفال بخيالها المبدع وبمفاجآتها، وتثير اهتمام البالغين، ويرى فيها العلماء وثائق ثمينة من عصور قديمة واستثنائية فيدرسون الدلالة المجازية لبعض الأحداث، والشخوص، والحيوانات، التي تكشف لهم بعض المشاعر الإنسانية البدائية.

١ـ كونفيوشوس هو أشهر فلاسفة الصين. عاش في الفترة ٥٥١ ـ ٤٧٩ ق.م.

٢ـ أوريون: مجموعة من النجوم.

٣ـ كاش: وحدة نقدية تساوي عشرين فرنكاً فرنسياً تقريباً.

أنفاس الليل..

فهد العتيق
الرياض - السعودية

في هذا الليل البري، البارد، والهادئ، والمخيف، والممطر بهدوء، كنت أسمعه يأتي خفيفًا من بعيد، كأنه صوت طائر محبوس، أو صوت لكائن آخر لا أعرفه، لكنه صوت أنيس، يشبه الصفير أحيانًا، وأحيانًا يشبه الرنين البعيد.

أسمعه الآن، وأنا أرتجف بردًا، بعد أن ترجلت من سيارتي التي هوت في منحدر صغير وسط براري المدينة القريبة، حين كنت أبحث عن مخيم غامض الملامح.

أغلقت أبواب السيارة، بعد أن أضأت نورها القصير ثم مضيت، باتجاه ضوء بعيد وشاحب، يظهر أحيانًا ويغيب فجأة، ظللت أسير وسط الظلام، على أرض مظلمة، ورطبة مازالت تستقبل مطرها الخفيف، وحولي ذلك الصوت الذي يأتي من كل الجهات موسيقيًا وعذبًا، يرن في أذني الآن بقوة، صوت أليف ومميز وسط هذا الضياع الغريب، حتى إنني لا أعرف اتجاه المدينة، رغم الأضواء البعيدة والباهتة التي أراها تنبعث أحيانًا من كل اتجاه، أو تختفي فجأة، وكأنها شهب دخلت في لعبة مسرحية مع (خوفي) الذي لم يبلغ منتهاه، لكنه مازال ممتعًا ومنتظرًا أو متحفزًا أو مندهشًا.

مشيت مسافة نصف ساعة تقريبًا، حتى أضعت أنوار سيارتي، ومازال الصوت الخفي يتبعني، مع صوت المطر على الأرض الرطبة، والهواء البارد يضرب صدري ضربات متتالية، حتى بدأت أشعر أن حلقي صار أكثر جفافًا وخشونة، مع إحساسي بالدوار، وخطواتي المتزنة أصبحت أقل اتزانًا، لكني، أيضًا، بدأت أتحدث مع نفسي وأنا أضرب الأرض المطورة بقدمي الرخوتين، حتى عاد صوت الطائر المحبوس، قادمًا، ربما من البعد، يضيء ظلام الوقت والمكان والروح والأسئلة والخوف.

كنت أفكر، وسط هذه الحالة بأشياء صغيرة، أحيانًا أمشي، يأسًا، وعيناي على الأرض، استرجع شريط حياتي القريبة، وأخذت موقفًا من بعض الأشياء، الممارسات، بدأت أحاكم الرجل الذي كنته قبل هذا الضياع، وكنت أتساءل: كيف تسنى لي، أنا المغرور بذاتي، أن أتجاهل أشياء مهمة مثل......،

بدأت البحث في الكثير من الأفكار، وإعادة تصوير الكثير من المواقف، بدأت الأشياء والأفكار والصور واضحة وجلية أكثر من أي وقت مضى، ورأيت كيف تتداخل الصور المتناقضة والصحيحة مع بعضها البعض وكيف في ظل الانشغالات نقبل بكل شيء، كنت أرى عالمنا مثل جزر معزولة، وأرى المسرحية بكامل فصولها، مع صوت ذلك الصفير البري أو الطائر المحبوس. كنت أعود إلى الطفل العظيم في داخلي، وأشعر بأن هذا المكان النائي بدأ يترك فيّ أثرًا من روحه، مضمخًا برائحة جديدة ونافذة لم آلفها بعد، وكنت أحاول أن أتعايش مع هذا الألم بسرية ووقار، في حين تنفجر الذاكرة بلا إرادة فيّ، مبتعدة هناك إلى الطفولة القصوى وإلى تعرية الواقع الذي كان واقعًا ضخمًا ومسيطرًا بضبابه، قبل هذا الموقف.

لقد أحببت صوت الطائر المحبوس الذي يسير معي الآن، لكني بدأت أشعر بالمسؤولية أكبر، بعد أن فقدت إضاءة سيارتي، ثم تنبهت إلى أنني قطعت الآن أكثر من ساعة، فآن للمحارب أن يستريح قليلاً على ظهر حصاة مبلولة، على إيقاع أنفاس الليل، وصفير ذلك الطائر، الذي ربما لا يكون طيراً.

على ظهر الحصاة المطورة، مكثت نحو عشر دقائق، كأني أنتظر أحداً. وسط هذا الضياع، في البراري المظلمة والمطرة، لا يمكن أن تحدد بماذا تفكر، لقد شعرت بأنني لا أبحث عن حل، بقدر ما أنتظر دليلاً ما لاتجاه المدينة الصحيح، أو عابر سبيل، أو نور لا يبتعد حين أمشي إليه.

كانت الخواطر والأفكار تأتي عشوائية على نحو مثير، وفي وسطها تبرز صور غير معقولة، تحاول الاقتراب من هذه الحالة الغامضة التي أمرّ بها. كنت أشعر أن قدميّ المبلولتين أكثر ضعفاً، وبدأ وجع جديد عند المفصلين، أما ثيابي فقد أصبحت منذ فترة طويلة تقطر ماء السماء.

كان صفير الطائر المحبوس، لا يزال يرن في أذني بقوة، يحدثني عن أشياء كثيرة، يثير الكثير من الشجن، ويعيد ذكريات قديمة.

تركت ظهر الحصاة التي استرحت عليها قليلاً، واتجهت نحو ذلك اللون الفضي البعيد الذي يشبه قبة في نهاية الأفق، قلت: تلك هي إضاءة مدينة الرياض، أما سيارتي التي فقدت إضاءة نورها القصير، فلم يعد بالإمكان العودة إليها بأي طريقة، ظللت أمشي حتى وجدت أن الساعة قاربت الواحدة صباحاً، ولم أصل بعد، إلى طريق يهديني إلى الشارع الرئيسي المؤدي إلى المدينة، السماء ما زالت تمطر بهدوء، والليل هادئ تماماً.

ظللت أسير باتجاه الضوء الفضي الواسع في قبة السماء، وفي رأسي تدور حكايات كثيرة عن أولئك الذين خرجوا من بيوتهم ولم يعودوا.. صاروا في عداد المفقودين، وبدأت أهذي بكلمات غير واضحة، صوت يخرج من داخلي يشعرني بالهزيمة واليأس.

لو أن يداً ضخمة تقلني الآن إلى حضن كفها الدافئ ثم ترمي بي في سطح بيتنا. لو أن نهاراً يعجل بصباحه، الآن، لكي أعرف أين أنا، أين الطريق.

ما زال المطر خفيفاً، وما زالت الأصوات المختلفة القادمة من البعيد تتداخل، وبدون أسباب بدأت أشعر، بعد عشر دقائق من المشي السريع المتواصل، بأنني قريب من مكان ما، كانت هناك مناظر سوداء بعيدة كأنها جبال، وأحياناً تبدو كأنها جدران عالية مظلمة، وحين أقترب منها تبتعد، حتى بدأت أسمع أصوات سيارات شحن بعيدة، بالتأكيد إنها تسير على الخط السريع لطريق الرياض القصيم، وبعد لحظات قليلة من المشي والانتباه المركّز، اصطدمت بجدار حقيقي، درت حول المبنى الصامت فوجدت به باباً مغلقاً، ركضت إلى الطريق الترابي المؤدي إلى الطريق العام، مكثت دقائق حتى توقفت شاحنة، ثم ركبت جوار السائق الهندي وأنا ألهث، ولم أفق إلا وأنا مدثر بغطاء ثقيل في بيتي، وقبل أن أتطامن في نومتي العميقة تذكرت حواري مع الطائر المحبوس، حين كنت ضائعاً وسط البراري:

- قال الطائر المحبوس: عد إلى سيارتك..
- قلت: كيف وأنا فقدتها منذ وقت طويل؟
- قال: من خلال الطريق الذي سلكته سوف تصل إليها.
- قلت: هل أسير ساعة أخرى؟
- قال: أفضل من المجهول الذي تذهب إليه، الآن، بقدميك.
- قلت: وماذا أفعل بسيارة في حفرة ممطورة؟
- قال: تنام بداخلها حتى الصباح.
- قلت: بلا غطاء ولا ماء؟
- قال: أفضل من المجهول الذي تذهب إليه.

كانت أنفاس ليل البراري المطرة تضيء بصخب، في نومتي المتطامنة.

الفأر والأشياء الأخرى

إبراهيم رحمة

بسكرة - الجزائر

ـ استلم السيد الرئيس صباح اليوم برقية تهنئة هذا نصها..

يتململ أبو مرزوق في جلسته، وهو يتابع نشرة أخبار منذ ما يزيد على الساعة؛ يتأفف ثم يأمر أم الأولاد فتجيئه:

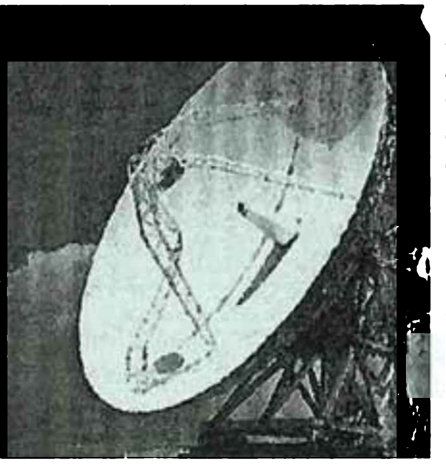
ـ أطفئي التلفاز، لم أعد أحتمل. وراح يلعن، ربما انفلتت من فمه بعض الشتائم، هي شتائم على حالته قبل أن تكون على نشرة الأخبار؛ حالة عامل يومي يشتغل حمالا في الميناء، لم يدخل مدرسة في حياته، ولم يلبس جديداً، بل منذ درجت خطواته على الأرض، لا يذكر أنه حلم يوما بغير الرغيف والماء؛ حتى إن زواجه لم يكن عن سابق اختيار أو تخطيط؛ وكل ما في الأمر أن أمه - عليها رحمة الله - قالت له: إن الزواج سترة للرجل واستقامة، وكان أن اختارت له ابنة خالته يتيمة الأبوين - يقال: وافق شن طبقة - واليوم يترك لنفسه فسحة الحلم بغير الرغيف والماء فواصل قائلا: لو كان لدينا برابول (دش) لما كنا مضطرين إلى إطفاء التلفاز. ثم استغفر ربه، الإمام يحذرهم؛ يقول: إن البرابول حرام.

وكان ابنه مرزوق في ركن الحجرة خلف بابها كعادته يراقب جحر فأر، إنه يمني نفسه باصطياده ذات يوم، ولم يأت هذا اليوم.. ولم يمل أيضا، وكل ما في الأمر - هكذا يقول لوالده - أن الفرصة لم تأت بعد وكذلك الأجل، هو ابن العاشرة يفهم في الأجل، ويقهقه والده كلما سمع منه هذا الكلام، ثم لا يلبث أن يؤنبه ويطلب منه الالتفات إلى دروسه، فلا فائدة من الفأر.. إلا أنه لا يستمر في التأنيب أو مراقبته وكأنما من الواجب أن يؤنبه فقط..

ـ يا امرأة - لا يذكر حتى اسمها، لقد ورث هذا الأمر عن أبيه وأبوه عن جده - ماذا تقولين لو نشتري برابولا؟..

ـ وهل لدينا ما يكفينا حتى نشتري البرابول!..

ـ أبي.. أبي.. يقولون: إن كل ما يأتي من السماء نعمة.



ـ ألا زلت هنا؛ اذهب إلى فراشك.

ـ يقولون أيضا.. ولم يتركه حتى يتم جملته:

ـ اللعين قلت لك اذهب إلى فراشك.

ينزوي مرزوق كما كان أول الأمر دون أن ينبس ببنت شفة وراح يتلصص على فأره. ويتلصص أيضا من زاوية عينه اليمنى على والديه. هو يعلم أن القضية ليست في شراء البرابول إنما في شاوروهن وخالفوهن، فأبو مرزوق يؤمن إيمانا أعمى بأن المرأة كائن بليد ولا يشير بالصواب إلى ذلك فهو من باب شاوروهن وخالفوهن يشاور زوجته - أم الأولاد - ثم يخالفها في رأيها ولو طلبت منه شراء الهوائي المقعر - البرابول - لما استمع إليها ولسد أذنيه وتظاهر بالطرش - عادة درج عليها الأجداد للتهرب من طلبات النساء -. ثم واصل كلامه دون أن ينتبه إلى أن أم الأولاد تستعد للنوم:

ـ في الصباح سمعت جارنا مختار يروي العجب عن هذا القادم الغريب.. يقول: إنه يستحضر الأرواح من كل مكان، ولا يستعصي عليه أحد، حتى إنك إذا أردت أن تذهب إلى أي مكان، فيكفي فقط أن تضغط زرا صغيرا وتحصل على النتيجة.

ـ يارجل أتصدق هذا الهراء؟

ـ لكن الإمام طلب منا مقاطعة كل هذه النجاسات؛ هو يقول عنها نجاسات، وإن من يسير خلفها سيدخل النار.

ـ أنا لا أفهم في أمور الدين.

ـ أنا كنت أقول لمرزوق: لا تلعب في الشارع عندما كان صغيراً، وإلا دخلت النار.

ـ أبي.. معلمنا يقول: إنه من أحسن المبتكرات العلمية التي تفيد الإنسان.

وظل أبو مرزوق حائراً أيشتري الهوائي المقعر: أم يكتفي بتلفازه الأبتر؛ تلفازه العقيم؟ وكان مرزوق ما يزال يتابع باهتمام جحر الفأر، لقد قرر أن يمسكه حتى يثأر منه، في الليلة السابقة سمع خرخشة وتكتكة علم منها أنه الفأر، خرج يعبث في الحجرة فسادا، وتذكر يوم حمل إلى والده سرواله وهو يبكي، سرواله الجديد الذي يلبسه من العيد إلى العيد وقد أتى عليه الفأر فجعل فيه ثقبة بوسع كفه، جاء إلى والده ويده داخل الثقب يريه إياها قائلا:

ـ أبي أرأيت إلى اللعين لقد أفسد سروالي العزيز، أبي إنه يأكل كل شيء، يخرب كل شيء، يأتي على الأخضر واليابس. أبي ماذا ستفعل؟ أنا لن أستسلم له.

تأسف أبو مرزوق للحادثة؛ وعده بشراء سروال آخر وبالانتقام، وحتى الساعة لم يشتر السروال كما لم ينتقم. وما عاد مرزوق يذكره كما كان يفعل في الأيام الأولى، وقرر الانتقام بمفرده وطلب من الله أن يسلط على أبيه فأرا حتى يحس فداحة فعلته.

ـ حضري مصوغاتك - ليس إلا سلسلة من الذهب الرديء المطعم بالفضة - سأرهنها غدا عند صروف الصائغ صروف لن يمانع أبدا، صحيح أنه يبخسني القيمة ويزيد في الفائدة، غير أنه سيتفهمني.. لذا سأشتري البرابول، لا يمكنني أن أظل دون الجيران، الكل اشترى واحدا أو اشترك مع آخرين في واحد أما أنا فلأنني ظللت بعيدا عنهم، ظللت دونهم، لم أدخل هذه الدنيا الجديدة التي يحكون عنها.. غدا.. ندخل هذه الدنيا.

ـ أبي جارنا يقول البرابول كالفأر.. يثقب المخ ويأكل ما فيه.

ـ قلت لك: انهض إلى فراشك، ثم نظر ناحية أم الأولاد - لهما ولد واحد ويناديها أم الأولاد - بدا الولد يستعصي، إنك لا تنتبهين إليه كما يجب.

ـ وما عساني أفعل له، أنت أبوه وأنت المطالب بتربيته.

ـ حسنا سنرى الأمر بعد شراء البرابول.



رشا عبداللطيف محمود
القاهرة - مصر

مع نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر بدأت الجدة والحداثة في الظهور في جميع نواحي النشاط الاقتصادي والاجتماعي والديني والسياسي والمادي. وبدأ العمل على تثبيت دعائم الملكية في الدولة الحديثة للقضاء على الفوضى والصراع الديني الذي يؤدي إلى الانقسام السياسي، وظهرت أمهات المذاهب الحديثة على يد فرانسيس بيكون ومن ورائه المدرسة التجريبية، ورينيه ديكارت ومدرسته العقلية.

ومنذ منتصف القرن الثامن عشر ومع التغيرات الظاهرة في المجتمع نتيجة الثورة الصناعية التي أصبحت حقيقة واضحة وملموسة، ظهرت مذاهب فلسفية وتربوية، نلمسها اليوم في الأنظمة والاتجاهات التربوية. وأهمها الحركات العلمية والنفسية والاجتماعية بروادها المختلفين مثل رابيليه، وجون لوك، وروسو، وكومنيوس.

ومع بداية القرن التاسع عشر بدأت تلك الحركات الثلاث في التكامل، حتى أصبح يتعذر الفصل بينها؛ فالحركة العلمية أثرت في مواد الدراسة، والحركة النفسية في طرائق التدريس، أما الحركة الاجتماعية فقد كان مجالها المناهج


بستالوتزي

والخطط المدرسية وفلسفتها.

ونحن إذ نتناول يوهان هينريش بستالوتزي بالقول، فذلك لأنه من أوائل الرواد الذين قادوا حركة التكامل تلك في العصور الحديثة.

نشأته وحياته

يعدّ القرن الثامن عشر هو القرن الذهبي للتربية، ومرجع ذلك، لا لأن عدداً من النظريات التربوية نشأت فيه فحسب، ولكن لأن يوهان هينريش بستالوتزي قد عاش وأثر فيه أيضاً. هذا الرجل الذي عدّه معاصروه مثالاً وقدوة للمربي الحقيقي، ولقد ظل هكذا حتى الآن.

ولد بستالوتزي في الثاني عشر من كانون الثاني/يناير ١٧٤٦م في زيورخ بسويسرا. وكان والده طبيباً بارعاً، ولكنه توفي بعد ولادته بخمس سنوات.

وظلت أمه ترعاه بحنو وعطف شديدين؛ وقد أثر هذا في بستالوتزي أشد التأثير، حيث ظل العطف والحنان هما الركيزتين الرئيستين في نظرياته التربوية، ثم ظهر التأثير الثاني في حياته، حين كان جده

القس يصطحبه معه لزيارة الفقراء والمرضى، فظل بعد ذلك طوال حياته يهتم بهم أشد الاهتمام. ولهذا اتجه في بداية حياته إلى دراسة الدين ليصبح مثل جده. ولكنه عاد فانصرف عن ذلك ودرس القانون، ولكن تلك الدراسة أيضًا لم تتم، فنتيجة تأثره باثنين من أساتذته وهما بودمر Bodmer، وبرايتينجر Breitinger تعرّف بستالوتزي آراء جان روسو وأفكاره في التربية، وقرأ كتابه الأشهر الذي اشتمل على معظم تلك الآراء (إميل). وقد أصبح بستالوتزي من أشد المتأثرين والمتحمسين لفلسفة العودة إلى الطبيعة، حتى إنه ترك دراسة القانون، وتزوج من إحدى السيدات، وكانت تعيش في قرية تملك الكثير من أراضيها، حيث حاول أن يقيم مزرعة حديثة، ولكنه أخفق(١). وقد أعقب هذا الإخفاق فترة طويلة عاش فيها بستالوتزي متفرغًا لتربية طفله تبعًا لآراء روسو، ولكن بالتجربة ظهرت بعض مواضع النقص التي حاول بستالوتزي بكتابة «مذكرات والد» تصحيحها، ثم أنشأ مدرسة للأطفال الفقراء أسماها «نيوهوف»، ولكنها سرعان ما أغلقت أبوابها نتيجة جهله بالإدارة


جون لوك

مما أدى إلى إفلاسه، وكادت زوجته تفلس أيضًا(٢).

اتجه بستالوتزي بعد ذلك إلى الصحافة، حيث قام بنشر عدة مقالات عن الإصلاح الاجتماعي والسياسي ودور التربية في هذا الإصلاح، ثم أنشأ مدرسة جديدة في ستانز للأطفال الفقراء، وقد حاول بستالوتزي أن يحقق في تلك المدرسة مبدأه، وهو الجمع بين النشاط التربوي والصناعة اليدوية.

وانتقل بعد ذلك إلى التدريس في برجدورف، فقد أدت طريقته إلى نتائج باهرة، وحصل من إدارة المدرسة على اعتراف رسمي بمزاياها، ولكن نتيجةً للظروف السياسية انتقل بستالوتزي إلى العمل في فردون، حيث أنشأ مدرسته داخل قلعة أصبحت محط أنظار كل المهتمين بالتربية. وتلمذ له هناك الكثيرون. ولكن نتيجة لكبر سنه ووشاية الحاقدين من أعدائه، بدأت أهمية المعهد بالتناقص، حتى استولى على إدارته تمامًا أحد هؤلاء الأعداء من المخالفين لآراء بستالوتزي، الذي رحل إلى كلندي، وأنشأ هناك مدرسة زادت شهرتها تدريجيًا إلى أن انتهت بموت بستالوتزي في ١٧ شباط/فبراير ١٨٢٨م(٣).

أهم كتاباته

حين حاول بستالوتزي اتباع طريقة جان جاك روسو في تربية طفله الوحيد اكتشف عددًا من العيوب في تلك الطريقة، أولها أن يترك الطفل حتى سن الثانية عشرة دون تقديم أي تعليم له، وقد عبر بستالوتزي عن الكثير من آرائه التربوية في كتابه الأول «مذكرات والد».

أما بعد إخفاق مدرسته الأولى في نيوهوف، فقد قضى وقتًا طويلاً في العمل صحفيًا، ولم يكن معنى ذلك أنه نسي طريقه الأول وهو التربية، ولكنه استخدم الصحيفة التي كان يرأس تحريرها وسيلةً لنشر مبادئه التربوية عن طريق مقالات عن الإصلاح الاجتماعي والسياسي ودور التربية فيه. وقد جمع أغلب مقالاته في كتاب «تأملات راهب ساعة المساء»، وقد ضمنه فكرته عن الطبيعة الخيّرة للإنسان وأهمية التربية في تنمية تلك الطبيعة(٤).

ثم ظهر بعد ذلك أكثر مؤلفاته انتشارًا وأوسعها تأثيرًا وهو «ليونارد وجيرترود» الذي يقص حكاية جيرترود وقريتها الساكنة، وكيف استطاعت أن تنقذ زوجها ليونارد من داء إدمان الخمور عن طريق مثابرتها وإخلاصها؟ كما أن طريقتها تلك أثرت في عدد من أهالي القرى المجاورة. وقد لاقى هذا الكتاب أصداء نجاح واسعة في كل مكان، فبينما وجد فيه العامة قصة ماتعة، أهدت جمعية برن الزراعية لبستالوتزي ميدالية ذهبية؛ لأنه ضمّن كتابه وسائل عملية لإصلاح أحوال الفلاحين، كما أن ملكة

بروسيا كتبت عنه في مذكراتها، وعن أثر بستالوتزي في حياة من حوله(٥).

ولكن أعقب ذلك النجاح الكبير إخفاق متواصل - كما هو الحال دائماً في حياة بستالوتزي - فقد نشر بعد ذلك كتابه «كريستوفر واليزا»، ضمّنه مبادئه التربوية والتعليمية بطريقة فلسفية، فلم يفهمه العامة فأخفق. وقد أدى هذا الاتجاه إلى الفلسفة إلى إخفاق جريدته السويسرية وبحثه في «أثر الطبيعة في تقدم الجنس البشري»، ولكن النجاح عاد إلى بستالوتزي، حين عاد إلى الكتابة التربوية بصورة مبسطة، وذلك في كتابه «أقاصيص» Fabels، الذي اشتمل على مجموعة من النوادر التي يشترك فيها الإنسان مع الحيوان بطريقة تربوية. فعلى سبيل المثال أظهر بستالوتزي فرسين اعتُني بإحداهما، أما الأخرى فلا، ثم خاطب الآباء بأن يعتنوا بأبنائهم، حتى يظهر أثر ذلك فيهم أيضاً.

ثم عاد بستالوتزي فنشر الجزء الثاني من كتابه الشهير تحت عنوان: «كيف تعلّم جيرترود أطفالها؟» الذي وضع فيه أسس الاتجاه النفسي للتربية، وقد حث فيه أيضاً على أهمية التعليم بالنسبة إلى كل طبقات الشعب.

نبذة من التربية قبل بستالوتزي

قد لا نستطيع تقدير الأهمية الحقيقية لطريقة بستالوتزي المتطورة في التربية وإصلاحاته بهذا الشأن، إلا بعد أن تتضح لنا طريقة التربية التي كانت تسود مدارس أوروبا في عصره. ونقلاً عن «ويمستروبج» قال:



جان جاك روسو

«كان كل طفل يقرأ بمفرده، فلم تكن الطريقة الجمعية في القراءة قد عرفت بعد. لقد كان كل طفل يخلف زميله في الوقوف بجوار المدرس الذي كان يشير إلى حرف من الحروف وينطقه، ثم يردده التلميذ بعده مباشرة، وهكذا حتى يتدرب التلميذ على معرفة الحروف وتذكرها، ثم يتدرب الطفل بعد ذلك على قراءة الكلمات، وبذلك يتعلم القراءة بالتدريج، على أن هذه الطريقة كانت عقيمة جداً. فقد كانت تمر السنون دون أن يتعلم الطفل القراءة بسهولة، بل إن الكثيرين لم يتعلموا شيئاً طوال السنوات الأربع التي كانوا يقضونها في المدرسة، ولم تكن هذه الطريقة سوى مجرد تقليد وعمل آلي بحت. فكان يندر أن يفهم الأطفال ما يقرؤونه، وكانت المقاطع جميعها تقرأ بنغم واحد، بل إن القراءة كانت مجرد قراءة آلية شكلية من دون شرح أو تعليق. وكان كل ما يتدرب عليه الأطفال هو الحفظ عن ظهر قلب.

[...] هكذا كانت طريقة التعليم في المدارس طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر وثلثي القرن الثامن عشر».

ومن هنا ندرك مدى عقم طريقة التربية في تلك الفترة. ويكفي بستالوتزي شرفاً أن يذكر اسمه في تاريخ التربية مقترناً بأول ثورة على هذا النظام التقليدي ومحاولة تغييره(٦).

معنى التربية عند بستالوتزي

في تلك الفترة التي ظهر فيها بستالوتزي، وأثّر بنظرياته التربوية، كانت التربية السائدة تتجه نحو القشور دون اللباب، فقد اعتمدت على الحفظ والاستظهار والمعلومات القديمة التي لا علاقة لحياة الطفل بها. أما بستالوتزي فقد وضع أسساً جديدة للارتفاع بمستوى الطفل العقلي وإمكان تطبيق ما يتعلمه على حياته.

عدّ بستالوتزي أن التربية هي تفجير للطاقات الإيجابية الكامنة في الطبيعة الإنسانية، وذلك من خلال التأمل، وليس من خلال الكتب. وذلك يعني تأسيس الإنسان من خلال الحب والإيمان لتنظيم العالم. وقد نادى بتنمية الإنسان من كل الجهات عقلياً واجتماعياً ودينياً وجسمانياً، كما كانت العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة بالنسبة إليه شديدة الأهمية، إذ كانت هي

المربي الأساسي والأول للطفل.

وعلى الرغم من اختلاف بستالوتزي في الرأي مع روسو في ترك الطفل دون تعليم، حتى سن الثانية عشرة، فقد أكد هو الآخر أهمية ترك الطبيعة تشكل الطفل، وأوضح أن دور المربي هو تمهيد الطرق وإتاحة الوسائل المناسبة لتسهيل مهمة الطبيعة، وقد اتضح ذلك من خلال قول بستالوتزي: «[...] فتصوروا قليلاً مدى فظاعة هذه الجريمة؛ لأنه من الغريب أن نترك الطفل، حتى سن الخامسة يلهو ويتمتع بالطبيعة، ونترك الطبيعة تطبعه بطابعها، حتى إذا ما شعر بقوته، وأدرك الحرية المطلقة الخالية من القيود والأغلال، وترعرعت في نفسه النزعة الحرة، وتحددت خطوطها الرئيسة، نأتي بعد خمسة أعوام من هذه الحياة السعيدة فننزعه من بين أحضان الطبيعة، ونمحو كل ما تكون الطبيعة قد تركته في نفسه، ونحطم كل ميل نحو الحرية، ونقيده مع زملائه كالخراف، ثم نتركهم من دون شفقة في السلاسل والأغلال في حجرات كريهة الرائحة عدة ساعات وأيام، بل عدة شهور وسنين، لنعلمهم فك طلاسم حروف، أو معرفة معاني كلمات لا علاقة لها بطبائعهم، وهذا يجعل من حياتهم سجنًا وجحيمًا يورثان الجنون»(٧). وقوله أيضًا: «ليس المربي هو الذي يغرس قوى جديدة في الإنسان، أو ينفخ فيه ريح الحياة؛ لأن مهمته الأساسية هي منع أي قوى خارجية أن تقف في طريق النمو الطبيعي للفرد. فقوى الفرد الأخلاقية والعقلية والعملية يجب أن تستمد حياتها من القوى الداخلية، ومن ثم يجب أن ننمي إيماننا بأن نجعله ينبع من صميم أنفسنا لا بالتفكير في ماهيته، وأن ننمي الحب بأخذ أنفسنا به لا بإطرائه بكلمات براقة زائفة، وأن ننمي قوة التفكير لدينا بالعقل لا بالحديث الذي لا نهاية له عن نتائج العلوم والفنون»(٨).

عدّ بستالوتزي أن التربية هي تفجير للطاقات الإيجابية الكامنة في الطبيعة الإنسانية من خلال التأمل، وليس من خلال الكتب

قناع لبستالوتزي

وقد أكد بستالوتزي وجود عدة دوائر تتحدد من خلالها شخصية الفرد وطبيعته، وقد قسم هذه الدوائر إلى ثلاث خارجية، وواحدة داخلية، وهي:

الدائرة الأولى الخارجية: وهي دائرة صغرى تتركز في أسرة الفرد الصغيرة.

الدائرة الثانية الخارجية: وهي أوسع، وتشمل زملاء العمل والجيران والأصدقاء.

الدائرة الثالثة الخارجية: وهي الدائرة الكبرى، وتشمل الشعب والوطن الأم.

الدائرة الداخلية: وهي أصغر الدوائر، ومركزها داخل الإنسان نفسه وعلاقته مع الله(٩).

وقد اهتم بستالوتزي بتحديد كل دائرة، حيث تتحدد حسب صحتها صحة باقي الدوائر المرتبطة بها، ولذلك فقد اهتم كثيرًا بالعلاقات الأسرية، وبالذات علاقة الأم بطفلها الذي تساعده على النمو صحيحًا. وأوضح كذلك أن هدف أي تربية هو إنشاء فرد صالح للعمل في الدائرة الأولى مما يستتبع صحة باقي الدوائر، وأن التعليم إذا خرج عن هذا الهدف فإنه يصبح من دون فائدة. وهو يرى أن هذا التعليم يجب ألا يتركز على الإعداد المهني فقط، وإنما أيضًا الإعداد الاجتماعي والإنساني(١٠).

وقد حث على زرع عادة التأمل في نفوس الأطفال، ويجب أن يتم ذلك في أوائل مرحلة التعليم، حتى ينمو الطفل مدفوعًا بالرغبة الذاتية في العمل في مختلف المجالات، حتى وإن خالف ذلك التقاليد. والدليل على ذلك اعتراف معاصريه بأهمية طريقته تلك، فقد اعترف الجميع بتفوق طلبته في الحصول على أجوبة عن جميع أسئلتهم، وبطرائق

ابتكروها بأنفسهم، وذلك نقلاً عن أحد معاصريه، وهو العالم الفلكي بنز نبرج، فقد طرح سؤالاً في القياسات على طلبة أحد الصفوف في فردون، وفوجىء في اليوم التالي بأن أحدهم أحضر له الأجوبة، وقال: «لقد كانت طريقة جديدة تماماً، مما يدل على أنه اخترعها بنفسه، ولقد تأكدت من ذلك بنفسي، حين أبديت بعض الاعتراضات على حله، فقام على الفور بإثباتها بالبراهين»(١١).

وقد نادى بستالوتزي بإحدى النظريات المتقدمة على عصره وهي أن الأفراد متساوون من ناحية قدراتهم الذهنية، ولكن الاختلاف يكمن في طريقة رعاية هذه القدرات. وبذلك عدّ الفقر ليس مسوغاً لإهمال تربية طبقات الشعب الدنيا وتعليمها، وإنما يجب الرفع من مستواها لتفيد نفسها ومجتمعها.

آراء بستالوتزي التربوية

كان الهدف الأساسي للتربية عند بستالوتزي هو الطفل، وكيف يمكن إتاحة الفرصة له لينمو بطريقة صحيحة؟ وهكذا غيّر بستالوتزي هدف التربية من التعليم وجعله النمو. واستتبع ذلك عدد من التغيرات في طريقة تربيته عن سابقيه؛ فجون لوك شدّد على أهمية أن يتعلم الطفل، أما بستالوتزي فقد أكد ضرورة أن يفكر الطفل وذلك عن طريق التأمل. وهذا الذي يعدّه اكتشافه الأعظم، وهو تنمية قدرات العقل عن طريق إدراك الأشياء، والوصول إلى كنهها من دون عناء عن طريق النظر؛ وبذلك ينمو عند الطفل حبّ الاستطلاع عن الأشياء التي قام باكتشافها بنفسه.

> أكد بستالوتزي أهمية المنزل في التربية، وعدّ الأم المعلم الأول في حياة كل طفل

وهناك ثلاثة أنواع من التأمل هي:

- تأمل حسي.
- تأمل عقلي.
- تأمل خلقي.

كما توجد تأملات للإحساسات الداخلية وتشمل:

- الإحساس بالحق.
- الإحساس بالجمال.
- الإحساس بالخير.
- الإحساس بالمطلق غير المحدود.

مراحل التربية عند بستالوتزي

وضع بستالوتزي خطة مفصلة لتحقيق أهدافه التربوية، يمكن إيضاحها فيما يلي(١٢):

تبدأ التربية عند بستالوتزي بمرحلة ما قبل المدرسة، فهو يؤكد أهمية بداية التربية من المنزل، وبذلك يكون للأم الدور الأكبر، وتكون هي المعلم الأول في حياة كل طفل. فالأم من خلال تكوينها وارتباطها أساساً بطفلها تؤثر في نمو طفلها، وهو هدف التربية الرئيس عند بستالوتزي، كما أن ارتباط الطفل بها وعطفها عليه يجعلان تقبله لتوجيهاتها أسرع وأسهل.

ومن خلال ذلك نأتي إلى الركيزة الأساسية في طريقة تربية بستالوتزي، وهي الحب والإيمان. فهو يؤكد أن الحبّ والإيمان، وموطنهما القلب هما اللذان يقودان إلى أغلب أعمالنا وخصوصاً عند الأطفال الذين لم تنم عقولهم بالقدر الكافي بعد، مما يمكن من استخدامها. ولذلك فإنه يضع التربية الخلقية والدينية في المقدمة، فهي أساس كل تربية في حياة الطفل بعد ذلك؛ لأنها تضع أسس الإيمان عنده.

بعد ذلك يؤيد البدء الفعلي بالعملية التعليمية عن طريق بدء مرحلة التأمل واستخلاص الحقائق العقلية بشكل فعلي من خلال ما حول الطفل من أشياء ترتبط حياته بها، حتى يجد فيها ما يثير اهتمامه ونفعه كذلك.

ويؤكد بستالوتزي ضرورة أن ينظر الأطفال نظرة جديّة إلى التعليم، ويؤكد كذلك أهمية تعويد الطفل الجدّ وتشجيعه عليه من خلال توفير الظروف الملائمة والمريحة للعملية التعليمية، وبذلك يدفع التلاميذ إلى البحث بأنفسهم.

وتقوم فلسفة التدريس عنده على مبدأ تحليل المعرفة. فهو يعتمد على تقسيم المادة المتكاملة إلى أجزاء مرتبط بعضها ببعض بصورة منطقية، بحيث يؤدي كل جزء إلى التالي له. وبذلك يتعلم الطفل دون تسرع، مما يجعل المعلومات تثبت في ذهنه أو ترتبط أكثر بحياته

الواقعية، كما أن الأطفال يتدربون عمليًا على استخلاص المعرفة بأنفسهم واستنباط النتائج من التجارب، ثم تنمّى هذه الملاحظة بعد ذلك بالقيام بسلسلة من الاختبارات المتدرجة في صعوبتها، ومثل هذه الاختبارات تعتمد مبدئيًا على دراسة الأشياء قبل دراسة الكلمات، وفائدة هذه الدروس تكمن في تأسيس التطور العقلي الكامل للطفل. ويكون دور المعلم في هذه المرحلة هو توفير الارتياح من خلال الظروف الملائمة للطفل، حتى لا ينصرف عن المادة الدراسية(١٣).

طريقة بستالوتزي في التربية

اعتمدت طريقة بستالوتزي أساسًا على التخلص من جميع العمليات التي تعتمد على الذاكرة والتقليد في سبيل تدريب الملاحظة الحية.

حين زار التربوي الكبير فردريك هربارت بستالوتزي في مدرسته في برجدورف عجب من طريقة تدريسه ونتائجها، فلم يكن هناك فكاهات أو أقاصيص كالتي يتلذذ بسماعها الصغار، بل كان بستالوتزي جادًا تمامًا في طريقة شرحه، ولكنه كان يعرف في الوقت نفسه، كيف يمكنه توصيل المعلومة عن طريق الشرح المنطقي الهين، مما جعل الأطفال يستمعون بانتباه لكل كلمة تصدر منه فتؤتي ثمارها؟

وهكذا فإن بستالوتزي الذي كان إخفاقه في الإدارة سببًا في إغلاق أكثر من مدرسة له، والذي قال عنه أغلب معاصريه: إنه لم يكن يستطيع الحساب والكتابة جيدًا، استطاع من خلال طريقته السهلة المبسطة التغلب على كل تلك العيوب والنهوض بالمستوى العقلي للأطفال(١٤).

> تقوم فلسفة التدريس عنده على مبدأ تحليل المعرفة، فهو يعتمد على تقسيم المادة المتكاملة إلى أجزاء مرتبط بعضها ببعض بصورة منطقية، بحيث يؤدي كل جزء إلى التالي له

وليس معنى هذا أنه أهمل الفن أو الترفيه، بل إنه جعل الغناء والرسم من المواد الأساسية. وانتشرت الأغاني التي نظمها مدرس في مدرسته في فردون، ويدعى نايجلي، وهي تختلف تمامًا عن الأغاني الدينية التي كانت تنتشر في عصره. ولكن هذا الاهتمام بالغناء على العكس من الرسم لم يكن الغرض منه الموسيقى أو الغناء في حد ذاته، بل التأثير في المشاعر والتربية الخلقية.

أما الرسم فقد اهتم به بستالوتزي لإيمانه بأن الشخص الذي اعتاد أن يرسم من الطبيعة سيجد فيها أشياء تخفى على الكثيرين؛ لأن تأمله ومحاولته إعادة تكوين المنظر الذي يراه أمامه على الورق مرة أخرى سيبينان له أشياء لا يراها عابر سبيل، وبكثرة ملاحظة الكل وأجزائه تتكون عند الطفل عادة حسنة، فيعتاد التدقيق والبحث العميق.

أما الحساب فقد تبوأ مكانة مهمة في مدرسته، وبالذات في مرحلة التعليم الأولى. فقد بدأ الأطفال على الفور بإجراء العمليات الحسابية حتى يستطيعوا معرفة خواص الأعداد ونسبها، وليس مجرد قراءتها وكتابتها. وقد ربط بستالوتزي بين العمليات الحسابية ولعب الأطفال ومظاهر نشاطهم الأخرى مما أدى إلى تقدمهم المستمر.

وانتهج طريقة أخرى في تدريس اللغات أيضًا، فقد حلت طريقة المقاطع الصوتية محل طريقة الهجاء والقراءة، وقد كانت طريقة استخدام ذوات الأشياء كأساس لدروس اللغة في جميع مظاهرها بدلاً من التدريب السقيم على النطق بالمقاطع والكلمات التي كانت فوق مستوى الطفل وخارجة عن دائرة اهتمامه.

كذلك لحق تدريس الجغرافيا بعض التغيير، ففناء المدرسة أو القرية كان بمنزلة العناصر الأساسية البسيطة لهذا العلم، وكانت الجغرافيا تتخذ أساسًا للدراسات الطبيعية والزراعية. ويمكن القول: إن حركة دراسة مظاهر الطبيعة التي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بدراسة الأشياء لم تكن سوى نمو لهذه الطرائق الحديثة.

ويمكن تلخيص الطريقة التي نادى بها بستالوتزي في التربية في

النقاط التالية:

ـ إن الملاحظة أو الإدراك الحسيّ (الإلهام) هو أساس عملية التعليم.

ـ يجب أن ترتبط دراسة اللغة بالملاحظة، أي بشيء من الأشياء، أو مادة من المواد.

ـ إن وقت التعلم يختلف عن وقت النقد والحكم، فلا مناقشة ولا نقد من التلاميذ في أثناء الدرس.

ـ في أي فرع من الفروع يجب أن يُبدأ بأسهل أصوله، ثم ينتقل منه إلى ما يليه بسهولة على شرط أن يكون الانتقال تدريجيًا ومتمشيًا مع نمو الطفل.

ـ يجب أن يعطى الوقت الكافي كلُّ نقطة من نقط الدرس حتى يفهمها الطفل فهمًا جيدًا.

ـ إن هدف التعليم هو التنمية لا مجرد الإلقاء أو سرد الحقائق.

ـ يجب أن يحترم المدرس فردية الطفل.

ـ إن الهدف الأساسي من التعليم الأولي ليس حشو عقل المتعلم بالمعلومات، وإنما الغرض منه تنمية قواه العقلية.

ـ يجب أن يرتبط التعلم بالمهارة، والمعرفة بالقوة.

ـ يجب أن تكون المحبة أساس العلاقة بين المعلم والمتعلم، ومحور النظام المدرسي.

ـ يجب أن يكون للتعليم منزلة ثانوية بالنسبة إلى الهدف الأساسي من التربية، وهو النمو.

ـ علاقة الأم بطفلها تعدّ أساس التربية الخلقية والدينية(١٥).

كما لخّص جوزيف باين أهم آراء بستالوتزي في التالي:

ـ إن مبادئ التربية وأسسها يجب أن يبحث عنها داخل الطفل، وأن تبدأ منه لا أن تفرض عليه من الخارج.

ـ وتشتمل طبيعة الطفل على قدرات جسمية وعقلية وخلقية، وهذه يجب أن تنمى؛ لأنها تناضل لذلك.

ـ للتربية ناحيتان: إيجابية، وأخرى سلبية. فالوظيفة السلبية للمربي تلخص في إزالة العقبات التي تعترض الطفل حتى يكون أمامه مجال النمو. أما الوظيفة الإيجابية فتظهر في إثارة المتعلم لتدريب قواه،

ربط بستالوتزي بين العمليات الحسابية ولعب الأطفال ومظاهر نشاطهم الأخرى مما أدى إلى تقدمهم المستمر

فهو يمده بالوسائل والفرص المناسبة، ثم هو يرشده إلى الصواب.

ـ يبدأ النمو الذاتي، حين يتأثر العقل بالأشياء الخارجية، وهو يقصد بها الإحساسات، وحين يعيها العقل تتحول إلى مدركات حسية، وتسجل في العقل على أنها إدراك الأفكار، وهذه تكون المعرفة الأولية التي تصبح أساسًا لكل معرفة.

ـ تعدّ التلقائية والنشاط الذاتي الظروفَ الضرورية التي في ظلها يعلم العقل نفسه، ويحصل على القوة والاستقلال.

ـ تعتمد القدرات العلمية على العادات التي تكونت من تكرار التدريب أكثر من اعتمادها على مجرد المعرفة البحت. فيجب أن ترتبط المعرفة بالعمل، ولعل غرض التربية الرئيس هو تنمية قوى المتعلم.

ـ يجب أن تؤسس كل تربية للطفل على تأمله الشخصي، وعلى خبرته الذاتية، وهذا هو الأساس الصحيح لكل معلوماته، فالحقيقة تسبق الرمز، والشيء يسبق الكلمة، وليس العكس.

ـ يستطيع الطفل بعد أن رأى وتأمل أن يصف ما حوله بكلامه، ومن خلال دقة ما يصفه نستطيع الحكم على ما فهمه.

ـ تتطلب الخبرة الشخصية أن يتقدم عقل المتعلم من الملموس المحسوس إلى البعيد المعنوي، ومن الخاص إلى العام، وهو عكس ما كان متبعًا قبل ذلك، ولكن ثبتت جدوى تلك الطريقة أكثر وخصوصًا مع الأطفال الصغار(١٦).

تأثير بستالوتزي في التربية عالميًا

أثر بستالوتزي في عصره تأثيرًا عميقًا عن طريق أفكاره وشخصيته. فلم يكن بستالوتزي ينتمي إلى عصر محدد فكريًا، ولكنه حفز وأثر في الاتجاهات التربوية الأساسية لعصر جوته الذي كان يتطلع إلى نشر التعليم لجميع أفراد الشعب، والتغلب على الفجوة بين الطبقات، والاعتراف بقيمة الإنسان وأهمية تعليمه، وتطوير المدارس الشعبية، وطرائق

التدريس، والدافعية الذاتية. وقد قام مفكرون بروسيون على وجه الخصوص مثل فيشته وهمبولدت ونيكولوفيوس بنشر آراء بستالوتزي الثورية في الأوساط التعليمية، وحتى قيام الهربرتية، كان بستالوتزي هو صاحب التأثير الأعظم في طرائق التدريس، وأهدافه، وأفكار معلميه، وحتى بعد عام ١٩٠٠م اكتسبت أفكاره اهتماماً جديداً بعد حركة الإصلاح في التربية. وفي العشرينيات وبالذات العام الذي أعلن فيه بستالوتزي ملكاً للتربية، وهو عام ١٩٢٧م عدّت أفكاره التربوية نموذجاً يجب أن يحتذى.

أما بعد عام ١٩٤٥م فقد أثرت أفكاره في العلوم الإنسانية (الأنثروبولوجية) والسياسية والاجتماعية على حد سواء(١٧).

وقد جذبت المدارس التي أنشأها في سويسرا أنظار قادة التربية في أوروبا وأمريكا ربع قرن. وأثر بستالوتزي أقوى ما يكون في ألمانيا، إذ أدت أفكاره إلى الكثير من الإصلاحات في إعداد المعلمين والمدارس الابتدائية.

جذبت المدارس التي أنشأها بستالوتزي في سويسرا أنظار قادة التربية في أوربا وأمريكا

وفي إنجلترا انتشرت مبادئ بستالوتزي عن طريق نشر كتاباته عن دراسة الأشياء، وكذلك أثر في إعداد المدرسين للتعليم الابتدائي، كما أثرت مبادئ بستالوتزي في التعليم الفرنسي كذلك.

وكان تأثيره في أمريكا متعدد الجوانب، إذ ذاعت مبادئه في أوخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وانتشرت المدارس التي تتبع مبادئه.

كما أثر بستالوتزي أشد التأثير في عالمين من علماء التربية تلمذا له، ثم تركا بعد ذلك أعظم الأثر في التربية، وهما: هربارت، وفروبل(١٨).

وليس هناك أدل على هذا التأثير في معاصريه أكثر من الكلمات التي نقشت على شاهدة قبره التي تعبر عن شخصية عاشت من أجل الآخرين، فظل أثرها في الآخرين حتى اليوم:

هينريش بستالوتزي
منقذ الفقراء في نيوهوف
مهذب الشعب في ليونارد وجيرترود
والد اليتامى في ستانز
مؤسس المدارس الشعبية في برجدورف وميونخ
مربي البشرية في إفردون
إنسان، مسيحي، مواطن
كل شيء من أجل الآخرين، ولا شيء لنفسه
فليبارك الربّ اسمه(١٩).

المراجع

1- Brockhaus Enzyklopadie, neuzehnte neu bearbeitete Auflage, Siebzehnter Band, Brockhaus, Mannheim, 1992.

٢- المرجع السابق.

٣، ٤- د. محمود عبدالرازق شفيق ومنير عطا الله سليمان، تاريخ التربية/دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية، دار النهضة العربية ١٩٦٨م، ص ٣٢٧ - ٣٢٨، ٣٣٠.

٥- سعد مرسي أحمد وكوثر حسين كوجك، تربية الطفل قبل المدرسة، عالم الكتب ١٩٨٣م، ص ١٨٧.

٦، ٧، ٨- تاريخ التربية، مرجع سابق، ص٣٣٥، ٣٣٢، ٣٣٣.

9- Lexikon der Padagogik, neue Ausgabe, Herder Verlag, Breisgau 1973, 3, Band.

١٠- المرجع السابق.

11- Flitner, Wilhelm, Pestalozzi, 2. neubearbeitete Auflage, verlage Helmut Kupper Vormals Georg Bondi, Dusseldorf 1954.

١٢، ١٣- سعد مرسي أحمد وكوثر حسين كوجك، تربية الطفل قبل المدرسة، عالم الكتب ١٩٨٣م، ص ١٩٣، ١٣٥.

14 -Josef Rattner, Grobe Padagogen, Ernst Reinhardt Verlag Munchen/Basel 1956.

١٥- تاريخ التربية، مرجع سابق، ص ٣٤٠.

١٦- تربية الطفل قبل المدرسة، مرجع سابق، ص١٩٧.

17- Lexikon der Padagogik,-1973,3 مرجع سابق

١٨- د. سيد إبراهيم الجيار، دراسات في تاريخ الفكر التربوي، وكالة المطبوعات، الطبعة الأولى 1974م.

19-Wilhelm Flitner, مرجع سابق

الزهاوي
ومحاولة التمرد على الشعر القديم!

جلال الخياط
لندن - إنجلترا

جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣-١٩٣٦م) من أجرأ نقاد الشعر من مطلع هذا القرن حتى منتهاه، وله آراء في النقد والشعر، يحجم عن قولها اليوم كثيرون ممن يؤمنون بها خوفاً من عواقبها.

ومن أجرأ ماقاله:

أنحى على الشعر ناس يبتغون له
نقداً فأعوزهم علمٌ وعرفانْ
كم ادّعى القومُ إحساناً بما نظموا
من القريض وما للقوم إحسانْ
وقدّروه بميزانٍ له وضعوا
من العروض وهل للشعر ميزانْ
وما القصيدُ قوافٍ قد تكرّرها
كلا ولا هي ألفاظ وعنوان

وهكذا يلغي الزهاوي، قبل أكثر من تسعين عاماً، الوزن والقافية من الشعر، وهذا ما لا يجرؤ أصحاب قصيدة النثر على التصريح به اليوم، فتذرعوا بالإيقاع الداخلي...إلخ، ولكن الزهاوي يعود فلا يرى بأساً في تنويع القوافي إن لم يلغها الشاعر(٢):

كل الفنون تجددت — والشعر يعوزه الجديد
ما قام حتى أثقلتـ — ـه من قوافيه القيود
ما ضرّ سامعها لو اخـ — تلفت قوافيها القصيد

قطع السلاسل والأغلال

ولم يكلّ في دعوته إلى إلغاء الأوزان أو التخفيف من وطأة قيودها، ولكنه لم يقدّم أية قصيدة غير موزونة(٣):

ما الشعر إلا بمعنى فيه يرفعه
وليس يكفيه أن اللفظ موزون

أو قوله(٤):

وما اليوم عجزُ الشعر عن خورٍ به
ولكنها الأشجان لا تقبل الوزنا

ولم يكتف بمقارعة الأوزان والقوافي شعراً، ولكنه دعا إلى ذلك في كل ما كتب: «وإني لا أصر على التزام القوافي بل أنا أول من نبذها ظهرياً، وقال بقطع هذه السلاسل والأغلال» إلا أنه لم يطبق ذلك في شعره(٥).


جميل صدقي الزهاوي

ويدفعه وعي التجديد، أو التأني في تطرف التغيير إلى أن يتم التخلص من القوافي على مراحل؛ لأن الأسماع أدمنت سماعها: «على أني أرى الذوق العربي يستقبح اليوم تعطيل أرجل غانية الشعر من خلاخيل القافية مرة واحدة وقد ألفها منذ أكثر من ألف وخمسمئة سنة»(٦). وبذا يأتي الزهاوي إلى قضية الألفة في الفن، وصعوبة التغيير بعد الاعتياد، وهذا ما واجهه الشعر الجديد منذ

منتصف القرن، وبينه وبين أعدائه قضايا في مقدمتها: أنهم اعتادوا نظام الشطرين والقافية الموحدة واستقلال البيت بمعناه، وليست لديهم وسيلة تجمع بين طرائق مختلفة في التعبير بتأثير ذلك الاعتياد المزمن والرنين الدائم الذي يطرق الآذان ولا يؤذيها بما لا عهد لها به.

قواعد فوق القواعد!

إلا أن الزهاوي أقل تطرفًا وأدنى صرامة فيما يتصل بالأوزان، وإن دعا إلى إلغائها أحيانًا: «ولا قيد اليوم في النظم، انظم على ما تشاء من القوافي، إلا أنك مضطر إلى المحافظة على الوزن، وإلا خرج ما تقوله عن كونه شعرًا منظومًا»(٧)، ولكنه لا يكتفي بأوزان الخليل وحدها: «ولا أجمد على الأوزان الستة عشر الدارجة عندنا»(٨)، وفي رأي آخر يقول: «وأجيز للشاعر أن ينظم على أي وزن شاء سواء كان من أوزان الخليل أو غيرها»(٩).

ولعل الدافع إلى هذا وذاك إيمانه بأن الشعر متجدد دائمًا: «ولا أرى للشعر قواعد بل هو فوق القواعد، حر لا يتقيد بالسلاسل والأغلال»(١٠)، وهكذا يسبق الزهاوي، بعقود، نازك الملائكة التي آمنت بمقولة برنارد شو: «اللاقاعدة هي القاعدة الذهبية»(١١)، وهو يلغي التقاليد المتبعة الموروثة: «وما أخلقَ الشاعر بأن يخرق التقاليد التي ورثها الأبناء من الآباء، فيقول ما يشعر به هو، لا ما يشعر به آباؤه»(١٢)، ومن يؤمن بهذه الآراء لابد من أن يناوئ التقليد السائد، أو يبعد عنه(١٣):

لم يكنْ الزهاوي في دعوته إلى إلغاء الأوزان أو التخفيف من وطأة قيودها، ولكنه لم يقدّم أية قصيدة غير موزونة

ما إن أقلّد من مضت ... قبلي عليه الأعصرُ

ويقول(١٤):

سئمتُ كل قديم ... عرفته في حياتي

إن كان عندك شيء ... من الجديد فهاتِ

ويصرّح(١٥):

أنا للشعر في العرا ... قِ أديبٌ مجدِّدُ

أنا في جنب دجلة ... عندليب يغرّدُ

مناوأة القديم ترافقها دعوة إلى التمرد والمناداة بالتجديد(١٦):

ولا خير في شعر مضى اليوم عهده

وفي شاعر إن قال قال مقلّدا

وما شاعر العصر الجديد سوى الذي

على دولة الشعر القديم تمرّدا

أسئلة من غير إجابات

وكيف يتم التجديد؟ لا يبين الزهاوي لنا ذلك، وما الذي يستطيع أن يفعله الشاعر إذا لم تواته الظروف الملائمة للتجديد، أو لم ترق موهبته إليه، أو أن العصر ليس ممهدًا للتغيير في الأساليب والأفكار والعقول؟ وحين يقول الزهاوي: «وإن فيَّ ابتكارًا»(١٧) يجعلنا نبحث عن مبتكراته، فهل يدعم شعره دعواه؟ أو إنها تبقى أمنية تطلع إليها الشاعر ولم يستطع أن يحققها؟ وهل ينطبق عليه قوله: «وليس كل أخي شعر بمبتكر»(١٨)؟

نازك الملائكة

ويرى الزهاوي أن بينه وبين الشعراء الآخرين انتحالاً(١٩):

الشعر قد قلته لمّا تطلّبني

ولو تنكّب عني الشعر لم أقلِ

له ابتكرت وغيري جاء منتحلاً

وليس مبتكر شيئًا كمنتحل

فأولئك الشعراء أعداء لكل جديد لا يريدون من الشعر غير ما يعرفون ويدركون؛ لذا نراه مثقلاً بالقيود والنسخ والتكرار(٢٠):

يذمون شعرًا لا يقلد غيره

أولئك أعداء لكل جديد

ولا يحمدون الشعر إلا مكبلاً

بسلسلة يأذى بها وقيود

وفي الحق ألاّ يقرب الشعر قائلٌ

إذا لم يكن في شعره بمُجيد

ومن أجرأ آرائه في اللغة دعوته إلى أن يبتكر الشاعر كلمات جديدة لم تعهدها اللغة من قبل، وهذا ما لم يأت به ناقد آخر أو لغوي أو شاعر إلاّ على استحياء، حتى شعراء المهاجر الذين حاولوا أن يجددوا قليلاً في اللغة لم تكن لهم جرأة الزهاوي، ولكنه يدعو، في الوقت ذاته، إلى عدم خرق قواعد اللغة والمحافظة على الإعراب: «ولا يسوغ للشاعر العربي مخالفة قواعد اللغة، فإن الإعراب دليل المعاني، وللشاعر الفحل أن يولّد في اللغة إذا مست الحاجة كلمات لم يأت بها من جاء قبله، فتغنى بذلك اللغة. واللغة التي لا يتولد فيها كل سنة عدد من الكلمات ولا يموت كذلك عدد هي ميتة»(٢١).

من أجرأ آرائه في اللغة دعوته إلى أن يبتكر الشاعر كلمات جديدة لم تعهدها اللغة من قبل

ولابد لمن له آراء في التجديد واضحة وسابقة لعصرها أن يكون له موقف من النقد نفسه، ولكننا نراه يتنكّب عن كل ما جاء به من آراء حين يلغي نقد الشعر القديم(٢٢):

النقد للأدب القديم	كالنار تعلق بالهشيم
أما الجديد فما له	خوف من النقد السليم
النقد صقل للنُّهى	والنقد شحذ للفهوم
والنقد يهدي نوره	من سار في الليل البهيم
الحمد للنقد الكريم	وليس للنقد اللئيم
ما أحسن النقدَ الذي	يخلو من الحقد الذميم

وإلغاء نقد الشعر القديم لا يوازيه سوى مطالبته الساذجة بأن يرضي النقد الجميع(٢٣):

وأحسن النقد ما يرضى الجميع به
وأسوأ النقد ما يفضي إلى الجدل

ونستطيع أن ندرك أسباب كل هذه الآراء ودوافعها إذا كشفنا عن مفهوم الشعر لدى الزهاوي وغاياته، فمن أولى صفاته(٢٤):

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس خليقًا أن يقال له شعرُ

ويؤكد تلك الصفة(٢٥):

والشعر ما اهتز منه روح سامعه
كمن تكهرب من سلك على غفلِ

وينطق عن تجربة شخصية(٢٦):

وإن البيان العذب للُّبِّ خالبٌ
ولكن بعض الشعر ضرب من السحرِ
وإني لتعروني من الشعر هزة
كـأن بجسمي كـهربائية تسـري

ويقرن بالهزّة صفة التأثير(٢٧):

الشـعر بحرٌ خِضَمٌ لا قرارَ له
ما كل من غاص فيه جاء بالدررِ
لا يكبر الشعر ما لم تَبقَ روعتُهُ
في نفس سامعه شيئًا من الأثرِ

تعريف جديد للشعر

ولم يأخذ الزهاوي بالتعريف الشائع القديم للشعر، وحاول أن يأتي بتعريف جديد ينبع من فهمه لهذا الفن، فقال: «إنه الكلام الكبير الموسيقي... إن هذا التحديد يخصص للشعر مقومين اثنين هما: المحتوى وهو المراد به (الكلام الكبير)، والوزن وينحّي القافية تنحية تامة»(٢٨).

برنارد شو

وليس للزهاوي مفهوم واحد أو تعريف واحد للشعر، ويتعدى في ذلك إلى أكثر من موقف ومفهوم: «إن الشعر هو الكلام الفصيح المعبر عن شعور قائله، وإذا أردنا أن نعرفه تعريفًا شعريًا فلا أقرب من أن نقول: هو لغة الأرواح للشعور والنغمة اللذين تتضمنهما ألفاظه، وهو ما يتعلق بالأرواح وحدها»(٢٩).

والجرأة التي اتسمت بها بعض آراء الزهاوي وخرقها للمألوف وسباقها للزمن، توطئةً للشعر المبدع، تجعلنا نعجب لموقفه من الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية في القصيدة، فحين كنا نتوقع أن يدعو إليهما بحماسة واضحة، نراه يرجح القصيدة ذات الموضوعات المختلفة لأسباب: منها المتعة التي تجلبها المضامين المتعددة: «وأي لوم على من أطال قصيدته وجعلها في مطالب مختلفة

تربط بعضها ببعض مناسبات بينها وإن كانت ضعيفة، فيتمتع القارئ أو السامع بألوان مختلفة من الأدب في القصيدة الواحدة، على أن يكون بين مطلب ومطلب فاصل»(٣٠).

لذا نراه يشبه القصيدة بحديقة غناء فيها أشجار وأثمار وأزهار متنوعة، وكأنها لوحة زيتية شاملة ذات مناظر متعددة، إلا أنه يشترط وجود رابط ما بين ذلك التنوع وأغراضه في القصيدة(٣١). ولعل تفسير ذلك كامن في شغفه بالبيت الواحد المستقل بمعناه الذي تردده الأفواه حكمة شائعة أو مثلاً سائراً(٣٢):

والشعر ما عاش دهراً بعد قائله

وسار يجري على الأفواه كالمثلِ

«ولا يبرز الشاعر في شعره إلا بأبيات توجد متفرقة في قصائده تصلح أن يتمثل بها الكاتب في كتابته، والخطيب في خطبته، كأن تكون ناطقة بحكمة بالغة، أو حجة دامغة، أو مصورة لمنظر من المناظر، أو ممثلة لإحساس من الإحساسات»(٣٣).

كان الزهاوي جريئاً جداً، ولكنه لم يفلح، أو لم يحاول أن يطبق آراءه النقدية على شعره، فلم يبتدع وزناً جديداً، ولم يخرج على أوزان الخليل

لذا يقول الزهاوي(٣٤):

لا تطل شعرك وابذل كل جهد أن تجيده

رب بيت هو إن أحـ سنت خيرٌ من قصيده

ويقول(٣٥):

قد يفضُلُ البيتُ ديواناً برمته

وقد تقصُر عن بيتٍ دواوينُ

وهكذا تقترن صفة الناقد بالزهاوي، وتلتصق به أكثر من أي شاعر آخر برز عندنا في هذا القرن. كان جريئاً جداً، ولكنه لم يفلح، أو لم يحاول أن يطبق آراءه النقدية على شعره، فلم يبتدع وزناً جديداً، ولم يخرج على أوزان الخليل، ولم يلغِ القافية من شعره إلا في قصيدتين سماهما الشعر المرسل(٣٦) ولكنه بذل جهداً كبيراً في ميادين شتى من المعرفة، وصار ظاهرة ودليلاً، لا يستغني عن دراسته المؤرخ والباحث والأديب.

المراجع

١ـ جميل صدقي الزهاوي: ديوان الزهاوي، القاهرة ١٩٢٤، ص٢٥٧.

٢ـ المصدر السابق: ص٦٦.

٣ـ المصدر السابق: ص٢٥٩.

٤ـ المصدر السابق: ص٢٦٠.

٥ـ رفائيل بطي: سحر الشعر، القاهرة ١٩٢٢م، ص٥٦.

٦ـ المصدر السابق: ص٥٧.

٧ـ المصدر السابق: ص٢٤.

٨ـ المصدر السابق: ص٥٧.

٩ـ الزهاوي: ص ب.

١٠ـ المصدر السابق: ص أ.

١١ـ نازك الملائكة: شظايا ورماد، بيروت ١٩٥٩م، ص٧.

١٢ـ الزهاوي: ص أ.

١٣ـ المصدر السابق: ص ٢٦١.

١٤ـ المصدر السابق: ص ٤٠٢.

١٥ـ المصدر السابق: ص٤٠٤.

١٦ـ المصدر السابق: ص٢٦٠.

١٧ـ المصدر السابق: ص٢٤١

١٨ـ المصدر السابق: ص ٢٥٦

١٩ـ المصدر السابق: ص٢٤٢.

٢٠ـ المصدر السابق: ص٢٥٣.

٢١ـ المصدر السابق: ص ج.

٢٢ـ المصدر السابق: ص ٢١٦.

٢٣ـ المصدر السابق: ص٢٤٢.

٢٤ـ المصدر السابق: ص أ.

٢٥ـ المصدر السابق: ص ٢٤٢.

٢٦ـ المصدر السابق: ص ٣٤٣

٢٧ـ المصدر السابق: ص ٢٥٦.

٢٨ـ د. عباس توفيق: نقد الشعر العربي الحديث في العراق ١٩٢٠ ـ ١٩٥٨م، دار الرسالة للطباعة، بغداد ١٩٧٨م، ص٢٤.

٢٩ـ المصدر السابق: ص١٤٦.

٣٠ـ رفائيل بطي: ص٦٨.

٣١ـ ينظر: عباس توفيق، ص ٢٧٣، وتنظر: مصادره.

٣٢ـ الزهاوي: ص٢٤٢.

٣٣ـ رفائيل بطي: ص٦٥,٣٤ـ الزهاوي: ص٣٩٦.

٣٥ـ المصدر السابق: ص٢٥٩.

٣٦ـ ينظر للكاتب: الشعر العراقي الحديث ـ مرحلة وتطور، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٧م، ص١٦.



بدايات المواصلات البحرية والجـ

تصويبات لذاكرة الصور

لما كانت مجلتكم الغراء من أهم مصادر الثقافة والعلوم في بلادنا الغالية، ولما تتمتع به من سمعة طيبة، ومرتبة مرموقة وتعد موضوعاتها مرجعاً للقراء؛ فإنني - ودعماً لجهودكم للمحافظة على هذا المستوى - ألفت نظركم إلى عدد من الأخطاء التي جاءت في العدد ٢٦٨:

١- الموضوع: بداية المواصلات البحرية.. ص٢٣ تعليق الصورة: الملك عبدالعزيز على متن أول ناقلة نفط سعودية.

الخطأ: هذه ليست أول ناقلة نفط سعودية.



التصويب: الناقلة هي د.ج. سكوفيلد، وهي ناقلة تابعة لشركة النفط ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا وقد ظهر الملك عبدالعزيز لتدشينها بأول شحنة من النفط تصدّر من المملكة إلى الأسواق العالمية؛ وذلك في عام ١٩٣٩م.

٢- الموضوع: من ذاكرة الصور ص١٣٩ تعليق الصورة: الملك عبدالعزيز يرافقه الأمير فيصل (الملك بعد ذلك) والأمير محمد بن عبدالعزيز بمناسبة تصدير أول شحنة بترول من ميناء رأس تنورة.



الخطأ: المناسبة ليست تصدير أول شحنة بترول من ميناء رأس تنورة.

التصويب: تصدير أول شحنة نفط من ميناء رأس تنورة تم في مايو ١٩٣٩م والصورة خلال تفقد الملك عبدالعزيز لمرافق النفط في رأس تنورة عام ١٩٤٧م.

٣- الموضوع: من ذاكرة الصور ص ١٤١ تعليق الصورة: الملك عبدالعزيز ووفد أرامكو.

الخطأ: هذا الوفد ليس من أرامكو بل منافس لأرامكو.

التصويب: الصورة للملك عبدالعزيز مع ممثلي شركة باسيفيك ويستيرن خلال مفاوضات الحصول على امتياز النفط في المنطقة المحايدة



اليابسة وذلك في الرياض في ٢٠ شباط/ فبراير ١٩٤٩م.

أرجو أن أكون قد أسهمت معكم في تحقيق ما تصبو إليه المجلة، وآمل نشر هذه التصويبات مع الإشارة إلى مصدر هذه التصويبات من مرجعين وثائقيين أصدرتهما حديثاً هما: «مسيرة اكتشاف وصناعة النفط في المملكة العربية السعودية». و«السجل الوثائقي المصور لصناعة النفط في المملكة العربية السعودية».

كما آمل تزويدي بنسخة من العدد الذي يصدر فيه التصويب على عنواني البريدي.

وختاماً تقبلوا - سعادتكم - أطيب التمنيات بالتوفيق والسداد والرشاد.

د. عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون
مستشار جيولوجيا نفط
عضو مجلس إدارة، ورئيس اللجنة العلمية في الجمعية السعودية لعلوم الأرض.
ص.ب ٦٣٢٨٠ الرياض ١١٥١٦

تعقيباً على لمحات من تاريخ النوبة

تابعت باهتمام مقال الأستاذ فرج الله أحمد يوسف - زميل الدراسة الثانوية الذي لم أره منذ عام ١٩٧٧م! - لمحات من تاريخ النوبة المنشور في العدد (٢٨١) الذي كان فيه نقاط مضيئة، واستكمالاً للفائدة، أوضح النقاط الآتية:

في ص٦٦، قال الأخ فرج الله: وفي عهد الأسرة الثانية (٢٠٠٠ق.م) دارت حروب طويلة بين المصريين والنوبيين، انتهت بانتصار المصريين الذين قاموا بتشييد عدة حصون..

الأدق في هذه المعلومة أن سنوسرت الأول بعد انتصاره على الجنوب، عين «سارنبوت» أمير «اليفنتين» حاكماً على أملاكه الجديدة، ويمكننا أن نرى فيه أول والٍ يحكم النوبة من قبل الفرعون (الأسرة ١٢). ولكن تهدئة أهالي النوبة، وترويضهم، لم يكتملا حقيقة إلا في عصر سنوسرت الثالث ١٨٧٨ - ١٨٤٢ق.م(١) وكان هذا الملك شديداً، أتم فتح بلاد النوبة(٢).

وأما قول الكاتب : «ومنذ عصر الأسرة الثامنة عشرة (القرن السادس قبل الميلاد) انضمت النوبة السفلى، والنوبة العليا حتى الشلال الرابع إلى مصر، وتأثرتا بالثقافة المصرية». فإنه قول غير دقيق، لأن أحمس الأول بعد أن حرر مصر من الهكسوس، التفت إلى بلاد النوبة السفلى وأعادها إلى مصر، ويعود الفضل إلى تحتمس الأول في القضاء على الكوشية، ودخول كرمة، بل الوصول حتى الجندل الرابع. وفي عهد حفيده تحتمس الثالث غدت النوبة بأسرها، من الجندل الأول حتى كاروري عند الجندل الرابع جزءاً لا يتجزأ من الدولة المصرية(٣).

فدخول النوبة في حوزة مصر، لم يكن في عهد أحمس فقط، وإنما كان على مراحل زمنية كما أسلفنا. ولكن كلما لاحت لها فرصة الاستقلال عن مصر، كانت لا تتوانى في اقتناصها، مثلما ثارت بعد وفاة تحتمس الأول عام ١٥٠٥ق.م (كانت الثورة جنوب الجندل الثاني)(٤).

علاقة ودية

ومع بدايات القرن الثامن ق.م تأسست مملكة نباتا «نبتة» جنوب الشلال الرابع تحت زعامة «ألارا» من عام ٧٨٠ق.م - ٧٦٠ق.م، واستمرت هذه الأسرة النوبية الحاكمة حتى عام ٥٩٣ق.م(٥) وهو ما يعرف بالعصر الكوشي.

وتلت هذه الأسرة مملكة مروي من عام ٥٩٣ - ٣٥٠ق.م، وفيها ردت النوبة الفرس بقيادة قمبيز على أعقابهم عام ٥٢٥ق.م. وغير دقيق ما وصفه الأستاذ فرج الله من تغلغل البطالمة في بلاد النوبة، والصواب أن بطليموس الثاني، قام بحملة على النوبة (سماها ديودور الصقلي أثيوبيا) ولكن يبدو أن الحملة لم تأت بنتائج مثمرة، ولذلك لم نسمع

عن محاولات أخرى لضم النوبة إلى الحكم البطلمي بالقوة، وبدلاً من ذلك نشأت في النوبة السفلى منطقة شبه محايدة عرفت باسم أرض الاثني عشر فرسخاً (الدوديكاشينوس) من أسوان حتى المحرقة.

كانت العلاقة بين البطالمة والنوبيين، بما في ذلك مملكة مروي، ودية جداً(٦).

الملكة النوبية التي أوقعت الهزيمة بالرومان هي كانداكي [معناها الملكة في اللغة المروية] أماني ريناس(٧).

عمرو وليس عقبة

أجمعت معظم المصادر العربية، على أن عقبة بن نافع لم يقد حملات على النوبة، وإنما كان عمرو بن العاص قائداً في الحملة الأولى، فلم يتمكن عمرو من إحراز نصر حاسم حتى عُزل عن مصر سنة خمس وعشرين للهجرة، بأمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣- ٣٥هـ)(٨).

الهجرات العربية إلى بلاد النوبة حدثت منذ زمن الأمويين والعباسيين(٩).

لقب «الكنوز» أطلق على أتباعه في المنطقة الواقعة جنوب أسوان، تسمية عارضة كما يقول الدكتور جمال حمدان، ولكن سكان المنطقة النوبيين كانوا موجودين قبل كنز الدولة أبي المكارم هبة الله الربيعي. أما قول الأستاذ فرج: وشهد عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله تعاون النوبيين مع الوزير بدر الجمالي (٤٦٦ - ٤٨٧هـ/ ١٠٧٣-١٠٩٤م) ضد القبائل العربية في الصعيد، فهذا غير صحيح؛ والعكس هو الذي حدث، فقد أرسل الخليفة المستنصر أمير الجيوش بدر الجمالي للقضاء على الثورات والحركات الاستقلالية، ولما اتجه إلى الصعيد للقضاء على ثورات عرب جهينة، والثعالبة، والجعافرة، أفنى أكثرهم؛ ثم اتجه لملاقاة قوات كنز الدولة التي كانت تحارب الفاطمية آنذاك، وقامت معركة حامية بين بدر الجمالي، وكنز الدولة سنة ٤٦٩هـ انتهت بهزيمة كنز الدولة، وعودته إلى أسوان (١٠). يؤكد صحة هذه الحقيقة النقش الأثري الموجود في جامع النصر بإسنا. ولعل الأستاذ فرج يقصد بتعاون النوبيين ملك النوبة المسيحي «سالمون».

العرب في بلاد النوبة

القبائل العربية التي نزلت منطقة الكنوز والنوبة هي: جهينة (ومعها عشائر من غطفان وفزارة) التي انضمت إلى ربيعة لفتح بلاد البجة سنة ٦٤٩هـ، وفي سنة ٧٣٣هـ استقرت جهينة في بلاد النوبة وصاهروهم، وقد جرت الدماء الملكية إلى جهينة وربيعة(١١). ونجح أفراد من جهينة في اعتلاء عرش النوبة. أما قبيلة بهراء القحطانية ٨١٤هـ، وهلال وسُليم فقد نزلوا في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله سنة ٣٦٥- ٣٨٦هـ بمصر، فأنزلهم الصعيد. وإن جعافرة الصعيد بطن من هلال(١٢)، أما قبيلة ربيعة بن نزار، فقد كانت هجرتها أولى أكبر الهجرات العربية إلى أسوان سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م في خلافة المتوكل العباسي حتى شمال النوبة(١٣). وأما القبائل القرشية، فقد سكنت سلالة جعفر الطيار مع ربيعة وبني كنز ما بين قوص وأسوان.

وهناك الكثير من العشائر والأفخاذ العربية التي نزلت جنوب أسوان.

أما عرب عقيل بن أبي طالب، الذين أقاموا على امتداد المنطقة الممتدة من المضيق شمالاً حتى كرسكو جنوباً فليسوا كلهم من ذرية عقيل، وتسميتهم كانت عارضة، امتزجت على مر العصور بقبائل أخرى. ومن الصعب الآن أن نقول عنهم إنهم: «عقيليون أقحاح»! منذ نزولهم سيناء في القرن العاشر الهجري. أما لفظ «مالتوكي» فمعناها القادم من الشرق، وأما «الفدجّة»، فتسمية أطلقت عند قيام الثورة المهدية عام ١٨٨٢م على الفارين من بلاد السكوت والمحس إلى النوبة السفلى، ومن ثم أصبح يطلق اللقب نفسه على سكان البلاد الأصليين!

كتابة اللغة النوبية

هناك محاولة جرت منذ ثلاثة أعوام، لكتابة اللغة النوبية بحروفها اللاتينية كما كانت في العصر المسيحي؛ وذلك من خلال المخطوطات التي وجدت في جامعة بون، قام بها الدكتور المرحوم مختار خليل كبارة من عام ١٩٥٢ـ ١٨ أبريل ١٩٩٧م وضمنها كتابه «اللغة النوبية كيف نكتبها؟» وهي محاولة جادة للباحثين والدارسين، لقراءة المخطوطات منذ العهد المسيحي.

انتشر الإسلام في بلاد النوبة وأسوان منذ ظهوره، فقد عثر في أسوان على شاهدة قبر يرجع تاريخها إلى سنة ٣١هـ، وهناك شواهد قبور تحمل اسم الأنصاري مما يدل على نزول بعض الأنصار أسوان منذ القرن الهجري الأول(١٤). تقول الدكتورة سعاد ماهر: إن أسوان سكنتها قبائل من قحطان ونزار وربيعة ومضر والأنصار وبني هلال وكثير من القرشيين(١٥). كما تدل شواهد القبور علي ذلك.

يوجد في بلاد النوبة ستة عشر معبداً، وخمسة هياكل، نحت أكثرها في الصخر كما يقول الدكتور عبدالمنعم أبو بكر، وآخرون في كتابهم «بلاد النوبة» منها قلعة قرشة «سباجورا» البيزنطية. وهناك معبد المحرقة أيضاً (١١٥كم جنوب أسوان) يرجع إلى العصر الروماني، وهناك في عنيبة مقبرة بنوت حاكم كوش، وتجاه المقبرة معبد صغير نحته تحتمس الثالث. وهناك عدة مقاصير لحكام كوش في عنيبة، وغيرها الكثير من الآثار القديمة التي هي دون المعابد والهياكل والقلاع.

ومن الآثار الإسلامية في بلاد النوبة، التي كانت موجودة قبل بناء خزان أسوان، والتعلية الثانية له عام ١٩٣٤م مشهد الباب، ومئذنة بلال في الجانب الشرقي لنهر النيل، جنوب الشلال الأول، وهما من عمل بدر الجمالي.

هذا غيض من فيض من تاريخ بلاد النوبة وحضارتها وآثارها.

عبدالرحمن عوض
سكرتير جمعية التراث النوبي بالقاهرة

المراجع

١ ـ مصر وبلاد النوبة ـ وولتر إمري ـ ترجمة تحفة حندوسة ـ مراجعة الدكتور عبدالمنعم أبوبكر ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ ١٩٧٠م ـ ص١٦٠، ص١٦١.

٢ ـ تاريخ مصر القديم ـ محمد عبدالرحيم مصطفى وعبدالعزيز مبارك ١٩٥٣م ـ ص١٠١.

٣ ـ متحف النوبة ـ الدكتور جاب الله علي جاب الله ـ ١٩٩٨م ـ ص٢٦.

٤ ـ مصر وبلاد النوبة ـ وولتر إمري ـ ص١٩١.

٥ ـ متحف النوبة ـ الدكتور جاب الله علي جاب الله ـ ص٢٧.

٦ ـ المرجع السابق ـ ص٣٠.

٧ ـ المرجع السابق ـ ص٣١.

٨ ـ مجلة الدارة ـ ع٢ ـ س٢١ ـ المحرم، صفر، ربيع الأول ١٤١٦هـ ـ قراءة جديدة في نصوص معاهدة البقط ـ ربيع محمد القمر الحاج ـ ص١٦٣.

٩ ـ تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ـ الدكتور عطية القوصي ـ ط٢ ـ ١٩٨١م ـ دار المعارف ـ ص٤٦.

١٠ ـ المرجع السابق ـ ص٥٨.

١١ ـ قبائل العرب في مصر ـ العقيلات ـ جـ١ ـ أحمد لطفي السيد ـ ١٩٧٦م ـ ص٤٩.

١٢ ـ المرجع السابق ـ ص٥٧.

١٣ ـ المرجع السابق ـ ص٥٩.

١٤ ـ مدينة أسوان وآثارها في العصر الإسلامي ـ الدكتورة سعاد ماهر ـ ١٩٧٧م ـ ص٩.

١٥ ـ المرجع السابق ـ ص٩.

رحلة في كتاب

الفروسية

مراجعة: سلطان سعد القحطاني
الرياض - السعودية

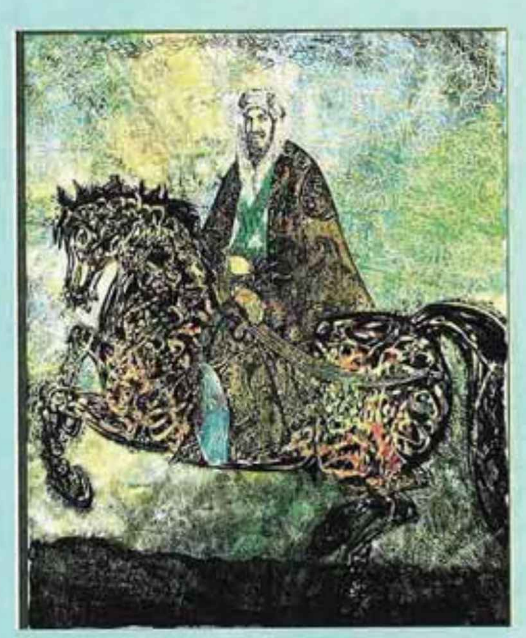
صدر عن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، كتاب عن الفروسية في جزأين باللغة الإنجليزية، شارك في إعداده مجموعة من كبار الباحثين في شؤون الفروسية من مختلف الجنسيات. وقد تضمن هذا الكتاب القيم أكثر من ثلاثين بحثًا، تفاوتت بين القديم والجديد في عالم الفروسية، وأهميتها للإنسان، واعتماده عليها في مختلف الشؤون العامة والخاصة، حتى تحولت فيما بعد إلى نوع من الرفاهية، وإكمال المظاهر. ونجد أن التفصيل في هذا الكتاب، وعرضه كاملاً، فيه شيء من الصعوبة البالغة، لفخامته، وامتلائه بالكثير من المعلومات العلمية؛ لذلك سأقوم بعرضه بشكل مجمل لإعطاء القارئ الكريم فكرة عامة عن محتوياته.



الفروسية
تأليف: مجموعة باحثين
الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٩٩٦م

أصل الخيل ونشأتها

كتب هذا المقال كل من: ماري أيكن ليترMary Aiken Littaur، وجوست كرويل Joast H. Crouwel وقد ذكرا أن أصل الخيل من السهول الأوربية الآسيوية، وربما تكون روضت هناك في الألفية الخامسة قبل الميلاد. وتساءل المؤلفان عن السبب الذي جعل الإنسان يهتم بالخيل بشكل يفوق اهتمامه ببقية الحيوانات الأليفة؟ ويرى الكاتبان أن الخيول المهجنة (البغال) تستخدم في دفع الأثقال وجرها وحملها، ولها القدرة على صعود الجبال أكثر من بقية الحيوانات، كما أن الخيل الأصيلة قوية وسريعة، والدليل على سرعة الحصان وضع اللجام في فمه للحد من قوته. ويواصل الكاتبان الحديث عن العربات، وأنواعها، فهي عربة سريعة ذات عجلتين أو أربع عجلات تجرها الخيول، وبعضها قد صنع من الذهب مثل عربة توت عنخ آمون (انظر الجزء الثاني) على أن المرحلة الثانية من صناعة العربات بالشكل الحقيقي ظهرت في إيران ما بين ٢٢٠٠ و ٢٠٠٠ قبل الميلاد. وفيما بين عامي ٢١٠٠ و١٨٠٠ قبل الميلاد وجد القضيب ومكبح العجلات معًا. وتناول الكاتبان تطور العربات الثنائية العجلات والرباعية حتى القرن العشرين، وظهور البديل من السيارات والقطارات ووسائل النقل الأخرى. وقد استندت الدراسة على الآثار الموجودة في بلاد الشام واليونان وآسيا الصغرى، خاصة ما يتعلق بما قبل التاريخ مرورًا بالقرون الوسطى، حسبما وجد في معهد الشرق



الفرس والفارس من أعمال الفنان أحمد مصطفى

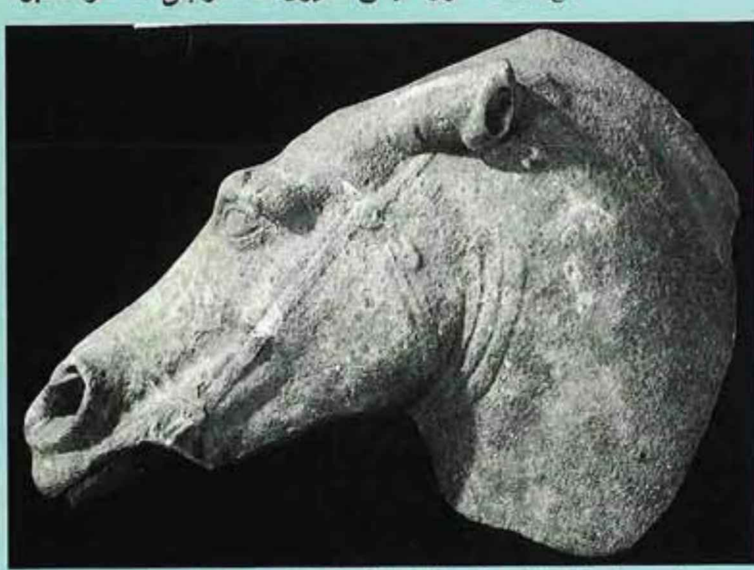
الأوسط التابع لجامعة شيكاغو.

وكتب جاكيم مرزان Joachim Marzahn عن الخيل عند الآشوريين (٢٣٠٠ - ٢٢٠٠ق.م) وضرورة وجود الخيل في تلك الإمبراطورية، خاصة خلال حكم أسرة آشور بانيبال في القرن الحادي والعشرين ق. م. وذكر أن الخيل جلبت إلى مملكة حوريًا - ميتانيان - Hurria Mittannian ووصف الحصان بأنه طويل وسريع يجر عربة لها عجلتان تستخدم في القتال، ويصف كيفية العناية بالخيل، حيث كان لها خبراء في التغذية والرياضة.

أما توماس ريتشاردسون Thomas Richardson فتناول ظهور الخيل عند الهيلينيين اليونان والساسانيين، وذكر أنها تطورت خلال حكم كل من فيليب Philip (٣٥٩ - ٣٣٦ ق.م) والإسكندر الأكبر (٣٣٦ - ٣٢٣ ق.م). ويعد حديث ريتشاردسون امتدادًا لحديث جون كورتيز John Curtis الذي كتب مقالة عن الخيل عند السريان، حيث استخدمت وسيلة فعالة في الحروب والصيد، وجميع العمليات العسكرية ويذكر ريتشاردسون أن للفرسان رتبًا، ولكل رتبة أهميتها في المجال العسكري والمدني في الدولة المقدونية وخاصة في عهد الإسكندر. وذكر صفات الفرسان الساسانيين والهيلينيين والفرس وأنواع السلاح والتدريب الذي كانوا يتلقونه، على الرماح، والرمي بأنواع الطلقات النارية وعلاقة ذلك بالفروسية في مجال الحروب ومجال الرياضة، ويختم مقالته بالقول: إن هذه الأدوات ظلت مسيطرة حتى نهاية القرن السادس عشر، حيث كانت هي المحرك الأساسي للحروب، حتى دخول الآلة الحديثة من أوربا.

مهمات الخيول

وبعد أن عرفنا نشأة الخيول، وكيف وصلت إلى مختلف بلاد العالم، حيث جاءت من السهول الأوربية الآسيوية، يعدد الباحثون مهمات الخيل عند الشعوب، وقد ذكرنا بعضًا منها في مقالات بعض الكتاب، وعرفنا أنها الوسيلة الفعالة في الحروب للأسباب التي تقدمت كالقوة والسرعة وغيرهما، وهناك مقال لسيريل مانجو Cyril Mango تناول سباق الخيول، فأشار إلى أنه عرف قبل حروب طروادة، في آخر الألفية الثانية قبل الميلاد، وأن الفترة الحقيقية لظهورها كانت عند اليونان والأتروبيين Etruscans وأفاض المقال في الحديث عن سباق الخيل



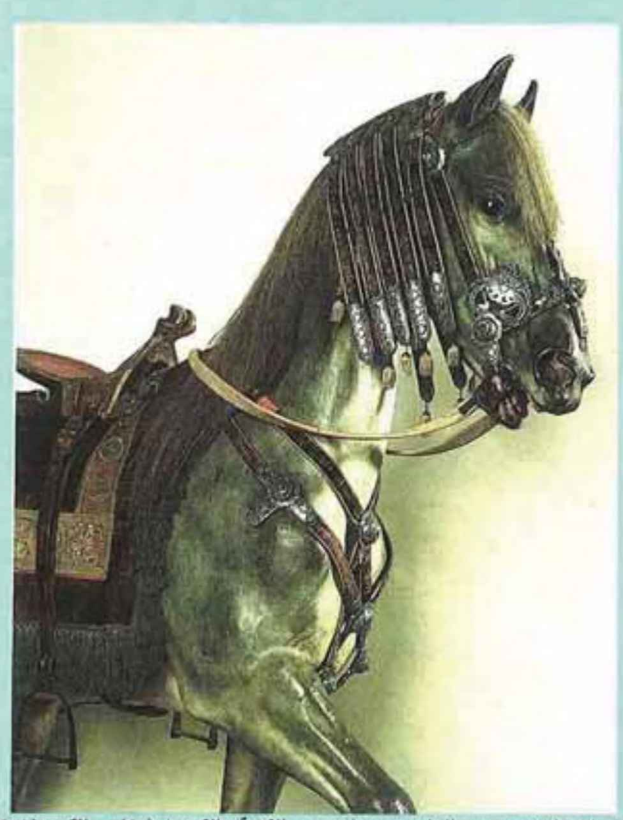
رأس حصان (شمال شرق آسيا: القرن الثاني قبل الميلاد) من مقتنيات متحف برلين

وتنظيم مضمار السباق وعدد الأشهر والأيام التي يكون فيها، والشعارات التي تميز الخيول بعضها من بعض مثل: الألوان، وشروط العربات وأوزانها، وكيف انتشرت هذه الرياضة في أنحاء العالم، بينما كانت رياضة للأغنياء فقط.

ونجد الباحثين في شؤون نشأة الخيل يكادون يجمعون على أنها ظهرت في وسط آسيا منذ نحو ٦٠٠٠ سنة مضت، وهي أول الحيوانات التي دجنت للركوب، وتعد خيول السهول الآسيوية الأوربية المتوحشة القاعدة الثانية للسباقات، تلك الخيول الصغيرة التي يبلغ طولها ١٢٠ - ١٤٠سم حدًا أدنى، وتعرف Rough Coated. وقد تحدث في هذا المجال هلموت نيكل Helmut Nickel عن الخيول المتوحشة في الأدغال، فذكر أن فريقًا من الخبراء في حديقة برلين بقيادة البروفيسور لوتزهيك قام بدراستها في الثلاثينيات من هذا القرن، لإعادتها إلى حياتها في الغابات. وذكر الباحث أن أساس الخيول الأليفة يعود إلى بدو جبال وسط السهول الآسيوية، حيث كان من الملاحظ انتشار هذه الخيول وسط القبائل.

وعن ظهور الخيل في جزيرة العرب، تناول عبدالرحمن الأنصاري تجربته في حفريات قرية الفاو وجنوب شبه الجزيرة العربية، فيقول: قمت أنا والفريق المكلف من جامعة الملك سعود قبل عشرين عامًا بالكشف عن الآثار الموجودة في قرية الفاو (١٩٧٢ - ١٩٩٤م)، لرؤية الفنون الموجودة في المدينة من القرن الثاني قبل الميلاد، وما بعده. وتحدث الأنصاري عن آثار أخرى بالقرب من الرياض مثل (خشم قريا) بجوار جبل طويق، حيث توجد رسوم لبعض الجمال والغزلان والخيول والكلاب، وذكر رسومًا ومناظر لبعض المعارك في جبل (فريج) على مسافة ثلاثين كيلو مترًا غرب قرية الفاو، حيث توجد مناظر للخيل الطويلة. وختم الأنصاري مقالته، بذكر أهمية الخيل في الفاو، واعتماد الإنسان عليها في السفر والصيد والزينة.

وعن المنطقة نفسها من جنوب الجزيرة العربية، تحدث باحث آخر هو كرستيان روبين Christian Robin عن قوة الحصان، حتى إن محركات السيارات نسبت إليه في القوة في بداية ظهورها. وأشار إلى أن الخيل فقدت موقعها المرموق في ستينيات القرن العشرين، وأورد نتائج بحث للباحث البلجيكي جاك ريكمانس Jaques Ryekmans الذي يقول: إن الخيل دخلت اليمن متأخرة نسبيًا. ويؤكد أنها دخلت في النصف


حصان عليه سرج من الجلد مزين بالحرير والفضة والفيروز (بخارى القرن ١٩ - ١٣)

الثاني من القرن الثاني للميلاد. ويلاحظ روبين على ريكمانس إسناد تواريخه إلى التاريخ المسيحي Christian Eraوأن بحوثه يجب أن تعدل فيما يخص تأريخ مملكتي سبأ وحمير (٦٢ - ٦٣) وذكر قدسية الخيل في المعابد اليمنية وأهمية الخيل في الحروب، حتى إن إحدى المعارك كانت تضم ستين حصانًا بجانب الجمال.

وأوضح ماكدونالد M.C.A. Macdonald أهمية الخيل من خلال الدراسات الآثارية وحاول تصوير الخيل بصورة تختلف عن بقية الحيوانات التي وجدت صورها فيما بين النهرين وسورية ومصر، وذكر لها صورًا وجدت في بعض جبال شمال اليمن، مما يشير إلى أهميتها

عند البدو وسكان التجمعات في القرى والأرياف والمدن. وتساءل: هل جاء الحصان إلى جزيرة العرب أو ولد فيها بالتناسل من القديم؟! وأجاب بأن ذلك ممكن في الحالتين، ويرجح أن يكون ذلك في منتصف القرن الأول ق.م. واستشهد بوجود عربة في (جبة) في النفود شمال المملكة العربية السعودية وأخرى في (تيما) في وادي (عربة) لكن من الصعب التأريخ لهذه الرسوم على الأحجار - على حد تعبيره - كما توجد عربة أخرى في وادٍ بالقرب من تبوك، وهناك دليل على وجود الخيل واستعمالها في جزيرة العرب حيث توجد عربة وصور بعض الخيل في جزيرة (فيلكا) شرق الكويت، وهناك صورة أخرى في قلعة البحرين من العصر الهيليني (الإغريقي)، وصورة في قلعة (صمد) في عمان، وصورة لصياد بيده رمح وجدت في (مليحة) في الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، من القرن الثالث ق.م، وقبلها صور من عمان في القرن الرابع ق.م. وختم دراسته بالإشارة إلى أهمية الخيل عند عرب الجزيرة العربية، في الصيد، والحروب، مدعمًا بحثه بالصور والوثائق.

وكتب سيمون دقبي Simon Digby عن دخول الخيل شبه القارة الهندية، ورجّح أن يكون وصولها أول الأمر إلى وادي الهندوس المتحضر في الألفية الثانية ق.م. لكنها قليلة العدد، وقد دمرت تلك الحضارة على أيدي الفرسان، وكثيرًا ما كان ذلك بمساعدة (الفيدك) الذين كانوا يستخدمون العربات التي تجرها الخيول، ومن ذلك العهد صارت الخيول تتناسل في شمال غرب القارة وشرقها، وبالتدريج أخذت في الانتشار جنوبًا وغربًا، وصارت ضمن حيوانات الجيش، مثل الفيلة والجمال، وأكد أنها لم تتناسل في الجنوب بكثرة، وذكر أنها قدمت من جزيرة العرب والخليج العربي، وحضرموت، وأن بعضًا منها قدمت من أستراليا في القرن التاسع عشر، وكذلك من مرتفعات أفغانستان، أو من وسط آسيا، حيث ذكرها ابن بطوطة في رحلاته، فذكر قطيعًا يبلغ ٦٠٠٠ رأس، جلب من (آزاق) جنوب سهول روسيا التابعة للسلطان محمد طغلب (١٣٢٥ - ١٣٥١)، وأورد أن سلطان دلهمي غياث الدين بالبان (١٢٦٦ - ٨٧/ ٦٦٤ - ٨٦هـ) سيطر على جنوب الهند (هندوستان) بالاعتماد على الخيول والفيلة، وذكر ابن بطوطة أن خيول السباق في الهند جاءت إليهم من اليمن وعمان وبلاد فارس، وأن ملك (فيجا بنا جار) فكر في جلب الخيل عن طريق مضيق هرمز وعدن إلى مملكته، وكان يعطي التجار الذين يجلبونها مبالغ طائلة مثلما يطلبون ومن هؤلاء أمير البحرين - الساحل الشرقي للجزيرة العربية، ومنه جزيرة أوال/دلمون، البحرين اليوم - علي بن منصور العقيلي الذي كان يصدِّر الخيل إلى سلطان دلهي. وتحدث عن الباحثين الذين ذكروا رحلات السفن من الخليج إلى الهند عن طريق بحر العرب، محملة بالخيول، والبيطريين العرب الذين كانوا يفدون لعلاج الخيل، وأهمية الخيل عند الهنود في الحروب والرياضة إلى اليوم.



إناء عاجي عليه مناظر للصيد (مصر، العهد الفاطمي القرنان ١١ و١٢) المتحف الإسلامي في برلين

الفروسية عند المسلمين

وتركز مقال لعبدالله إبراهيم العمير حول أهمية الفروسية عند المسلمين، مما جعلهم يتعلقون بها فيرسمونها على الأواني النحاسية، حيث وجدت الرسوم على الأواني النحاسية والمعدنية في عهود الإسلام المبكرة واستمر حتى الآن، وخلال هذه الفترات الطويلة لم ينس الفنان المسلم دور الخيل وتكرار استعمالها زينة لكل أنواع الزخارف المعدنية، إشارة إلى الدور الذي أدته في الحياه اليومية في العالم الإسلامي،

وقد ذكرت الخيل في القرآن الكريم من ضمن الحيوانات الأليفة التي تمكن المرء من استخدامها للحاجة وللزينة. وذكر الباحث أثر الفروسية في حياة العرب، وفي أشعارهم، مثل حصان امرئ القيس، وعنترة بن شداد، وغيرهما. وكذلك في الأحاديث النبوية وأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرض آثارًا إسلامية نقشت على مواد معدنية، منها بعض صور لمحاربين، وصيادين يمتطون صهوات جيادهم، إضافة إلى الألعاب الرياضية التي قام الفنان بتصويرها على مواد معدنية متناهية الدقة. وأشار إلى بعض الفنانين (النقاشين) الذين كان لهم دور الريادة في هذا المجال، مثل عبدالرحمن بن عبدالله الرشيدي، وقد طور الفنانون الحرفة إلى النقش على النحاس والذهب والفضة. وافتنوا في صياغات الفرسان، والرماح والسيوف وعصي اللعب، واشتهرت مدن كثيرة بهذه الحرف، مثل دمشق، وأنقرة، وشيراز وغيرها.

الأدوات المستعملة في ركوب الخيل

خُصص جانب من الكتاب لتناول الأدوات التي تستعمل في ركوب الخيل، وقاية للراكب، ووقاية للحصان، وأمانًا لكل منهما، وقد تناول هذا الموضوع بعض الدارسين، كل فيما يخصه من هذه الأدوات. فألقى مارك كراماروفسكي Mark Kramarovsky الضوء على زينة الخيل وعُدَدها في القرنين الثالث عشر، والرابع عشر الميلاديين، وأوضح من العدد، السرج، وأدوات الشراب، واللجام. وأفاض في الحديث عن الأدوات التي يستخدمها الراكب وما يحتاج إليه لتثبيته فوق ظهر الحصان، مثل أدوات الكبح، ومثبتات الزينة، كالخوذة التي يضعها الراكب فوق رأسه، وأدوات أخرى، منها ما هو للزينة، ومنها ما هو للأمان، وأورد الباحث أن هذه الأدوات التي تستخدم للخيل زينةً وعملا موجودة في متحف «شيتا للدراسات الإقليمية»، وذكر أن أقدم سرج نقل من التركية القديمة Turkic إلى المنغولية، صنع بإطار صلب من مادة الفضة في القرن الثالث عشر، مدفون في مقبرة (جبل كازوفونايا) بالقرن من مدينة (كراز نوبا بارسك) وأشار بعض الباحثين إلى أن أدوات المنغوليين كانت

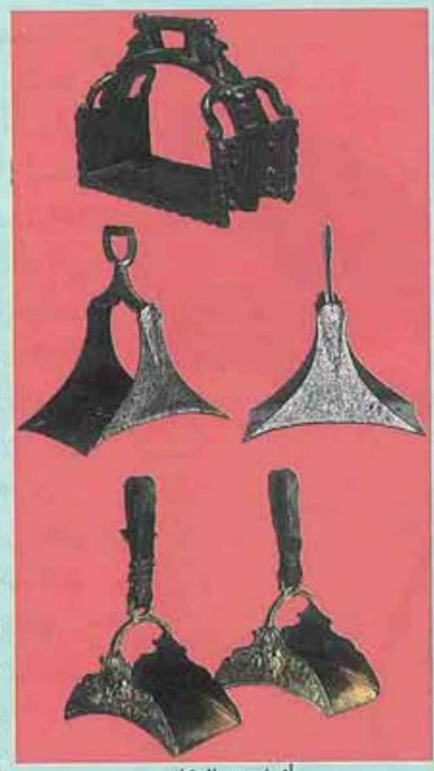


سرج من الخشب مزين بالعظام وموشى بتوريقات نباتية بخارى (القرن التاسع عشر)

قصيرة جدًا، وهذه الملاحظات عززت من الباحثين الذين لاحظوا دقة المنمنمات الصغيرة التي تعطي فكرة عن دقة الصناعات في تلك الحقبة الزمنية. وقد جاءت هذه المعلومات في نسخة من كتاب رشيد الدين «جامع التواريخ» موجودة في مكتبة جامعة إدنبرة عاصمة إسكوتلاندا.

وتحدث ريتشارد ورد Rechard Word عن الركائب وأنواعها وتطورها في العصر الإسلامي، حيث كانت

بدائية في العصور التي سبقت الإسلام؛ وخاصة في العصور القديمة (ما قبل الميلاد) ولم يعط الكاتب هذا النوع من أدوات ومستلزمات الفروسية تعريفًا دقيقًا ومبسطًا، لذلك رأيت أن من واجبي تعريف هذا النوع خدمة للقارئ: (الركاب آلة يدخل الفارس رجله فيها، ويقف عليها أحيانًا للركوب أو الوقوف في السباق) حيث صنعت هذه الركائب في العصر الإسلامي الوسيط من عدد مختلف من المواد، وتعتمد على التكلفة، والإمكانية والتقاليد المحلية. وكان الحديد والفولاذ هما المعدن الشائع الاستعمال، وقد ظهرت ركائب النحاس في المناطق التي ظهرت فيها صناعة النحاس. أما المركابات المرصّعة بالذهب أو الفضة فكانت عادة ما تصنع من هذه المواد الغالية خصيصًا لبعض المناسبات الاحتفالية. أما الركائب الرخيصة فتصنع من المواد الأساسية، مثل الحبال أو الخشب، وهي المستعملة كثيرًا خاصة عند أصحاب الموارد المحدودة. وفي احتفالات الجيش المنغولي في القرن الثالث عشر، كانت ركائب الحديد مقصورة على النخبة، بينما المحاربون الآخرون لهم ركائب الجلد (القد) أو قضيب الخشب الملوي، وأشار إلى أن الركائب صنعت أولا في إيران، وبلاد إسلامية أخرى، واستخدمها فرسان قصر الحير الغربي (القصر السومري) في العصر الأموي (٧٣٠م) ثم انتشرت عالميًا في القرن الثامن عشر.


أنواع من الركائب

التدريب والبيطرة

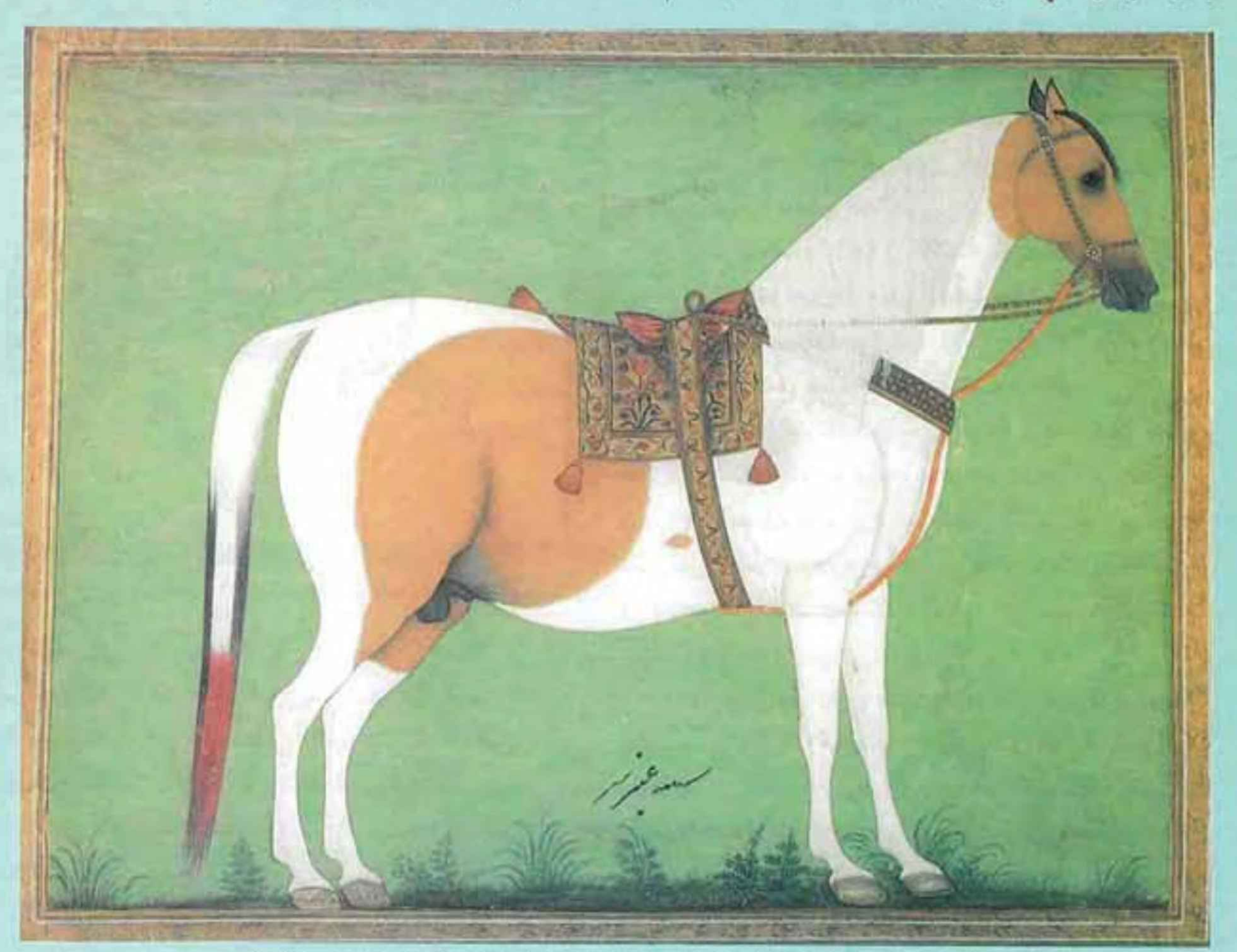
تناول هذا الموضوع مجموعة من الباحثين، وقد حرصنا في هذا العرض على عدم تكرار ما ورد عند البعض منهم لضيق المساحة وللحرص على توضيح بعض النقاط التي لم ترد في مقالات الباحثين الآخرين

وأول من أدلى بدلوه بيت سيويرت ماير Beat Siewert Mayer حيث تحدث عن الركوب والتدريب في العصر العباسي، وركّز على كتاب «الفروسية والبيطرة» لابن أخي حزام (ت: نحو ٢٥٠هـ) الصادر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وربما يكون هذا الكتاب أقدم كتاب باللغة العربية عن علاج الخيل والتدريب على ركوبها، وتدريبها للاستخدام. ونجد مؤلفه في الفصل الخامس يتكلم عن التدريب (العسافة) وشروطها وطرقها العلمية، وكيفية تدرب الراكب عليها، وتدريب الحصان الصغير (المهر) لإعداده للركوب، وكيفية استخدام أدوات السلامة، من اللجام والسرج والخطام.. وخلافها، حتى يصبح هناك توازن بين الراكب والحصان.

يقول ماير: «عندما تنوي ركوب الحصان، وتدريبه أول مرة، ضع سرجًا ناعمًا تحت السرج الذي تركب عليه» (ويعني بالسرج الناعم، الوقاية وتكون عادة من القطن أو الجوخ) لتقي ظهره ثم يكثر من التعليمات التي يحتاج إليها الفارس عندما يروّض حصانًا أول مرة. ويهتم بأدوات السلامة لكل من الحصان والفارس.

وواصل شهاب الصراف الحديث عن آداب الفروسية في مقال طويل ارتكز جلّه على أحداث التأريخ العباسي والمملوكي الذي صار وريثًا بعد سقوط الخلافة العباسية على أيدي المغول (١١١٨/٦٥٦هـ) حيث إن أدب الفروسية قد ظهر واضحًا في القرن الثامن الميلادي وصار متداولاً في القرن التاسع عندما ظهر ما يسمى بالفروسية النبيلة، وتبدأ هذه النبالة من الطفولة، وتكون من أسرة العباسيين، والأسر النبيلة، وقادة الجيش. وأكد الباحث أنها وجدت بشكلها الحقيقي مع وجود بغداد، في عهد الخليفة المنصور (٧٥٤ - ٧٧٥م) وتحدث عن تأريخ الفروسية عند العباسيين قبل الدخول في عهد المماليك

الذين كان لهم الدور بعد أن أخذ الاعتماد على النبيلة يضعف، فقد أسس المعتصم جيشاً من الترك (الغلمان) وهم المماليك كما عرفوا فيما بعد، وكانت لهم السلطة حتى (٩٢٣/١٥١٧م) وكان اعتمادهم على الفروسية، حيث طورت في عهدهم، وصارت تؤدي مهاماً أخرى، وقد تناول روبرت إيروين R. Irwin الخيل في عهدهم، فإلى جانب مهامها في الحروب والرياضة، صار لحمها يقدم كان من تمام مراسم قصور الأمراء تقديم لحم الخيل، وأن السلطان الناصر، قدم عشرين حصاناً بجانب الخراف والثيران.. ومن الغريب، أن يقدم لحم الخيل في دولة مذهبها حنفي لا يجيز أكل لحم الخيل!! وكان هذا اللحم من مظاهر الرفاهية المملوكية. وكذلك شرب لبنها كعادة قديمة كان من المدمنين عليها ـ الظاهر بيبرس (١٢٦٠ ـ ١٢٧٧) والظاهر برقوق (١٣٨٢ ـ ١٣٩٨م).



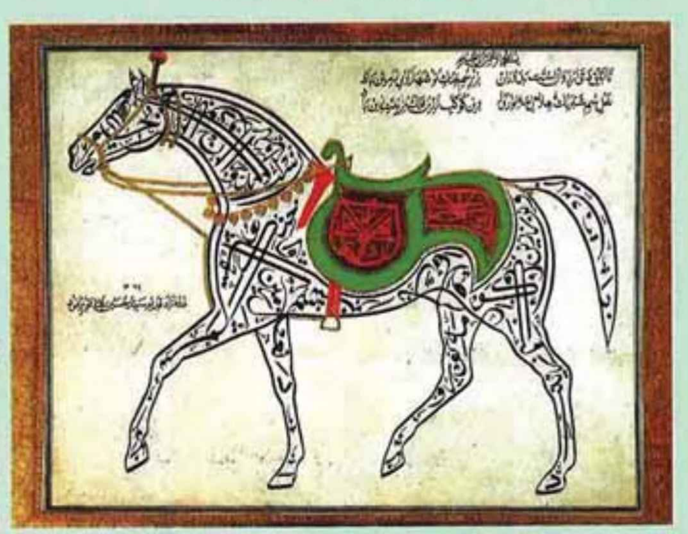
"بورتريه" لحصان، الهند، القرن السابع عشر الميلادي (من مقتنيات المتحف البريطاني بلندن)

في المناسبات المهمة والسعيدة، حيث ذكر أن مفاجأة عظمى حدثت في القرن الرابع عشر الميلادي، وذلك في زواج السلطان الناصر محمد بن زنوك في القاهرة من ابنة الأمير باكتيمور الساقي، حيث قدم لحم الخيل للضيوف أول مرة، وأضاف: في أعياد (١٣٣٧ ـ ١٣٣٨م)

جوانب من صفات الخيل وأشعارها

ـ تدجين الخيول: تناول هذا البحث كيفية تدجين الخيول لتصبح من الحيوانات الأليفة، إذ إن الإنسان اعتمد على الخيول قبل تدوين التاريخ. وقد عرضنا في الفصل الأول إلى نشأة الخيل وكيف استأنسها الإنسان

وسخرها لخدمته، ثم عرض المقال إلى نشأة العربات التي تجرها الخيول، حيث ظهرت أول مرة في أرض ما بين النهرين، شمال شرق سورية، وجنوب شرق تركيا، إبان الحضارة السومرية حيث وجدت اللغة المكتوبة أول مرة في التاريخ. وقد استعملت العربات بجانب خدمتها في الحروب، كنوع من المظاهر الرسمية، وعرض المقال إلى الأعنة وأنواعها، ولكل مناسبة أو شخصية ما يناسبها من الأعنة.



حصان بالخط العربي، إيران، (١٨٥٩ - ١٨٦٩م)، من مقتنيات متحف فيكتوريا وألبرت بلندن

- الخيل في الحرب: وعرض هذا المقال للخيل في الحرب، وقد صورها الفنانون في عدد من المعارك الحربية، وأظهروا قدرتها على القتال على مر العصور التاريخية، وكيفية الاعتماد عليها، فهي كانت الوسيلة الوحيدة في الحروب قبل دخول الآلة الحديثة، وقد تحدث عنها الباحثون في الجزء الأول من هذا الكتاب، إلا أن هذا الجزء يتميز من الأول بالصور الإيضاحية عن عدد الخيول في الحرب.

أما هذا المقال فتركز حول الأدوار الرياضية والصيد، حيث كان للخيل فيها الدور الأكبر، وقد عرض المقال منظرًا لأحد الرماة الصيادين بواسطة الخيول من قصر الحير الغربي، من متحف دمشق الوطني، وعرضنا لهذا القصر في عرض الجزء الأول، وتناول المقال بطولة الفرسان في صيد الأسود، مما يدل على براعة الصيادين، وقوة الحصان، واهتم بأدوات الصيد، من القسي والرماح، عند العرب والفرس والأتراك، تحدث عن رياضة البولو ويقول: إنها نشأت في بلاد فارس ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الأول للميلاد.

ويعد الحصان من أغلى ممتلكات الإنسان وأجملها، ولذلك اشتد الاعتزاز به ورعايته ليكون عنوانًا لمظاهر الرفاهية في المناسبات على اختلافها. يقول الكاتب في هذا العرض «أدى الحصان دورًا مهمًا في المناسبات الرسمية، وفي طقوس الجنائز وملكية الخيال» وأوضح هذا المقال أهمية الخيول في هذه المناسبات والاحتفالات، ومالها من قيمة لحياة المرفهين، حتى إن بعض العربات كانت تصنع من الذهب الخالص.

ويعود الاهتمام بتصوير الإنسان والحصان إلى ما يعكسه ذلك التواصل الروحي العميق بينهما، وقد ظهر ذلك في الفن بمفاجأة مبكرة ما زالت مألوفة إلى اليوم، ومن إحدى الممارسات المتوقعة لهذه العلاقة أن أسرع الإنسان إلى علاجها والعناية بها وتدريبها، وكان ذلك مبكرًا في نحو ١٥٠٠ق.م، وقد وجدنا هذا الحديث في الجزء الأول بالتفصيل، وقد زود هذا المقال بكثير من الصور التي تبين عمل البيطري وأهمية العناية بالخيل صحيًا ورياضيًا حيث صنعت لها الأحذية الحديدية، وأدوات البيطرة وكل ما يلزمها من المركابات وغيرها.

وبعد استعراض بعض محتويات كتاب الفروسية وما تضمنه من مقالات مختلفة، بعضها من العهد البعيد، وبعضها من العهد القريب، ووجدت كثيرًا من التشابه بين بعض المعلومات العلمية، تاريخية وأنثروبولوجية Anthropology حاولت بقدر المستطاع تكرارها في هذا العرض الموجز لكتاب تزيد صفحاته على الأربعمئة صفحة لضيق المساحة. ولأن الصور التوضيحية مهمة لهذا العرض، فقد حرصت على تزويد العرض بشيء منها على مختلف العصور، فاخترت منها ما يناسب العرض، والابتعاد عن الانطباعات الشخصية، وأرجو أن يخرج هذا الكتاب القيم باللغة العربية ليتسنى للقارئ الكريم قراءته والوقوف على ما فيه من معلومات وفيرة، وذلك بلغة سهلة وميسرة.

الملف الثقافي

مدينة تتداعى

آثار في أخدود نجران

الشيرازي في ملتقى عربي - إيراني

ترجمة معاني القرآن إلى ٣٠ لغة

«مستقبل الثقافة العربية» في الرياض

جوائز أدبية لسودانية وجزائرية وسورية



خاتمة المطاف :

الأحلام والإبداع

اللصوص يعتذرون

سطا لصوص مجهولون مؤخراً على أحد المساجد التاريخية في مدينة بليفن في المنطقة الشمالية من بلغاريا، وسرقوا أجهزة مكبرات الصوت، ومخطوطات نادرة، وكتباً قديمة ذات قيمة كبيرة.

ويسود الاعتقاد أن هؤلاء اللصوص كانوا يبحثون عن قطع أثرية، أو ذهب في هذا المسجد التاريخي الذي يبلغ عمره ١٦٨ عاماً. وقالت صحيفة «مونيتور» البلغارية: «إن السلطات الأمنية تشك في أن السرقة حدثت بناءً على طلب مهربين، يتاجرون بالقطع الأثرية النادرة، أو الخرائط القديمة».

وكان اللصوص قد تركوا رسالتين باللغة التركية يعتذرون فيهما عما حدث.

اكتشافات أثرية في المغرب

تحت إشراف المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث بالمغرب، انطلقت في الثاني والعشرين من مايو/أيار الماضي أعمال الحفر والتنقيب عن الآثار في منطقة العرائش، وقد أسفر التنقيب عن اكتشاف قبور يعود تاريخها إلى فترة ما بين نهاية القرن السادس والقرن الرابع قبل الميلاد.

وعثر بداخل هذه القبور، التي يبلغ عددها سبعة عشر قبراً، على هياكل عظمية، ومتعلقات من الفضة، منها حلي وسبعة خواتم وسوار.

مقتنيات جديدة في مركز الملك فيصل

اقتنى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مؤخراً، مجموعة من المخطوطات، في موضوعات علمية متنوعة؛ من بينها مجموع يحتوي على مخطوطين؛ الأول بعنوان: «الكاف الشاف من تخريج أحاديث الكشاف» لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، كتب بخط نستعليق، على يد يحيى بن محمد سنة ١٢٩٠هـ، على ورق أوربي، تبدو عليه الخطوط المتوازية وكتبت رؤوس الفقرات بالحبر الأحمر والأسود بخط كبير، بأوله تملك، وعليه تصحيحات. والثاني بعنوان «كتاب كشف اللبس في حديث رد الشمس» للإمام جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، كتب بخط النسخ، على يد يحيى بن محمد مكرم سنة ١٢٨٥هـ، على ورق أوربي، تبدو عليه الخطوط المتوازية والعلامات المائية، يقع في أربع ورقات.



واقتنى المركز كذلك مخطوطة بعنوان «كتاب في المناسك» تأليف شمس الدين محمد بن أحمد القاهري المعروف بالخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ) كتبت بخط نسخ مشكول على يد حسن بن مصطفى القربي سنة ١٢٦٤هـ، على ورق أوربي، تبدو عليه الخطوط المتوازية والعلامات المائية. كتبت الفصول ورؤوس الفقرات بالحبر الأحمر، عليه آثار بلل في أسفل الأوراق، تليه سورة الحشر.

واقتنى المركز أيضاً، لفافة ورقية طويلة، يصل طولها إلى أربعة أمتار تقريباً، وعرضها ٥ر٦سم، كتبت عليها آيات قرآنية، وسور متفرقة، في جداول وأشكال جميلة ورائعة. وهذه الورقة مشرقية، وخطها يعود إلى القرن العاشر تقديراً. وهذا بيان ما كتب عليها:

كتب على أطرافها في أثناء، سورة الفتح، ثم الحجرات، ثم الطور، ثم أول المجادلة، بخط النسخ الجميل المذهب، وقد قسمت الورقة سبعة عشر جدولاً مستطيلاً مذهبة الأطُر، مفصولة بجداول أخرى مربعة الأشكال. وقد أحيطت الجداول المستطيلة بآيات من القرآن الكريم، في أثناء سورة الشعراء إلى آخرها، ثم سورة الملك، ثم سورة الطارق، وكلها مكتوبة بالمداد الأحمر، وفي داخل هذه الجداول المستطيلة كتبت آيات أخرى من القرآن من أول سورة الحجر إلى سورة الفرقان، وقد كتبت هذه السور بخط دقيق جداً وأخذت أشكالاً يقرأ فيها الناظر آيات أخرى من القرآن وأدعية. ففي الجدول الأول مثلاً يقرأ قوله تعالى: [إن الله يحب المتوكلين]. وفي الثاني: [وما توفيقي إلا بالله]، ويقرأ في الجدول الثالث حتى السادس الآية الأخيرة من سورة القلم، وفي السابع: [توكلت على الحي الذي لا يموت]، وفي الثامن: [سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين]، ويقرأ في الجدول التاسع حتى الخامس عشر آية الكرسي، وفي السابع عشر: [فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين]، وكتب أيضاً على الجداول المستطيلة، في أعلاها وأسفلها، بعض سور القرآن، بالمداد الأزرق و هي: سورة النبأ، ثم سورة عبس، ثم القارعة، ثم التكاثر، ثم الشرح. هذا علاوة على ما اشتملت عليه هذه الجداول المستطيلة من زخرفة مذهبة بداخلها. أما الجداول المربعة فقد ذُهِّبت أطُرها وكتبت بداخلها أسماء سور القرآن، وفي داخل هذه المربعات كتبت على الأطراف سور من القرآن بالمداد الأزرق وهي: سورة الزلزلة، ثم العاديات، ثم العصر،

وهكذا حتى آخر القرآن الكريم، أما أواسط المربعات ففي داخل المربع الأول جملة (لله العظمة) بشكل مزخرف مذهّب وملون بالأزرق والأحمر، ثم بداخل المربع الذي يليه رسمت مربعات صغيرة مذهبة الأطر كتبت بداخلها توسلات إلى الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم في المربع الذي يليه مثل ما في المربع الأول، وهكذا بالتعاقب حتى المربع الأخير.

وتعد هذه اللفافة من نوادر مخطوطات المركز، ومن نوادر إبداعات الخطاطين، ومن روائع الخط العربي.

مدينة رشيد محمية أثرية

دعا المجلس القومي المصري للثقافة والإعلام إلى إعلان مدينة رشيد محمية أثرية بعد أن تم اختيارها ضمن مشروع «متاحف بلا حدود» لدول حوض البحر الأبيض المتوسط، ودعا المجلس إلى الاهتمام بتنفيذ مشاريع البنية التحتية في المدينة، والمحافظة على الطابع الأثري، والتاريخي المميز لها. كما دعا إلى الاهتمام بالمرافق الخدمية أيضاً، كإنشاء فندق عائم، ومرسى سياحي، وتطوير متحفها القومي، والمنشآت التي تجذب السياح.


حجر رشيد

وتعد مدينة رشيد، ثاني مدينة، بعد القاهرة، من حيث عدد آثارها الإسلامية. وهي تبعد قرابة ستة أميال عن البحر المتوسط، وتطل على فرع النيل الغربي، وقد عثُر فيها على الأثر المعروف «بحجر رشيد» الذي ساهم مساهمة فعالة في فك رموز الكتابة المصرية القديمة.

وقد صدر حديثاً عن دار الآفاق العربية كتاب «رشيد: النشأة، والازدهار، والانحسار»، تناول فيه المؤلفان: محمد طاهر الصادق، ومحمد حسام إسماعيل، تاريخ مدينة رشيد منذ أقدم العصور حتى مطلع القرن العشرين.

مدينة تتداعى

تعد مدينة زَبيد من أهم المدن الأثرية في اليمن. فقد كانت هذه المدينة التي شيدت في القرن الثالث الهجري، منارة للعلم في العالم العربي، والإسلامي على مدى عدة قرون، بفضل جامعتها المعروفة «مسجد الأشاعرة» وكانت في شهرة جامعة الأزهر في القاهرة، وتميزت مدينة زَبيد، بموقع تجاري مهم، فهي تقع على المحور الدولي عدن - مكة الذي كانت التجارة المنقولة تمر عبره، من الهند حتى حوض المتوسط.


بوابة مدينة زبيد

ولكن آثار هذه المدينة، بدأت تتعرض للخراب والتلاشي، فقد «قاومت هذه المدينة الواقعة في سهل تهامة الساحلي في اليمن على مدى تسعة قرون. لكن منذ عقدين بدأت تتداعى»، كما يقول فرنسوا بورغا، مدير المركز الفرنسي للدراسات اليمنية. ويعزى هذا الانهيار إلى عدة أسباب: منها هجمة المباني الحديثة العشوائية، وغياب نظام صرف جيد لمياه الأمطار، إضافة إلى إهمال صيانة هذه المرافق وترميمها.

وقد أُدرجت مدينة زبيد على قائمة التراث العالمي، التي تضعها منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونيسكو» في محاولة لحمايتها، والمحافظة عليها. فقد أرسلت بعثات مختصة في الآثار والهندسة والسلالات، اقترحت ٣٤ إجراءً في سبيل المحافظة على هذا التراث، من بين هذه الإجراءات: ترميم النُّصب، وإنقاذ المخطوطات، ولكن «حماية هذه المدينة تحتاج إلى تعبئة عاجلة وكثيفة، إذا أردنا المحافظة على أحد أكبر معالم تاريخ البشرية» كما يقول بول بونانفان عالم الاجتماع والباحث في المركز الوطني للأبحاث العلمية.

إعادة الخط العربي إلى عرشه

عُقدت في الزاهر، في بيروت بدعوة من مؤسسة الرعاية الاجتماعية، أعمال «الملتقى الأول للخطاطين العرب»، الذي شارك فيه ٣١ خطاطاً من ١٤ دولة عربية ومن تركية وإيران.

وتميز الملتقى بحضور لافت من الأكاديميين والأساتذة والطلاب الجامعيين من مختلف التخصصات، ومن كليات الفنون بشكل أخص.

ويرمي هذا الملتقى الأول من نوعه، إلى جمع شمل الخطاطين العرب، وعرض القدرات الفنية المعاصرة، التي يزخر بها العالم العربي والإسلامي، وإبراز أهمية الخط العربي وجمالياته، وتنشيط استعماله في الحياة المعاصرة؛ ومن ثم دفع المرجعيات التربوية والثقافية والإعلامية في الأقطار العربية، إلى القيام بأدوار مسؤولة، تجاه استعمال الخط العربي.

وقد تناول الباحثون في جلسات عمل الملتقى محورين

أساسيين: أولهما عن «استعمالات الخط العربي في الحياة المعاصرة»، والآخر حول «الخط العربي وتقنيات الحاسوب».

ورافق الملتقى معرض ضم ٢٤ لوحةً خُطَّ على كل منها قول أبي الطيب المتنبي:

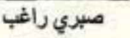
على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

فجاء المعرض متنوعًا، تنوع الخط العربي وغناه، ووقع الخطاطون المجتمعون في ختام الملتقى على وثيقة مخطوطة، وجهوها إلى الملوك والرؤساء والأمراء في الدول العربية، ضمنوها التوصيات الآتية:

- ضرورة الاهتمام بمناهج تعليم الخط العربي، وتعريفه في المدارس والجامعات، وتوسيع نطاق استعماله في اللوحات العامة والخاصة: (كالمنشآت، والمباني، والقصور.. وغير ذلك).
- العمل على استحداث وظائف خاصة بهذا الفن؛ مثل: خطاط الملكة، أو الجمهورية، أو الدولة.. إضافة إلى المطالبة باعتماد فن الخط العربي في كتابة أسماء الوزارات والدوائر الحكومية في شتى الاستعمالات.
- وضع حدّ لاستعمال الأسماء والأحرف الأجنبية، وتطبيق القوانين التي تُلزم باستعمال الخط العربي، واللغة العربية في أسماء الشركات والمحال.
- رحب الخطاطون العرب بالتوسع في استعمال الحاسوب، مع إبداء استعدادهم للمساهمة في تحسين الأحرف العربية المستعملة على الحاسوب وتطويرها، والتعاون مع المصممين والمبرمجين لإبراز فن الخط العربي.

رحيل صبري راغب



صبري راغب

توفي في القاهرة في الثاني والعشرين من يوليو/ تموز الماضي عن ٨٠ عامًا، الفنان صبري راغب. وهو أحد أبناء الرعيل الأول من التشكيليين، وقد قضى السنة الأخيرة من عمره مكتئبًا؛ لتجاهل الدولة والنقاد ووسائل الإعلام إياه، يؤكد ذلك محسن شعلان مدير المكتب الإعلامي بقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة بقوله: «انتهت حياة صبري راغب، بمأساة دون أن يلقى أي تكريم من الدولة، وكان هناك نوع من الإهمال للقيمة الفنية الكبيرة التي يمثلها، مما ساهم في إصابته باكتئاب»!!

التحق صبري راغب عام ١٩٣٧م - وهو في السابعة عشرة من عمره - بمدرسة الفنون الجميلة، وسافر بعد سنة واحدة إلى إيطاليا، والتحق بعدد من المعاهد، كان من ضمنها معهد متخصص في تصوير الجسم الإنساني، ولم يتخرج إلا بعد نحو ١٥ عاماً.

يُعد صبري راغب - عند بعضهم - رائداً للاتجاه التأثيري في الفن التشكيلي بمصر. وقد برع في فن البورتريه، والموديل، والزهور، التي كانت سبباً رئيساً لولعه بالألوان.

قال عنه كمال الجويلي رئيس الجمعية المصرية لنقاد الفن التشكيلي: «برع راغب في تقديم جماليات الجسم الإنساني من خلال الموديل الذي كان مصدر إلهام شديد له. وكان أهم ما يميزه، ذلك الانسجام الموسيقي الرفيع، بين المجموعات اللونية، وحرصه الشديد على تأمل الشخصيات بعمق، قبل تقديمها في بورتريهات».

ومن أشهر أعماله في مجال رسم الشخصيات، ما تقتنيه مؤسسة الأهرام الصحفية، من رسومه لصور الأعلام من صحفيين وكتّاب وفنانين وسياسيين أمثال محمد حسنين هيكل، ونجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم.. وغيرهم.

وكان آخر الأنشطة الفنية للراحل؛ المعرض المقام بالجامعة الأمريكية بالقاهرة بمسمى «صبري راغب وتلاميذه»، حيث عُرضت فيه مجموعة من أهم أعماله وأعمال تلاميذه.

الأدب الشعبي وعلاقته بالتاريخ



فاروق خورشيد

أجرى ملحق «بيان الكتب» الأسبوعي الصادر عن «مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر» بالإمارات، في عدده رقم ١١٦، بتاريخ ٢٤ من يوليو/ تموز الماضي - حوارًا شاملاً عن التراث الشعبي العربي، مع الدكتور فاروق خورشيد، القاص والباحث في الأدب الشعبي الذي ألّف فيه - وحده - أكثر من عشرين كتابًا متنوعاً، واختار هذا الأدب مجالاً لدراساته وإبداعاته.

تحدث خورشيد عن بداياته المبكرة مع الأدب الشعبي منذ صغره. وفي رد على الاتهامات الموجهة إلى التراث العربي بالعقم والخلو من فنون القص قال: «..اكتشفت أن كل الرموز الكبيرة التي كنت أقرأ عنها في الأدب الأجنبي، والتي كان

يستنبطها الكاتب من التراث الإغريقي، والتوراة، وغيرها؛ توجد نماذج شبيهة لها جداً في التراث العربي. وكذلك البطولات التي أضيفت إليها الروايات التي انتشرت تماماً في العصر الرومانسي الأوروبي؛ كان معظمها مسروقاً من التراث العربي القديم. وقد شغلتني هذه القضية جداً، إلى الدرجة التي قررت معها دراسة الموضوع بشكل متأنٍ».

وفي تساؤل عن مدى انعكاس هموم الأمة العربية في مراحلها المختلفة على السير الشعبية، قال: إن السير في مجملها: «ترصد معركة عربية معينة، ضد قوى خارجية مختلفة: فعنترة بن شداد ترصد علاقة العرب بالفرس، وذات الهمة ترصد علاقة العرب بالبيزنطيين والحروب التي انتهت بفتح العرب للقسطنطينية. وكذلك الظاهر بيبرس، ترى فيها علاقة العرب بالصليبيين، وسيرة سيف بن ذي يزن، ترصد علاقة العرب بالأحباش؛ إذاً قامت هذه السير برصد الأطماع التي وردت على المنطقة، روائياً وبفن عالٍ جداً».

ودعا خورشيد إلى ضرورة الاهتمام بالأدب الشعبي، وتقديمه للصغار، من خلال الوسائل المتعددة؛ مثل التلفزيون، وبرامج الأطفال؛ ولا ننكر أن هناك خطوات على هذا الطريق، سبقنا إليها الأوربيون - بالأسف الشديد - فلا يوجد برنامج كرتون أوربي إلا ويوجد فيه أدب شعبي عربي، على سبيل المثال: سندباد، وألف ليلة وليلة!.

«سفير الخليج» وتوثيق الآثار

بهدف تغطية المتاحف والآثار السعودية، وتوثيقها، انطلق فريق «سفير الخليج للتصوير والرحلات العلمية» المكوّن من الرحالين الثلاثة: عبدالعزيز العقيل، وعبدالإله اللحيدان، وعبدالله المحارب، في الرابع من أغسطس/ آب الماضي في رحلة يتوقع لها أن تستمر مدة أشهر.

انطلق الفريق من الرياض، وتغطي رحلته التوثيقية ١٣ مدينة ومنطقة من مناطق المملكة، وهي: بريدة، وحائل، والمدينة المنورة، وجدة، والطائف، والنماص، وأبها، وجيزان، ونجران، والأحساء، والدمام، والجوف، وتبوك.

يحمل الرحالون شعار منظمة الطفولة العالمية «اليونيسيف»؛ حيث خُصصت نسبة ٢٥٪ من إيرادات الرحلة، لمصلحة المنظمة. ويزمع الفريق إصدار فيلم وثائقي عن الرحلة. وقد نوه الرحالون بدعم رجال الأعمال، والتعاون الذي قدمته إدارة الآثار والمتاحف في وزارة المعارف.

الجدير ذكره أن «فريق الخليج» بدأ أولى رحلاته التصويرية، والعلمية داخل المملكة في عام ١٩٨٢م، وقد تجاوز ما تم التقاطه من الصور الفوتوغرافية ٢٠٠ ألف صورة.

لجنة استشارية للفنون التشكيلية


عبدالجبار اليحيا

صدرت موافقة الرئيس العام لرعاية الشباب، صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز، وسمو نائبه الأمير نواف بن فيصل بن فهد بن عبدالعزيز، في ١٧ من يوليو/ تموز الماضي، على تشكيل لجنة استشارية للفنون التشكيلية، وقد تشكلت اللجنة تحت إشراف المقر الرئيس لجمعية الثقافة والفنون في الرياض، وتكونت من مجموعة من الفنانين التشكيليين: عبدالله الشيخ، والدكتور عبدالحليم رضوي، وعبدالجبار اليحيا، والدكتور محمد الرصيص، والدكتور يوسف العمود، وعلي الرزيزا، والدكتور صالح خطاب، وسعد العبيد، والدكتور نوار مغربل، وبكر شيخون، وعلي الصفار، وضياء عزيز ضياء، والدكتور سعد المسعري، وفهد الربيق، وعبدالرحمن السليمان، ومحمد المنيف، وناصر الموسى، وخالد العبدان، وعثمان الخزيم، وسليمان المقبل، وسمير الدهام، وعبداللطيف البلال، وهشام بنجابي، وعبدالعزيز الشابع، وناصر الميمون.

ويشارك في عضوية اللجنة رؤساء اللجان في فروع الجمعية العشرة الموزعة في أنحاء المملكة.

وتقوم اللجنة بالإشراف على كثير من الأنشطة التشكيلية التي تشتمل على: دورات الخط العربي، والتصوير الفوتوغرافي، وتنظيم المعارض الفنية (داخل المملكة وخارجها) لفنانين وفنانات تشكيليين سعوديين.

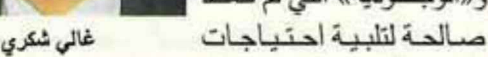
أنيس رئيساً

بعد توقف مجلة «القاهرة» الصادرة عن وزارة الثقافة المصرية إثر رحيل الناقد الدكتور غالي شكري، وتعثر أهم مجلات الوزارة مثل: «إبداع» و«فصول» و«المسرح»، تزمع وزارة الثقافة إصدار مجلة باسم «الكاتب المصري».

رشح لرئاسة تحرير المجلة الجديدة أنيس منصور، وقد تردد كثير من الشائعات، حول سبب ترشيح منصور لرئاسة تحرير المجلة. فهناك من يقول: إن اختياره يُعد

بمنزلة الترضية له، بعد حجب جائزة مبارك في الآداب عنه شهر يونيو/ حزيران، بعد السجال العنيف بينه وبين الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية.

وكتبت مجلة «الوسط» الأسبوعية - في عددها ٤٤٤، الصادر في ١٣ يوليو/ تموز: «أن اختيار أنيس منصور لرئاسة تحرير المجلة وهو المحسوب على التيار المؤيد للتطبيع، من شأنه أن يُعرِّض المجلة لانتقادات شديدة في أوساط المثقفين المصريين، الذين يقفون بشكل ساحق ضد التطبيع، مع إسرائيل. ويلفت بعضهم إلى أن الأفكار التي روج لها منصور في الخمسينيات والستينيات تصب في خانة «العدمية» و«الوجودية» التي لم تعد صالحة لتلبية احتياجات المشروع الثقافي العربي الراهن، في طموحه للتفاعل مع المطروح عالميًا في ظل خطاب العولمة».


غالي شكري

ويذكر أن «الكاتب المصري» أسسها الدكتور طه حسين في أربعينيات القرن الماضي، وكانت تؤدي دورها - مع نظيراتها - في نشر الجديد من الثقافة العالمية والعربية.

ويبقى التساؤل عن مدى قدرة أنيس منصور على إعادة الدور الذي كانت تؤديه المجلة الثقافية والأدبية، في نشر الثقافة، في ظل الواقع الحالي للقارئ العربي؟

جائزة لخالتي صفية

حازت رواية «خالتي صفية والدير» للروائي المصري بهاء طاهر على الجائزة الأولى في مسابقة الأدب الدولية، التي تنظمها مؤسسة جوزيبي اتشيربي الثقافية الإيطالية. وتبلغ قيمة الجائزة ثلاثة آلاف دولار، إضافة إلى جولة سياحية مدة عشرة أيام في الربوع الإيطالية.


بهاء طاهر

ومن المقرر أن يتسلم بهاء طاهر الجائزة يوم ١٥ أكتوبر/ تشرين الأول القادم، وسط احتفال يشهده حشد كبير من رجال الأدب، والثقافة، والتربية، والتعليم. والجامعات ووزارة الخارجية الإيطالية.

وكانت اللجنة الإيطالية التي زارت مصر في شهر مارس/ آذار الماضي، قد اختارت خمس روايات مترجمة إلى اللغة الإيطالية للمنافسة على هذه الجائزة، وهي بجانب الرواية الفائزة روايات «بيوت وراء الأشجار» لمحمد البساطي، و«شطح المدينة» لجمال الغيطاني، و«حجارة بيبللو» لإدوار الخراط، و«الهؤلاء» لمجيد طوبيا.

مؤسس هذه الجائزة حفيد جوزيبي اتشيربي، الذي عاش في القرن التاسع عشر في مصر، وكان مقربًا من محمد علي باشا حاكم مصر، وقام بتلحين المارش العسكري للجيش المصري. وقد تهم من قبل بعض المثقفين المصريين بتهريب الآثار إلى خارج مصر.

تنظيم مؤسسة آل البيت

قرر الأمير حمزة بن الحسين، ولي عهد الأردن، في أول اجتماع له مع أعضاء مجلس مؤسسة آل البيت، تكوين لجنة خاصة، للنظر في شؤون المؤسسة الإدارية، والمالية، والتنظيمية. وكان الملك عبدالله الثاني قد قام بتعيين أخيه الأمير حمزة خلفًا لعمه الأمير حسن بن طلال الذي كان يتولى إدارة المؤسسة منذ أن قام بتأسيسها الملك حسين بن طلال عام ١٩٨٠م.

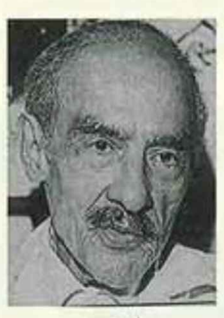
والمعروف أن مؤسسة آل البيت، مؤسسة علمية إسلامية عالمية مستقلة، غير حكومية، مقرها عمان، وهي مجمع للبحوث المتخصصة في ميادين المعارف والعلوم الإسلامية والعربية، ترمي إلى تعريف الشريعة الإسلامية وتنقية الثقافة الإسلامية مما علق بها من شوائب، وتصحيح المفاهيم والأفكار غير السليمة عن الإسلام.

سكة حديد الحجاز متحفًا

تمَّ في ٢٣ يوليو/ تموز الماضي بمدينة الرياض إبرام عقد بين وكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد، ومؤسسة التراث بالتضامن مع إحدى المؤسسات الوطنية، لترميم مبنى سكة حديد الحجاز بالمدينة المنورة، وتحويله إلى متحف للتراث الإسلامي، ومبنى لمقتنيات الملك عبدالعزيز، ومتحف لتراث المدينة المنورة، ومتحف للسكة الحديدية بعد إصلاح القطارات القديمة وإعدادها للعرض المتحفي. وتبلغ قيمة العقد المبرم ٢٢ مليون ريال سعودي.

رحيل بيدرو مير

توفي بيدرو مير، الشاعر الدومينيكاني الذي عدّ من أكثر الأصوات حيوية ونشاطًا في الحركة الشعرية في جمهورية الدومينيكان، عن عمر يناهز ٨٧ عامًا.


بيدرو مير

ولد مير في سانت دومينيجو عام ١٩١٣م لأب كوبي، وأم بورتوريكية، وعاش في سانت دومينيجو حتى عام ١٩٤٧م ثم غادرها إلى كوبا، بعد صراع مرير مع السلطة التي كان ينتقدها من خلال أعماله الأدبية والتاريخية. وفي كوبا نُشر عدد من دواوينه الشعرية، منها ديوان «هناك بلد في العالم» و«صرخة من أجل الحرية».

وعاد مير إلى بلاده عام ١٩٦٢م، بعد أن تنقل كثيراً بين المكسيك والاتحاد السوفيتي، وعمل في عام ١٩٦٨م مدرساً لمادة الكتابة الإبداعية في جامعة سانت دومينيجو المستقلة، ونال في عام ١٩٧٥م الجائزة الوطنية عن كتابه «الجذور الدومينيكانية في سياسة مونروي»، وهو الكتاب الذي ناقش فيه الأطماع الأمريكية، في أمريكا اللاتينية التي ترجع إلى عام ١٨٢٣م.

ومع أن شهرة مير لم تتعد حدود أمريكا اللاتينية، وأن أغلب أشعاره لم تترجم إلى اللغات الحية عدا مجموعة شعرية واحدة هي «أغنية مضادة لوالت وايتمان وقصائد أخرى»، إلا أنه يحتل المكانة نفسها التي يحتلها كبار الشعراء كالشاعر التشيلي بابلو نيرودا، والإسباني جارسيا لوركا، وقد وجدت قصائده رواجاً كبيراً بين جيل الشباب.

من أهم أعماله الشعرية «قصائد الحب الطيب»، و«أمين الفراشات»، و«رحلة إلى الجماهير»، ومن أعماله القصصية رواية «عندما أحب المزارعون التعاونيون الأرض».

معجم الصم والبكم

شارك في دمشق أكثر من ٨٠ خبيراً ينتمون إلى عدد من الدول العربية، والأمانة العامة لجامعة الدول العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (إيسيسكو)، والاتحاد العربي للهيئات العاملة في رعاية الصم، في فريق عمل خاص باستكمال المعجم الإرشادي العربي الموحد، لمصطلحات الإشارة للصم والبكم العرب.

وكان هذا المعجم قد بدأ بـ ٧٠٠ مصطلح إشاري، أنجزتها اللجنة الخاصة التي شكلتها لجنة الشؤون الاجتماعية، التابعة لجامعة الدول العربية. وأضاف إليها المشاركون في هذا الفريق ١٣٠٠ مصطلح إشاري جديد، أكملوا به هذا العمل الذي تناول مصطلحاته الدول العربية، وعواصمها، والأسرة، والمجتمع، والمدرسة، والمناسبات، والشعائر الدينية، وغيرها من نشاطات الحياة المختلفة التي تهم الصم والبكم العرب الذين قدر عددهم بنحو ٥ ملايين شخص. وستقوم جامعة الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو) بطباعة هذا المعجم وتوزيعه مجانًا على المستفيدين.

سودانية تفوز بجائزة أدبية

فازت الكاتبة السودانية ليلى أبو العلا، بجائزة «كين» لكتابة القصة الأفريقية باللغة الإنجليزية، وقيمتها ١٥ ألف جنيه إسترليني عن قصتها «المتحف» التي صدرت في بريطانيا العام الماضي عن دار نشر «هينمان» ضمن مجموعة قصصية بعنوان «الفضاءات المفتوحة».


ليلى أبو العلا

وهذه هي المرة الأولى التي تمنح فيها هذه الجائزة، التي سميت باسم الرئيس السابق لشركة «بوكر» السير مايكل كين، وألحقت بجائزة «بوكرز» الأدبية البريطانية المرموقة.

وتجري أحداث قصة أبو العلا، بين شابين؛ طالب أسكتلندي، وطالبة عربية، في إحدى الجامعات الأسكتلندية تفصل بينهما هوة من الاختلاف الثقافي.

وليلى أبو العلا هي المرأة الوحيدة بين المرشحين الخمسة، الذين أدرجوا في القائمة النهائية للفوز، واختيرت للجائزة من لجنة اختيار، يرأسها الكاتب النيجيري بن أوكري الفائز بجائزة بوكرز.

وكان المرشحون الآخرون للجائزة هم تشارلز مونغوشي، وشيمر تشنوديا، وروري كيلاليا (زيمبابوي)، وعبدالرحمن وييري (جيبوتي).

وليلى أبو العلا كاتبة سودانية من أم مصرية، ولدت في القاهرة عام ١٩٦٤م، وتعيش مع زوجها، مهندس النفط، وأبنائها في مدينة أبردين في اسكوتلندا.

وفاة أحمد شاملو


أحمد شاملو

توفي في ٢٤ يوليو/ تموز الماضي، عن عمر يناهز ٧٥ عاماً الشاعر والكاتب الإيراني أحمد شاملو، الذي وصفته وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية، بأنه أشهر شعراء إيران المعاصرين. وكان شاملو قد نقل إلى المستشفى قبل عدة أسابيع، للعلاج من مرض السرطان، الذي عانى منه طويلاً، وفور إعلان نبأ الوفاة، بدأت إذاعة «بيام» المحلية ببثّ نماذج من شعره.

وكان شاملو قد رشح عدة مرات لنيل جائزة نوبل في الآداب، وقد قضى السنوات الأخيرة من عمره في إعداد معجم الأمثال والنكات الفارسية؛ التي نشر منها أربعة مجلدات، من مجلداته الثلاثين.

ومن أشهر دواوينه الشعرية «إبراهيم في النار»، و«أزاهر في الضباب»، و«حديقة المرايا».

شاعرة القرن!

فازت الشاعرة الجزائرية، يمينة مقدر، البالغة من العمر ١٧ عامًا بلقب شاعرة القرن. ونالت الجائزة الكبرى للشعر، التي يمنحها المجمع الدولي للشعراء بواشنطن، والتي تبلغ قيمتها نصف مليون دولار، إضافة إلى منحة دراسية في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك عن قصيدتها «الطريق المجهول» التي قامت بإرسالها ضمن مجموعة شعرية إلى فرع المجمع بباريس.

وتنحدر يمينة، التي تقطن مدينة «تلمسان» بالغرب الجزائري، من أب جزائري، وأم فيتنامية، وتجيد الكتابة باللغتين العربية والفرنسية، ولم تحاول يمينة - مع كونها شاعرة وكاتبة - نشر كتاباتها داخل الجزائر أو خارجها، وقد عبرت عن ذلك بقولها: «أنا فرحة بهذا التتويج الذي لم أكن انتظره، حيث كنت أكتب الشعر في صمت ولا أطلع عليه سوى أهلي وبعض الصديقات المقربات مني، وحتى طلبة الثانوية التي أدرس فيها لا يعلمون أنني شاعرة».

وتحكي القصيدة «الطريق المجهول» عن العلاقة بين الشمال والجنوب، ومعاناة المحرومين، والمشكلات النفسية التي يعاني منها الإنسان في عالم سيطرت عليه الماديات.

صنعاء تثير جدلاً

أثارت رواية نشرت في اليمن مؤخراً، جدلاً واسعًا، وصل إلى ساحات المحاكم. فقد قررت محكمة جنوب غرب صنعاء، احتجاز سمير رشاد اليوسفي (٣٢ عاماً)، رئيس تحرير


اليوسفي مع بعض أعضاء هيئة التحرير

صحيفة «الثقافية» الأسبوعية بتهمة «الترويج للكفر والمساس بالذات الإلهية والسخرية من الدين الإسلامي» لنشره رواية «صنعاء مدينة مفتوحة» للروائي اليمني الراحل محمد عبدالولي الذي مات قبل ٢٨ عاماً في حادث تحطم طائرة، كانت تقله و٣٠ شخصية قيادية في الجبهة القومية في ذلك الوقت.

وتعرض وزير الإعلام اليمني عبدالرحمن الأكوع لهجوم شديد من خطباء المساجد، كما أصدرت ٢٢ شخصية إسلامية بيانًا طالبوا فيه «بمحاسبة المسؤولين عن نشر الكفر والترويج له، والدعوة إليه وإحالتهم إلى القضاء».

وعلى الجانب الآخر نددت قيادات المؤسسات الإعلامية؛ ونقابة الصحفيين، واتحاد الكتاب اليمنيين، بهذه الحملة وقالوا: «إنه من الصعب أن يواصل الصحفيون والمثقفون والمبدعون على امتداد الساحة اليمنية عطاءهم في خدمة الوطن والأمة، في ظل هذا المناخ الخانق من تهم التكفير ومصادرة الآراء والإرهاب الفكري الذي يتناقض مع سماحة الدين الإسلامي الحنيف والشريعة الإسلامية الغراء».

والملاحظ أن ردود الفعل ضد هذه الرواية، لم تظهر إلا بعد نحو شهرين من بداية النشر (١٣ أبريل/ نيسان الماضي)، وبلغ الصراع أشده بعد نشر آخر حلقاتها بتاريخ ٨ يوليو/ حزيران الماضي. ليس هذا فحسب، بل إن هذه الرواية كانت قد نُشرت داخل اليمن وخارجها منذ ثلاثة عقود وأعيد طبعها ٦ مرات.

واختفت رواية «صنعاء مدينة مفتوحة» من المكتبات،

إلى إقبال الناس على شرائها، نتيجة لهذه القضية، بينما رجّح آخرون أن تكون وزارة الثقافة قد قامت بسحبها من السوق - عبر مكاتبها في المحافظات - حتى لا تطالها المحاسبة لكونها مسؤولة عن طبعها ونشرها في الماضي!

التنقيب في الأخدود


من آثار نجران

وافق وزير المعارف الدكتور محمد بن أحمد الرشيد، على البدء بأعمال التنقيب الأثري في موقع مدينة الأخدود الأثرية بمنطقة نجران خلال الفترة من ٢٠ جمادى الآخرة حتى ٢٥ رجب ١٤٢١هـ القادم.

وصرح الأستاذ عبدالعزيز بن منسي العمري، مدير متحف نجران، بأن هذه الحفريات تأتي بغرض كشف الغموض الذي يكتنف بعضاً من جوانب تاريخ هذا الموقع الذي كانت تقوم عليه مدينة نجران القديمة. وأضاف: إن إدارة المتاحف ترمي إلى «استغلال الموقع في التنشيط السياحي أيضاً، خصوصاً أن عدد زواره يتزايد كل عام، إذ وصل عددهم العام الماضي إلى أكثر من ٣٠ ألف سائح من مختلف الجنسيات».

وأكّد أن الفريق الذي يقوم بالتنقيب في هذا الموقع، مكوّن من مجموعة من الشباب السعوديين الذين تخصصوا في هذا المجال.

الإنترنت يهدد دور النشر والناشرين

دبّ الذعر في أوساط دور النشر العالمية، عندما نشر الروائي الأمريكي، المشهور بكتابة روايات الرعب، ستيفن كنج - الفصل الأول من كتابه الجديد «النبتة The plant» على الموقع الخاص به في شبكة الإنترنت، في محاولة لإيجاد صلة مباشرة بينه وبين القارئ من غير وسيط. واشترط كنج، أن يدفع القراء دولاراً واحداً، إذا أرادوا الاطلاع على باقي أجزاء الرواية،


ستيفن كنج وزوجته

وخاطبهم بقوله «إذا دفعتم، فإن القصة ستستمر، وإذا لم تدفعوا، فإنها ستتوقف». وكانت هذه الفكرة قد نبعت في ذهن كنج، حين أرسل له أحد القراء مبلغ دولارين ونصف الدولار، عندما شعر بالذنب لقيامه بقراءة رواية صغيرة على الشبكة للكاتب بعنوان «ركوب الرصاصة» من موقع غير مرخص دون أن يدفع، وكانت هذه الرواية قد نفد منها في مارس الماضي نصف مليون نسخة إلكترونية، حقق منها الكاتب أرباحاً قدرت بـ ٤٥٠ ألف دولار. ولو نُشرت هذه الرواية في مجلة؛ فلن يتعدى مكسبها عشرة آلاف دولار.

ولجأ كنج إلى موقع «أمازون» لبيع الكتب والأعمال الموسيقية، عبر الإنترنت ليكون وسيطاً ينظم عملية الدفع للمشتركين الراغبين.

والسؤال الذي يفرض نفسه: ما مصير دور النشر والناشرين، لو نجحت هذه الفكرة، وقلدها مؤلفون آخرون؟ هل يعني ذلك انقضاء الدور الذي تقوم به دور النشر والناشرون في صناعة الكتاب وترويجه؟ وجاءت الإجابة من المؤلف «الناشر» نفسه ستيفن كنج في قوله: «ليس من الوارد أن يتخلص الكتّاب من الناشرين، لأنهم يعتمدون عليهم في ترويج كتبهم! إلا أن التوزيع الرقمي، والنشر الذاتي، يمكن أن يصبح له تأثير كبير».

وفي كل الأحوال، لن يكون نشر هذه الرواية مخاطرة بالنسبة إلى المؤلف، فلو دفع ٢٠٪ فقط من الأشخاص الذين اشتروا رواية «ركوب الرصاصة» المبالغ المطلوبة منهم للأجزاء العشرة من رواية (النبتة)، فسوف يكسب المؤلف مبلغ مليون دولار.

أسرة السياب تقاضي سعدون جابر


بدر شاكر السيّاب

رفعت أسرة الشاعر العراقي الراحل بدر شاكر السياب، دعوى ضد الفنان سعدون جابر، بتهمة الاستيلاء على الإرث الشعري والأدبي للشاعر الراحل، بحجة عدم أخذ موافقة ورثته في أثناء تناول سيرة حياته، في مسلسل أخرجه فارس طعمة التميمي. وطالبت آلاء - ابنة السياب التي رفعت الدعوى - سعدون جابر بدفع أكثر من ١١٠ آلاف دولار لإنتاجه هذا الفيلم، وكان جابر قد عرض مبلغ ٥٠٠ دولار أمريكي فقط تعويضاً!!

وانقسم الشارع العراقي قسمين، حيال نظرتهم إلى القضية:

قسم أيّد مطالبة ابنة السياب، وقسم دافع عن جابر، بوصف هذا العمل توثيقًا لحياة شاعر، يعد من أهم رواد الشعر العربي الحديث.

ودافع سعدون جابر عن نفسه، بأنه أخذ موافقة شفهية من ابن السياب وزوجته، الأمر الذي نفاه الاثنان معًا. وتسير القضية في مصلحة أسرة الشاعر الراحل، استنادًا إلى نصوص في القانون العراقي.

اغتيال بالاشوف

في غمرة موجة الاغتيالات التي اجتاحت روسيا مؤخرًا، أعلن في موسكو في الأسابيع الماضية، عن اغتيال المؤرخ الروسي الشهير دميتري بالاشوف، في منزله القروي بضواحي مدينة نوفغورود. ولم تعلن السلطات الأمنية سبب الاغتيال، أو الجهات التي تقف وراءه؛ انتظارًا لما سيسفر عنه التحقيق.

وكان بالاشوف، البالغ من العمر ٧٢ عامًا، قد كتب أكثر من ٢٠ مجلدًا عن تاريخ روسيا القديم وأيام القياصرة.

الشيرازي في ملتقى عربي - إيراني

أقامت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، بالتنسيق مع رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية بطهران «ملتقى سعدي الشيرازي» الذي شارك فيه قرابة ٥٠٠ شاعر وكاتب عربي وإيراني، وذلك في الفترة من الثالث حتى الخامس من شهر يوليو/ تموز الماضي.

الشيرازي

افتتح الملتقى الرئيس الإيراني محمد خاتمي، وقال في كلمته المطولة: «إن التراث المعنوي الذي خلفه سعدي في الثقافة الإيرانية، والعالمية، هو مزيج من جميع المكتسبات الطيبة والعقلانية التي كان العقل الجمعي البشري في ذلك العصر قد توصل إليها، فقد كانت الهند وإيران والعالم العربي وشمال إفريقية، هي المجال الواسع الذي طوته أفكار سعدي، فاقتطف من كل بستان زهرة حتى أوجد «كلستان» حديقة ورد متعددة الألوان والعطور لا يزال الكثير يشتاقون لأريجها الفواح».

وأقيم على هامش الملتقى ندوتان: الأولى بعنوان «التأثير المتبادل بين الشعر العربي والفارسي»، والثانية بعنوان «العلاقات الثقافية بين إيران والعرب، الحاضر وآفاق المستقبل»، وأقيمت أمسيتان شعريتان. وشهد الملتقى أيضًا ترجمة أشعار سعدي الشيرازي إلى العربية وطباعتها.

ولد الشاعر مشرف الدين مصلح الملقب بسعدي الشيرازي في أوائل القرن السابع الهجري في مدينة شيراز، وسافر منذ صباه إلى مدينة بغداد عاصمة العباسيين، حيث درس العلوم الأدبية والدينية في المدرسة النظامية، التي كانت خاصة بأتباع المذهب الشافعي، ثم طاف بعد ذلك في بلاد العراق، والشام، والحجاز، وكان ذلك في أواسط القرن السابع للهجرة، ثم رجع إلى شيراز، وقضى فيها زمنًا طويلاً في خانقاه «دويرة الصوفية» حتى وافاه الأجل سنة ٦٩١هـ تقريبًا ودفن هناك. وقد عاصر سعدي الشيرازي الغزو المغولي لبغداد، وكتب قصيدة في رثاء المدينة التي دمرها المغول.

عُدّ الشيرازي أحد أهم شعراء الفارسية، وقد عُرف بقصائده «الملمعات» وهي استخدام أكثر من لغة في القصيدة الواحدة «فارسية - تركية - إيرانية».

ومن مؤلفاته «البوستان»، وكتاب منثور بعنوان «كلستان» أو «روضة الورد» في المواعظ والحكم مرصعًا بمقطوعات شعرية، ومن آثاره النثرية أيضًا «نصيحة الملوك»، و«رسالة في العقل والعشق».

أول فرع لصندوق الإمام البخاري

عقد فرع الصندوق الدولي للإمام البخاري، الذي أنشئ مؤخرًا بالقاهرة - وهو أول فرع للصندوق خارج أوزبكستان - أول مجلس تأسيسي له حضره عدد كبير من الأساتذة، وعلماء الدين، ورجال الأعمال، وانتخب الدكتور عبدالله سعد رئيسًا له.

والمعروف أن هذا الصندوق أنشئ بمبادرة من الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف، بهدف إحياء التراث الإسلامي لأوزبكستان، ومعرفة دورها وإسهامات أبنائها عبر التاريخ الإسلامي، كالإمام البخاري، والإمام الترمذي، والنسائي والبيهقي، والبيروني، وابن سينا والخوارزمي وغيرهم.

ويعمل الدكتور عبدالله سعد حاليًا في إعداد موسوعتين عن الجمهوريات الإسلامية: الأولى عن آسيا الوسطى، وصل عدد مجلداتها الآن إلى ستة مجلدات، وتناولت نحو ثلاثة آلاف عالم، أنجبتهم أكثر من تسعمئة مدينة وقرية في جمهوريات آسيا الوسطى.

أما الموسوعة الثانية، فهي باللغة الروسية، وعنوانها: الإسلام والعالم الإسلامي. وهي موسوعة ضخمة، تتحدث عن الإسلام، شريعةً وعقائد، وعبادات وأخلاقًا، وآدابًا، كما تتحدث عن التاريخ الإسلامي. وسوف تتم ترجمتها لتصدر بالعربية قريبًا.

ترجمة معاني القرآن الكريم إلى ٣٠ لغة

قامت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد - عن طريق مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - بترجمة معاني القرآن الكريم إلى ٣٠ لغة عالمية، بهدف خدمة المسلمين الناطقين بغير اللغة العربية، وكذلك غير المسلمين الراغبين في معرفة حقيقة الإسلام من منبعه الأصيل.

وتشمل هذه اللغات: «الأوردية»، و«الأرومية» وهي إحدى اللغات السائدة في أثيوبيا - وهي لغة لا تكتب، لذا أعدت الترجمة على شرائط مسموعة. ثم الإسبانية، والإندونيسية، والإنجليزية، ولغة«الأنكو» التي يُتحدث بها في عدة دول في غرب إفريقية، وكان المنصرون قد وضعوا لها حرفاً جديداً لترويج كتبهم، فجاءت الترجمة بهذا الحرف الجديد، واللغة «الأويغورية» وهي لغة تركستان الشرقية «مقاطعة سنكيانج» وغير ذلك من اللغات.

رحيل خالد الماغوط

توفي في مدينة سلمية السورية عن عمر يناهز السابعة والستين عاماً، الباحث العلمي الدكتور خالد الماغوط، مدير معهد التراث العلمي بجامعة حلب، ورئيس الجمعية السورية لتاريخ العلوم عند العرب.


خالد الماغوط

وكان الباحث الراحل قد شغل - بعد تخرجه في جامعة السوربون في أوائل الستينيات - عدداً من المناصب العلمية، منها الوكيل العلمي لجامعة حلب، وعميد كلية العلوم والاقتصاد فيها. ثم تولى إدارة معهد التراث العلمي بجامعة حلب منذ تأسيسه في بداية الثمانينيات حتى وفاته.

وشارك في عدد من المؤتمرات العلمية، في كثير من دول العالم. وعمل أستاذاً في قسم تاريخ العلوم الإنسانية، وله عدد من المؤلفات في مجال الرياضيات، وله كذلك في هذا المجال سبع نظريات مسجلة باسمه، وخوارزميات ما زالت تدرس في قسم الرياضيات بجامعة حلب، وقد درج الباحث الراحل على نشر أبحاثه بشكل مستمر في جامعة السوربون بفرنسا.

اكتشافات في شندي

تمكن علماء آثار من الهيئة القومية للآثار والمتاحف السودانية وقسم الآثار بجامعة شندي الواقعة في شمال السودان، من اكتشاف مقابر أثرية يرجع تاريخها إلى العصر الحجري الحديث «٦٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ ق.م».


من آثار متحف السودان القومي

وقد شملت الآثار، المكتشفة بموقع «قلعة شنان» - الذي أجريت فيه الحفريات - هيكلاً لرجل من العصر الحجري الحديث، يلبس في يده اليمنى سواراً من الحجر الأسود، وفأساً حجرياً يعرف باسم «القاووج»، إضافة إلى فخاريات وعظام وأدوات حجرية.

وقد صرح مدير الهيئة القومية للآثار بأن الهيئة قامت بالمسح والتنقيب الأثري، في عدد من جهات السودان المختلفة، وهي بصدد تكملة الخريطة الآثارية لعموم السودان.

وثائق يوليو المفقودة

يردد المؤرخون وأساتذة التاريخ تساؤلاً عن مكان وجود وثائق ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م، دون أن يجدوا له إجابة محددة!! وذكر المسؤول بدار الكتب، الدكتور محمد صابر عرب، أن وثائق الثورة موجودة، لكنها مبعثرة بين مجموعة من الجهات ليست من بينها دار الوثائق، على الرغم من أنها الجهة المعنية بحفظ الوثائق.

وأوضح أن على الجهات الأخرى والشخصيات التي لديها تلك الوثائق، أن تسارع إلى تسليمها إلى دار الوثائق للحفاظ عليها؛ لكونها ملكاً للباحثين، والتاريخ والشعب.

وأعرب أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة القاهرة الدكتور عبدالمنعم الجميعي من جانبه، عن أسفه لكون وثائق ثورة يوليو مجهولة المكان، مشيراً إلى أن الوزارات السياسية، لا تبعث بوثائقها إلى دار الوثائق.

أما الدكتور عبدالعظيم رمضان، فقد رأى أن هناك خلطاً في موضوع الوثائق ومعناها، وفي رأيه: أن ثورة يوليو لم تصدر الأوراق المهمة في وثائق رسمية، كما تفعل الحكومات. وأعرب العميد السابق لآداب عين شمس، الدكتور رمضان عبدالتواب، عن اعتقاده بأن الوثائق موجودة في مجلس قيادة الثورة، لكنه تساءل عن بقية الوثائق، مشيراً إلى أنه يفترض أن تقوم لجنة كتابة التاريخ الحديث بالسؤال عن هذه الوثائق.

الكرمل والثقافة الأجنبية

صدر العدد ٦٤ من مجلة «الكرمل» الفصلية لصيف ٢٠٠٠م، متضمناً مجموعة كبيرة من المقالات والدراسات

المتنوعة: فجاء في باب الدراسات ست دراسات عربية مترجمة في الأدب والفلسفة، فكتب فيل سليتر، دراسة عنوانها «علم الجمال عند مدرسة فرانكفورت»، وتناول عبدالكريم درويش موضوع «فاعلية القارئ في إنتاج النص/ المرايا اللامتناهية»، وأتت الدراسات لكل من نورمان فيركلو بعنوان «الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية»، وشحاتة محمد عبدالمجيد عن «سردية البساطي أو الخطاب الروائي في رواياته» مع إيراد قصة «الطرحة الأخيرة» أنموذجًا من قصص البساطي، ولفيصل دراج دراسة عنوانها «أرض السواد/ ذاكرة التاريخ وتاريخ الذاكرة»، ولمارجوري بيرلوف دراسة بعنوان «البخار الوزني والتشكيل البساطي».

وتضمن العدد جزءاً من حوار مع الكاتب المسرحي السوري الراحل، سعد الله ونوس، بمناسبة الذكرى الثالثة لوفاته. وفي باب المختارات، حوار آخر مع الكاتب الفرنسي فرنسيس بونج مقتبس من «الماغازين» حيث نُشر عام ١٩٨٨م مع نصوص مختارة لبونج. وفي باب السيرة جزء من سيرة حسين البرغوثي بقلمه تحت عنوان «الضوء الأزرق»، كما اشتمل العدد على مجموعة أخرى من المقالات: فكتب أوري رام «الموقف من الكولونيالية في الاجتماع الإسرائيلي»، وكتب حسن خضر «ديفيد جروسمان: قلوب مصفحة وعقول معاقة».



الكرمل

كما تضمن العدد عروضاً لمجموعة من الكتب التي وردت إلى المجلة: فكتب فخري صالح عن «وليمة لأعشاب البحر: الرواية والتكفير»،وصبحي حديدي عن «لورانس داني ومؤسسات الحداثة والنخب الأدبية والثقافية العامة».

وصدر العدد الجديد من فصلية «الثقافة الأجنبية» حافلاً بترجمة الآداب الأجنبية، فهناك ثلاث دراسات مترجمة هي: «ملامح من نشأة الأدب في جنوب إفريقيا»، و«الفلسفة التأويلية لدى هانز غدامر والشروط اللازمة لفهم ثقافة الماضي» لديفيد هوي، و«إشكالية السياق في التأويل» لريتشارد ليفن، إضافة إلى الدراسات المنشورة في باب (رؤى)، منها دراسة بعنوان حضارة وادي الرافدين/ الفن والتأثير في ميلاد العالم»، وتحليل لقصيدة فيليب لاركن كتبها آلان رودوي.

وفي باب الفنون التشكيلية: دراسة بعنوان «المرسم الصامت» لديفيد دنكان، و«رؤية جديدة في غرنيكا لبيكاسو» لمارك روسكل.

وأخيراً ترجمة تفردت بها الثقافة الأجنبية للنص الكامل لكتاب «تحقيقات صغرى داخل إطار المنطق الرياضي في مشكلات اللغة البشرية» وهو آخر ما كتبه تشومسكي.

إضافة إلى الأبواب الثابتة في الترجمات الشعرية والقصصية والمسرحية.

الجائزة الأولى للنعنع البري


أنيسة عبود

فازت رواية «النعنع البري» للروائية السورية أنيسة عبود، بالجائزة الأولى في مسابقة الرواية العربية التي ينظمها المجلس الأعلى للثقافة والعلوم بمدينة القاهرة، وتبلغ قيمة الجائزة ألفي جنيه مصري، وتعد هذه الرواية سادس إصدارت المؤلفة بعد ديوانها الشعري «أقاصيص الأسئلة» ومجموعة قصص قصيرة بعنوان «تفاصيل أخرى للعشق» وثلاثة أعمال أخرى. ويتوقع أن تصدر لها رواية جديدة بعنوان «باب الحيرة».

حوار الحضارات

نظمت الجمعية الدولية للأبحاث حول السلام في مدينة (فامبيري) الفنلندية في مطلع شهر أغسطس/ آب الماضي، ملتقى حوار بين الحضارات تحت شعار «تحديات السلام في القرن الحادي والعشرين.. حوار بين الحضارات» شارك فيه عدد من الباحثين؛ كالمغربي مهدي المنجرة، وأروسولا أوسفاليد مديرة الأبحاث حول التنمية المستديمة في المكسيك.

وترأست رئيسة فنلندا تاديا هالونين الجلسة الأولى المخصصة لموضوع «حوار الحضارات لا تصادمها»، كما قدم عمدة هيروشيما رسالة بمناسبة الذكرى الـ ٥٥ لإلقاء القنبلة الذرية على مدينة هيروشيما.

رحيل المعلمي

توفي بالرياض في ٢٦ جمادى الأولى الماضي الأديب السعودي الفريق يحيى بن عبدالله المعلمي عن عمر يناهز ٧٤ عاماً بعد معاناة مريرة مع المرض.

ولد المعلمي عام ١٣٤٧هـ في جازان، حيث تلقى تعليمه الأولي، ثم التحق بالمسجد الحرام، وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بمكة المكرمة، وتخرج برتبة ملازم ثان في مدرسة

الشرطة عام ١٣٦٧هـ، وتدرج في السلك العسكري لمدة ٣٥ عاماً إلى تقاعده وهو مدير عام للسجون.

وللمعلمي إسهامات أدبية متنوعة، إذ تجاوزت كتبه ودراساته الستة والعشرين كتاباً أهمها: «أخطاء مشهورة»، و«لغة القرآن»، و«صور من التاريخ»، و«الإعلام في القرآن» و«الوجيز في النحو»، و«المرأة في القرآن»، وكان آخرها «مكارم الأخلاق في القرآن الكريم» الذي صدر عن النادي الأدبي بحائل قبل أربعة أعوام.


يحيى المعلمي

عرف عن الأديب الراحل حبه للغة العربية الفصحى ودفاعه عنها، وقد قال عن نفسه: «إنني وديع في تعاملي مع الناس ولكن إذا هوجمت أسس الدين واللغة تتحول وداعتي إلى حماسة»، وقد بذل جهداً كبيراً من أجل إنشاء مجمع اللغة العربية في المملكة، وقد أوشك أن ينجز ذلك، فقد أعلن قبل وفاته قرب إنجاز هذا المجمع في مدينة الرياض.

ونال الأديب الراحل العديد من الأوسمة والأنواط، كما تقلد مناصب في عدد من الهيئات والمؤسسات الثقافية والأدبية فكان عضواً في مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وكان يشغل فيها منصب رئيس المكتب الإقليمي في الرياض، كما كان عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة. وقد كرمته الدولة بمنحه وسامي الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى والثالثة.

أعداء ممدوح عدوان

صدر عن شركة رياض الريس للكتب والنشر ببيروت رواية «أعدائي» للشاعر السوري ممدوح عدوان، وهي أول تجربة روائية له، وكان عدوان قد قام سابقاً بتعريب بعض الروايات العالمية، وتدور أحداث الرواية عن فترة الحكم العثماني، والصراع بين القوميات والأنظمة والمشارب والأهواء، في تلك الفترة، وعن الأيام الحرجة لنهاية الدولة العثمانية التي تداخلت فيها رغبات التحرر العربي بنيات الاستعمار، تمهيداً لقيام الكيان الصهيوني، واقتراب الفترة التي شهدت ولادة الشرق الأوسط.

ممدوح عدوان

وللشاعر ١٧ مجموعة شعرية، و٢٣ نصاً مسرحياً، و٢٢ كتاباً مترجماً عن الإنجليزية.

كتب إلكترونية

النشء العربي على موعد في هذا الشهر مع أول مجموعة من نوعها في كتب التقنية ترمي إلى نشر الوعي الإلكتروني باللغة العربية، بعد أن كان ذلك في الماضي مقتصراً على فئة قليلة، أتيحت لها فرصة تعلم اللغة الإنجليزية مبكراً.

سلسلة مرحبا يا صغيري

وأوضح مهندس الإلكترونيات الليبي سالم محمد شمبش، مؤلف هذه السلسلة في تصريح لصحيفة الشرق الأوسط الصادرة بتاريخ ٥ أغسطس/ آب الماضي «أن هذه السلسلة من الكتب إنما هي خطوة أولى لخطة طويلة الأمد، ترمي إلى تنمية القدرات الفكرية لدى النشء العربي، ونشر الوعي التقني الإلكتروني بينهم. وستتبعها سلاسل أخرى، بالإضافة إلى حلقات كرتونية، تصمم بطريقة مشوقة، تعتمد على الرسوم الثلاثية الأبعاد، بمشاركة مختصين، لتوظيف التسلية من أجل التعليم».

ومن المقرر أن تبدأ هذه السلسلة التي أطلق عليها اسم «مرحبا يا صغيري» بثلاثة أجزاء هي: «هيا نتعارف»، و«هيا ننفذ»، و«هيا نرسم»، وستوزع في ليبيا أولاً، ثم على باقي الأسواق العربية، فيما بعد بأسعار معقولة، حتى تكون في متناول أكبر عدد من النشء العربي.

مخطوط نادر للفيروزآبادي

«تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين» هذا هو عنوان الكتاب الذي صدر عن الدار المصرية اللبنانية للفيروزآبادي(ت:٨١٧هـ) صاحب كتاب القاموس المحيط. قام بتحقيقه أحمد عبدالله باجور، وذكر أنه عثر على مخطوطة الكتاب في مكتبة المخطوطات بالمسجد النبوي، وهو لم ينشر، محققاً تحقيقاً علمياً، وإن كان قد طبع مرتين الأولى في عام ١٩٢٧م في القاهرة، والثانية في سنة ١٣٢٧هـ في الجزائر.

ولد الفيروزآبادي في كازرون قرب شيراز سنة ٧٢٩هـ، وانصب اهتمامه على علوم اللغة فبرع فيها، ويعد كتابه «القاموس المحيط» من أشهر المصنفات في مجال اللغة، وله

مؤلفات أخرى مثل كتاب «شرح الفاتحة» الذي ألّفه في ليلة واحدة، وآخر من عدة مجلدات في «الأحاديث الضعيفة» و«أسماء الخمر»، و«ترقيق الأسل في تصفيق العسل»، وهي كراريس ألّفها في ليلة واحدة أيضاً، وقد عرف عن الفيروزآبادي، جمال خطه، مع سرعة في الكتابة، وسرعة في الحفظ، حتى قال عن نفسه «ما كنت أنام حتى أحفظ مئتي سطر».

التوحيد في باريس

أقام معهد العالم العربي في باريس خلال شهر أغسطس/آب الماضي معرضاً بعنوان «معرض التوحيد» ضم مجموعة كبيرة من اللوحات الزيتية، والصور الضوئية (الفوتوغرافية) عن البيئة الصحراوية، والبيئة الحضرية، والعادات والتقاليد في المملكة العربية السعودية. وقد شغلت مقتنيات المعرض مساحة طابقين في متحف الفن العربي المعاصر في المعهد.

ويجيء هذا المعرض ضمن الفعاليات الثقافية لمدينة الرياض، بوصفها عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٠م، وتحتفي مادته بمرور مئة عام على توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله.

أنجز لوحات هذا المعرض الفنان الأمريكي الراحل جيرهارت ليبمان الذي بدأ اهتمامه بالمملكة منذ وقت مبكر، ظهر ذلك في لوحاته عن المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وغيرهما من المساجد. كما اهتم بالعادات والتقاليد كسباق الهجن في «الجنادرية»، والعمائر مثل قصر الخرج، والبيوت البرجية في الفيان (عسير).

وتعد لوحاته عن شلالات عسير وبركها ومرتفعاتها، من أجمل ما رسم، وبعد وفاة ليبمان كلف المصور الفوتوغرافي البرازيلي أمبيرتو داسيليفيرا برصد مواقع اللوحات الزيتية ليعرض صورها مع الصور الفوتوغرافية بغرض التحول من «الخيال إلى الواقع» كما يرمي منظمو المعرض.

وكانت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة قد ساهمت في إقامة هذا المعرض أولاً في الرياض، ثم في بيروت لتكون باريس محطته الثالثة.

مستقبل الثقافة في العالم العربي

من المقرر أن تستضيف مدينة الرياض على مدى ثلاثة أيام في أكتوبر/ تشرين أول المقبل، ندوة بعنوان «مستقبل الثقافة في العالم العربي» ترمي إلى تحقيق وعي أفضل، بواقع الثقافة في العالم العربي، وتعميق الإحساس بأهميتها والتشجيع على تنميتها، وتناقش فيها المشكلات التي تواجه الثقافة، ووضع الحلول المناسبة لتفاديها. ومن المقرر أن يشارك في الندوة ١٣٩ شخصية من داخل السعودية وخارجها، وتتركز أعمال الندوة في ثلاثة محاور تمثل واقع الثقافة في العالم العربي، وآفاق المستقبل، وأبعاد ثقافية عالمية.

وتشرف على تنظيم هذه الندوة مكتبة الملك عبدالعزيز العامه في إطار الاحتفالات باختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٠م.

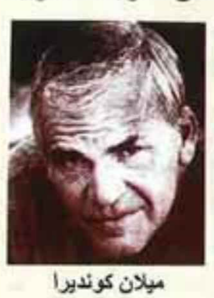
مقتنيات نادرة بمكتبة الإسكندرية

قال محسن زهران المدير التنفيذي لمشروع إحياء مكتبة الإسكندرية: إن عدد المخطوطات والكتب النادرة في جميع العلوم التي ستضمها المكتبة المقرر افتتاحها في أوائل العام المقبل، يبلغ ٦٠ ألف مخطوط وكتاب، و٤٠٠ ألف مجلد، إضافة إلى ٥٠ ألف خريطة. وستضم المكتبة عدداً من المتاحف مثل متحف العلوم، ومتحف الخطوط، والمتحف الأثري، بالإضافة إلى المعهد الدولي لدراسة المعلومات.

وتقع المكتبة على مساحة ٨٥.٤٠٥ أمتار مربعة وتضم ١١ طابقاً بارتفاع ٣٣ متراً، وتكلف المرحلة الأولى من إنشاء المكتبة، التي شملت الأساسات وأعمال التربة، ٥٩ مليون دولار.

الخلود بالعربية

صدر مؤخراً عن دار «ورد» في دمشق الترجمة العربية لرواية «الخلود» للكاتب التشيكي ميلان كونديرا، وقد قام بالترجمة روز مخلوف، وجاءت في ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسط.


ميلان كونديرا

يذكر أن كونديرا كتب عدداً من الروايات بالفرنسية أهمها «المزاح»، و«فالس الوداع»، و«الحياة في مكان آخر»، ونشر مؤخراً كتاباً بعنوان «الهوية».

رحيل قسطنطين زريق

توفي في بيروت في الثاني عشر من أغسطس/ آب الجاري، عن عمر يناهز ٩١ عاماً الكاتب والمفكر اللبناني السوري الأصل الدكتور قسطنطين زريق.

ولد قسطنطين زريق في القيمرية بدمشق عام ١٩٠٩م، من عائلة أرثوذكسية، وتلقى تعليمه الأولي بدمشق، وانتقل

إلى بيروت لتلقي علومه الجامعية في الجامعة الأمريكية هناك، ومن ثم انتقل إلى أمريكا لاستكمال دراساته.

كان للمفكر الراحل أثر كبير في تأسيس عدد كبير من الهيئات العلمية والثقافية مثل: «العروة الوثقى»، و«النادي الثقافي العربي»، و«مؤسسة الدراسات الفلسطينية»، وقد تتلمذ له الآلاف من الطلاب في جامعة دمشق، وفي الجامعة الأمريكية في بيروت، وتأثر بأفكاره عدد من طلابه الذين أدوا أدواراً في مجتمعاتهم مثل جورج حبش وبرهان دجاني (فلسطين)، وجورج طعمة، وهاني الهندي (سورية)، وأحمد الخطيب (الكويت)، وحمد الفرحان (الأردن)، ونديم دمشقية ورامز شحادة وهشام نشابة (لبنان).

قسطنطين زريق

وتولى عدداً من المناصب الدبلوماسية والأكاديمية منها: رئاسة الجامعة السورية (١٩٤٩-١٩٥٢م)، ورئاسة الجامعة الأمريكية بالوكالة (١٩٥٤-١٩٥٧م)، ليكون العربي الوحيد الذي يسند إليه هذا المنصب، كما اختير منذ عام ١٩٧٠م رئيساً فخرياً مدى الحياة للاتحاد الدولي للجامعات، وبقي حتى وفاته رئيساً فخرياً لعدد من المؤسسات الأكاديمية والثقافية المعروفة.

وواكب زريق القضية الفلسطينية منذ بدايتها، ورفض عدداً من المناصب السياسية منها رئاسة الوزارة السورية في عهد أديب الشيشكلي، وسخَّر كل جهده ووقته للفكر والبحث، فخلَّف دراسات جليلة، وعدداً من الكتب والمقالات في موضوعات القومية العربية وفلسطين بشكل خاص منها: «الوعي القومي» (١٩٣٩م)، و«معنى النكبة» (١٩٤٨م)، و«أي غد؟» (١٩٥٧م)، و«نحن والتاريخ» (١٩٥٩م)، و«هذا العصر المتفجر» (١٩٦٣م)، و«في معركة الحضارة» (١٩٦٤م)، و«معنى النكبة مجدداً» (١٩٦٧م)، و«نحن والمستقبل» (١٩٧٧م)، و«مطالب المستقبل العربي» (١٩٨٣م)، و«من بعيد ومن قريب» (١٩٩٤م)، و«ما العمل؟» (١٩٩٨م).

وكان مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت قد قام بالتعاون مع مؤسسة عبدالحميد شومان، بجمع أعماله الفكرية العامة وإصدارها في أربعة مجلدات.



الحيل في الحروب

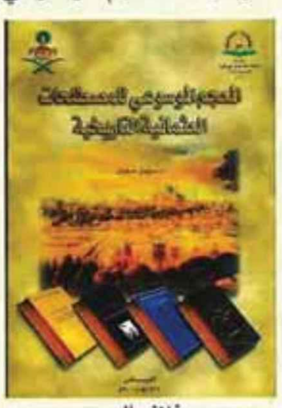
صدر مؤخراً عن مركز تحقيق التراث في دار الكتب والوثائق القومية المصرية، كتاب «الحيل في الحروب وفتح المدن وحفظ الدروب» تأليف محمد بن منكلي الناصري، نقيب الجيش المصري المملوكي في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

اعتمد محقق الكتاب الدكتور نبيل محمد عبدالعزيز أحمد، في تحقيقه على ثلاث نسخ، أهمها نسخة من مكتبة السلطان أحمد الثالث العثماني بإستانبول، ونسختان من الرباط بالمغرب، الأولى محفوظة بالمكتبة العامة، والثانية في المكتبة الملكية المغربية.

وتناول الكتاب عدداً من العلوم وتطبيقاتها، كالهندسة والكيمياء والصيدلة والجغرافيا والميكانيكا والتعدين والتربية والإدارة والتنظيم والمالية.

معجم للمصطلحات العثمانية

صدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» من تأليف الدكتور سهيل صابان، الباحث في مصادر الدراسات العثمانية في المكتبة.



غلاف المعجم

وتكمن أهمية هذا المعجم، في تزايد الاهتمام بالدراسات التاريخية في المصادر العثمانية حول العالم الإسلامي والعربي وتاريخ المملكة؛ مع ندرة المراجع المعجمية التي قد يحتاج إليها الباحثون في المصادر العثمانية.

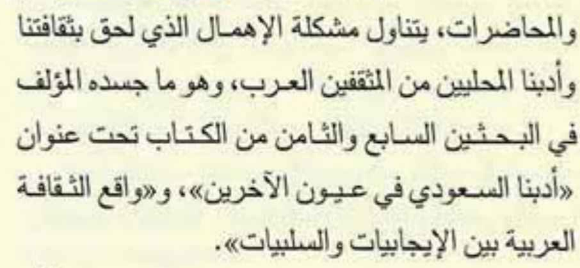
وقد جمع المؤلف مادة المعجم البالغة (١١٥٠) مصطلحاً ومادة تاريخية، من المصادر التاريخية والمراجع والوثائق العثمانية، وكتب التاريخ المعربة، وغيرها من المصادر العثمانية القديمة والتركية الحديثة. وغطت المصطلحات كثيراً من الحقول التاريخية سواء كانت في المجالات الإدارية، أو الاجتماعية، أو المالية، والاقتصادية أو الجغرافية والعسكرية.

ويقع المعجم في (٢٣٠) صفحة من القطع المتوسط، وقد رتبت مواده: حسب الترتيب الألفبائي للحروف العربية، ومقابلاتها بالإملاء التركي، والتعريف الوافي بالمصطلحات، مع ذكر المراجع تحت كل مادة.



الحازمي، منصور إبراهيم/ الوهم ومحاور الرؤيا: دراسات في أدبنا الحديث.. الرياض: دار المفردات، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٣٣٢ص.

هذا الكتاب الذي يجمع بين دفتيه عدداً من البحوث والمحاضرات، يتناول مشكلة الإهمال الذي لحق بثقافتنا وأدبنا المحليين من المثقفين العرب، وهو ما جسده المؤلف في البحثين السابع والثامن من الكتاب تحت عنوان «أدبنا السعودي في عيون الآخرين»، و«واقع الثقافة العربية بين الإيجابيات والسلبيات».



ويتساءل الحازمي - في هذا الإطار - تساؤلاتٍ كثُر تكرارها فيقول: «هل الأدب الذي ينتج في بلادنا لم يعرف حقًا خارج الحدود؟... أوَ ليس من المؤسف حقًا أن يموت العواد وشحاته والقنديل والفلالي، وأخيراً السباعي (كان ذلك من سنوات) من غير أن يحس بهم أحد في البلدان المجاورة؟... هل انتشار الأدب خارج حدوده الإقليمية يرجع إلى قيمته الفنية، أم إلى وسائل ذيوعه وانتشاره، أم إلى وعي القارئ وثقافته، أم إلى كل هذه العوامل مجتمعة، وعوامل أخرى لم نذكرها؟».

وجعل المؤلف البحوث الستة الأولى من الكتاب بمنزلة التقديم والتعريف به وبأدبنا المحلي، توجه به إلى من لا يعرف عن أدبنا إلا القليل: فجاء أولها بعنوان «لمحات من أدبنا السعودي المعاصر»، والثاني عن «حركات التجديد في الأدب السعودي الحديث»، تلاه بحث «من معاركنا النقدية»، ثم ثلاثة بحوث تدور حول الرواية والقصة القصيرة أولها «مكة المكرمة في قصص أبنائها المبدعين» وأبرزهم: السباعي ودمنهوري وبوقري، ثم «أضواء على تطور القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية»، ثم «البيئة المحلية في قصة أحمد السباعي».



مجموعة باحثين/ التحولات الديمقراطية في آسيا.. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ١٩٩٩م، ١٦٤ص.

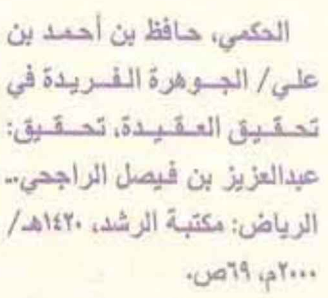
يضم الكتاب مجموعة من البحوث التي نوقشت في المؤتمر السنوي الثاني للشباب الباحثين الذي عقده مركز الدراسات الآسيوية بجامعة القاهرة في ٨ نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٩٧م، وكان موضوع البحوث عن ظاهرة التحول الديمقراطي في بعض الدول الآسيوية في حقبة ما بعد الحرب الباردة، وذلك بعد سقوط النظم الشيوعية في شرق أوربا والاتحاد السوفييتي، وقد تطرق الكتاب إلى خمس من هذه الحالات هي: باكستان والفلبين وكوريا الجنوبية وتايوان وميانمار.

مجموعة باحثين/ مكافحة الإرهاب.. الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ٢٤٤ص.

يحتوي الكتاب على عددٍ من البحوث التي أعدتها مجموعة من المختصين العرب في مجال مكافحة الإرهاب، وقُدمت في الندوة التي أقامتها أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بعنوان «مكافحة الإرهاب». وأجمعت تلك البحوث المقدمة على إيجاد آليات ووسائل مناسبة لمكافحة الإرهاب، ومعالجة الأخطار الناجمة عنه على الصعيدين العربي والدولي؛ وقد تناول الباحثون واقع الإرهاب واتجاهاته وأسباب انتشاره، كما ناقشوا دور المؤسسات الاجتماعية والأمنية في مكافحة الإرهاب، ودور التعاون العربي والدولي في مكافحته.

وختم الكتاب بإيراد عدد من التوصيات التي تمخضت عن الندوة، والتي ترمي إلى المساهمة في الوصول إلى حلول علمية وعملية تخفف من آثار هذه الظاهرة، وتجنب الأمة العربية والإسلامية - وبقية الدول - مخاطرها.





فتح الرحمن، يوسف محمد (وآخرون)/ معجم عربي ـ هوسا بالحـرف القـرآني.. الرباط: المنظمة الإسلاميـة للتربيـة والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ١٣٩ص.

تعد لغة الهوسا من أكثر اللغات الأفريقية انتشاراً، فهي تمتد غرباً من بلاد السنغال إلى مرتفعات الحبشة شرقًا، فلا تكاد دولة من دول الحزام السوداني إلا ويتكلم بعض مواطنيها لغة الهوسا، ويأتي هذا المعجم، الذي يعد الأول من نوعه في هذا المجال، ضمن اهتمامات المنظمة بنشر الحرف القرآني والاهتمام بلغات الشعوب الإسلامية.

الربيـعي، فـاضل/ كـبش المحرقة: نموذج لمجتمع القوميين العـرب.. بيـروت: دار رياض الريس للكتب والنشـر، ١٩٩٩م، ٣٢٢ص.

الكتاب هو رواية المعادلة مقلوبة رأسًا على عقب، تظهر بشكل يختلف عن معرفتنا للنظام التضحوي الأسطوري وذلك من خلال تقديم الشعب نفسه قـربانًا من أجل الفـرد، بدل أن يكون الفـرد قـربانًا عن الجماعة.

واختار الكاتب حركة القوميين العرب نموذجًا في إطار نظرة سوسيولوجية مبرهنًا على الترابط الوثيق بين السياسة والميثولوجيا (علم الأساطير) في المجتمعات العربية.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى خمسة فصول هي: «على مذبح الجماعة البشرية»، و«الذئب والمغارة»، و«اقتصاد العنف»، و«عودة الفرد الضال»، و«الفرد والوثن».

وختم الكتاب بفهارس للأعلام والأماكن التي ورد ذكرها في الكتاب.

الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي/ الجـوهرة الفـريدة في تحـقـيق العـقـيـدة، تحـقـيق: عبدالعزيز بن فيصل الراجحي.. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ٦٩ص.

«الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة» دالية الشيخ حافظ الحكمي (ت١٣٧٧هـ)، في العقيدة وتقع في (٢٩٦) بيتًا، ومطلعها:

الحمد لله لا يُحصى له عدد

ولا يحيط به الأقلام والمدد

وقد طبعت هذه المنظومة من قبل مرتين الأولى: على نفقة جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز ـ رحمهما الله ـ عام ١٣٧٣هـ في (١٩) صفحة، بمطابع البلاد السعودية بمكة المكرمة، والثانية: طبعت ضمن مجموعة باسم «كفاية الإحسان، من القصائد الغرر الحسان» جمع: محمد أحمد سيد أحمد عن دار ابن القيم بالدمام عام ١٤٠٩هـ.

وأتبع المحقق هذه القصيدة بثلاث منظومات الأولى: لامية الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي (ت٥٧٦هـ)، في (٦٨) بيتًا. والثانية: رائية العلامة أحمد بن مُشرِّف الأحسائي المالكي (ت١٢٨٥هـ) في نظم عقيدة الإمام عبدالله بن أبي زيد القيرواني المالكي (ت٣٨٦هـ) في رسالته المشهورة، في (٩١) بيتًا، والثالثة: لامية العلامة ابن مُشرِّف المذكور، المسماة «الشهب المَرْميّة على المُعطِّلة والجهميّة»، في (١١١) بيتًا.

وقد قدّم المحقق ترجمة لأصحاب المنظومات الأربع.





زحـلان، أنطوان/ العـرب وتحديات العلم والتقانة: تقدم من دون تغيير.. بيروت: مركز دراسـات الوحـدة العـربيـة، ١٩٩٩م، ٤٢٣ص.

هذا الكتاب دراسة للنشاطات الراهنة في الوطن العـربي في

حقول البحث العلمي والتقاني والقوة العاملة والمنظمات والسياسات العلمية، التي تحسب من القوة والسعة بمكان، ولكنها مع ذلك لا تزال غير قادرة على تحسين استخدامها للعلوم والتقانة المتوافرة لها.

يتناول المؤلف في تسعة فصول موضوعات: البحث العلمي في الوطن العربي مقياسه ونتاجه والأساس المؤسساتي للبحث والتطوير، والتعاون الإقليمي والدولي في مصادر المعلومات وارتباط العلم بالتقانة في الوطن العربي. أما على الصعيد الدولي فهناك أبعاد دولية وإقليمية للعلم والتقانة، ويتطرق المؤلف إلى التقانة والعلم الموجهين للدفاع، ويعرض للتحدي الإسرائيلي نموذجاً. وأخيراً يناقش المؤلف مستقبل العلم والتقانة في الوطن العربي.



الحمد، تركي/ الثقافة العربية في عصر العولمة. بيروت: دار الساقي، ١٩٩٩م، ٢١٥ص.

يقدم هذا الكتاب إجابة عن أهم سؤال يثار حول العولمة، يقول تركي الحمد: «ها هي العولمة الكاملة تفاجئنا كالعادة، بعد أن نضجت على نار هادئة ونحن في خضم أسئلتنا المعتادة ذاتها، وترتفع الأصوات محذرة بالخطر والذوبان في الآخر الذي كنا نعتقد أننا نقف إزاءه موقف الند للند، فما العمل؟ ليس هناك إلا عمل واحد، ألا وهو المشاركة في صنع الثقافة العالمية الجديدة، وإلا فإن الرفض المطلق لن يؤدي إلى أي نتيجة، بل إن مثل هذا الرفض هو الذي سيؤدي في النهاية إلى القضاء على الهوية والثقافة الذاتية».

وبعد التقديم للكتاب، قدم المؤلف حديثاً حول العولمة والثقافة الذاتية، ثم انتقل إلى هذا التساؤل: «هل من جديد في الفكر السياسي؟»، ثم تناول حوار الثقافات بين السياسة والتاريخ، بعده انتقل إلى الحديث عن الهوية الثقافية تحت عنوان «هوية بلا هوية: نحن والعولمة»، ثم تحدث عن تشكيل إطار معرفي جديد للثقافة العربية، تلاه الحديث عن إشكالية النخبة والجماهير في الفكر العربي المعاصر تحت عنوان «فكر الوصاية ووصاية الفكر»، ثم انتقل الحديث إلى المثقف العربي؛ أزمته ومواقفه من القضايا الكبرى ومعضلة العالمية، وأخيراً «تأملات في مسألة الهوية».



الأنصاري، محمد جابر/ التأزم السياسي عند العرب وسوسيولوجيا الإسلام: مكونات الحالة المزمنة. بيروت: دار الشروق، ط٢، ١٩٩٩م، ٢٠٨ص.

هذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب حيث تم تعديل اسمه من «التأزم السياسي عند العرب وموقف الإسلام» إلى «التأزم السياسي عند العرب وسوسيولوجيا الإسلام».

وقد قصد الكاتب بموقف الإسلام السوسيولوجي: قضايا تأسيس المدنية وإقامة الدولة وتحضير البادية في المجتمع الإسلامي الأول، ويتساءل الكاتب عن كيفية إغفال الفقهاء والمفكرين الإسلاميين هذه الرؤية، وإقامة الدولة، ومحاربة البداوة على الرغم من كونها في صلب الدعوة منذ بدايتها.

جاء القسم الأول عن إشكالية الدولة ودور الموروث السياسي في الأزمنة الممتدة، وقد قسمه المؤلف إلى أربعة فصول تناقش إشكالية الدولة عند العرب، والدولة وأعباء الجغرافيا والتاريخ والمجتمع.

وناقش القسم الثاني من الكتاب مفهوم الإسلام في البداوة والحضارة، وجاء في فصلين عن موقف الإسلام من البداوة، والعمق المشترك بين الديني والمدني في الإسلام.

أما القسم الثالث فجاء عن مفاهيم الحكم والحاكمية في الإسلام، وافتراق مدلولها المحدث عن الأصل القرآني.



الضبيعان، سعد بن عبدالله/ مكتبة أرامكو السعودية المتنقلة: الواقع والطموحات.- الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ١١٩ص.

يتحدث هذا الكتاب عن مبادرة شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو) إلى إنشاء مكتبة متنقلة، بدأتها سنة ١٤٠٢هـ واستمرت تقدم خدماتها في المنطقة الشرقية حتى سنة ١٤١٧هـ، ثم انتشرت هذه الخدمة في العام نفسه في بقية مناطق المملكة الأخرى ومحافظاتها.

قسم المؤلف كتابه إلى ستة فصول، جاءت على التوالي: «مدخل إلى الدراسة»، ثم «لمحة تاريخية»، و«استبانة أرامكو السعودية: النتائج وتحليلها»، و«استبانة إدارات التعليم»، و«استبانة مديري المدارس»، ثم «الخلاصة والنتائج والتوصيات»، وختم الكتاب بالملحقات والمراجع وكشاف الموضوعات والأعلام.

خضور، أديب/ الإعلام والأزمات.- الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ١٤٣ص.

من أهداف هذا الكتاب - كما يشير مؤلفه - إغناء الممارسة الإعلامية بفكر إعلامي نظري؛ مساهمة في رفع مستوى الأداء الإعلامي العربي، ووضع الممارسة الإعلامية العربية على أسس علمية تخلصها من الارتجال والانفعال والمزاج.

وقد عالج المؤلف ذلك في ثلاثة فصول: تعرض في الأول لأنواع الأزمات، وناقش في الثاني وضع «الإعلام في مواجهة الأزمات»، وجاء الثالث عن «دراسة حالة الإعلام الأمريكي في أثناء أزمة (حرب الخليج الثانية)».

المسدي، عبدالسلام/ العولمة والعولمة المضادة.- القاهرة، ١٩٩٩م، ٤٨٠ص (كتاب سطور؛ ٦).

يتناول هذا الكتاب مواجهة الثقافة العربية للنظام العالمي الجديد، ولم تكن السياسة أو الاقتصاد وحدهما مقصد المؤلف في هذا الكتاب، بل صبَّ اهتمامه على المسألة الثقافية بكل أبعادها، باستخدام المنهج السيميائي.

توزع الكتاب بين أربعة وعشرين فصلاً مقسمة في خمسة أبواب: الباب الأول منها بعنوان «مقدمات الخطاب» وهو أساس الكتاب، استعرض فيه عمل المحلل السيميائي، تلاه الباب الثاني «سيمياء التحليل»، ثم الثالث «سيمياء التفسير»، ثم الباب الرابع «سيمياء التأويل»، وأخيراً الباب الخامس «خواتم الاستشراف».



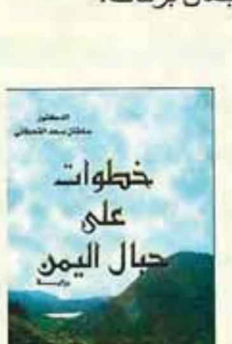
الجوادي، محمد/ مذكرات رجال الدبلوماسية المصرية من أجل السلام معارك التفاوض.- القاهرة: دار الخيال، ٢٠٠٠م، ٤٤٧ص.

الكتاب مذكرات لست من الشخصيات المهمة في الدبلوماسية المصرية، يتناول الصراع العسكري والدبلوماسي بين العرب وإسرائيل.

ينقسم الكتاب إلى ستة أبواب - بعدد كُتّاب المذكرات -: جاء الباب الأول بعنوان «زمن الانكسار والانتصار

مذكرات ديبلوماسي عن أحداث مصرية وعربية ودولية» للدكتور أحمد عصمت عبدالمجيد، والباب الثاني بعنوان «البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط» مذكرات محمود رياض، تلاهما الباب الثالث «السلام الضائع في كامب ديفيد» لمحمد إبراهيم كامل، ثم الباب الرابع «يا نفس لا تراعي» للسفير حسين ذي الفقار صبري، وفي الباب الخامس «شرخ في جدار الجامعة العربية» للدكتور عبدالوهاب العشماوي، وأخيراً الباب السادس «طرائف ديبلوماسية» للسفير جمال بركات.

القحطاني، سلطان سعد/ خطوات على جبال اليمن (رواية).. الرياض: مكتبة الصفحات الذهبية، ١٤٢١هـ، ٢٠٥ص.



«من ذلك اليوم أو الساعة التي هوت القنبلة على جسم تلك السيارة العجوز، تغير كل شيء، حتى اسمي الذي سمعت صوتاً يناديني به قبل ساعات قليلة، وكأن ذلك الصوت يودع اسمي لأستبدل به اسماً جديداً سيرافقني مدة ثمانية عشر عاماً، تنام فيه الذاكرة نومة أهل الكهف، وسيغير هذا الاسم كل شيء في حياتي، لأكون إنساناً جديداً، ليس فيه من الإنسان الأول إلا الهيكل وملامح الوراثة...»

هذا مقطع من أول عمل إبداعي للدكتور سلطان القحطاني، الأستاذ في كلية الآداب في جامعة الملك سعود، يقدم فيه رواية تصف حياة بطله محمد شرف الدين الذي فقد ذاكرته ثمانية عشر عاماً قضاها في اليمن. ويرصد هنا مناحي الحياة اليمنية المختلفة سواء في اللهجة، والأغنية، والعادات والتقاليد.

الدرعية (س٢، ع٨، شوال ١٤٢٠هـ/ فبراير- شباط ٢٠٠٠م)



مجلة فصلية محكمة تعنى بتاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية وتراث العرب.

جاء العدد الثامن من الدرعية حافلاً بمادة تاريخية وتراثية منوعة، فمن البحوث المنشورة في العدد: ما كتبه الشيخ حمد الجاسر عن «الإمام محمد بن علي الشوكاني وموقفه من الدعوة السلفية الإصلاحية»، وموقف ابن عبدالقادر في «اختلاف الروايات وأثره في توثيق النصوص وضبطها»، وكتب عقاب بن عبود عن «مشاركات قبائل الجحادر من قحطان مع الحكم السعودي»، وكتب يوسف بن محمد العتيق عن «ما طبع من كتب الحافظ ابن حجر العسقلاني وبعض الفوائد المرتبطة بها»، إضافة إلى «دنيا الوثائق» التي يقوم على كتابتها رئيس التحرير أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري.

العنوان:

ص.ب: ١٥١٨٥٨، الرياض: ١١٧٧٥- السعودية

هاتف وفاكس: ٤٢٦٤٦٩٢

عالم الفكر (مج٢٨، ع٤، أبريل/ يونيو ٢٠٠٠م)

مجلة فكرية محكّمة تهتم بنشر الدراسات والبحوث في مجالات الفكر المختلفة، وتصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

«دراسات في الآداب» هو المحور الأساسي لهذا العدد، وقد جاءت موضوعاته متنوعة في هذا الإطار، فكتب الدكتور محمد عبدالله الجعيدي عن «حضور الأندلس في الأدب الفلسطيني»، والدكتور عبدالعالي بوطيب عن «الرواية المغربية ورهاناتها»، وتناول الدكتور عصمت نصار «إشكالية العلاقة بين الدين والعلم عند طه حسين»، وغير ذلك من

الدراسات التي غطت قضايا أدبية عربية في المغرب والمشرق إلى جانب نماذج من الآداب العالمية.
العنوان:
ص.ب: ٢٨٦١٣ـ الصفاة ـ الرمز البريدي ١٣١٤٧ دولة الكويت.



مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات (مج١، ع٢، رمضان ١٤٢٠هـ/ ديسمبر ـ كانون الأول ١٩٩٩م)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية، تصدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الزرقاء الأهلية بالأردن.
العدد الثاني من الزرقاء محتوياً على أربعة بحوث باللغة العربية، وثلاثة بالإنجليزية، وقد غلبت الدراسات الشعرية على العدد ؛حيث كتب عمر بوقرورة عن «الموقف والتشكيل في الشعر الإسلامي المعاصر -قراءة أولية-»، وجاء بحث بعنوان «أثر الإسلام في شعر معن ابن أوس المزني وأشكاله» لعمر الساريسي، وكتب عبدالله البشير عن «الشواهد الشعرية عند الأصوليين في ميزان الحجج والدلائل»، ثم بحث محمد عويضة في «تدريس مادة أحاديث الأحكام في الجامعات».
العنوان:
ص.ب: ١٥٠٨٦٣، الزرقاء ١٣١١٥ـ الأردن
هاتف: ٩٦٢ـ٥ـ٣٦٥٦١٠٠ فاكس ٩٦٢ـ٥ـ٣٦٥٦١٢٠
بريد إلكتروني: research@zpu.edu.jo



مجلة الدراسات اللغوية (مج٢، ع١، المحرم ـ ربيع الأول ١٤٢١هـ/ أبريل ـ يونيه ٢٠٠٠م)

فصلية محكّمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض، وتصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
حفل هذا العدد من المجلة بعدد من البحوث والدراسات اللغوية منها: الدلالة الإيحائية لطائفة من ألفاظ الزمان في القرآن الكريم، ومنظومة فتح الرؤوف في أحكام الحروف، واتجاهات معاصرة في الدراسات الصوتية، وغير ذلك. بالإضافة إلى القضايا والآراء وعرض الكتب.
العنوان:
ص.ب: ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ السعودية
ناسوخ: ٤٦٥٩٩٩٣



الرياض ٢٠٠٠م (صفر ١٤٢١هـ/ يونيو ٢٠٠٠م)

إصدار خاص بمناسبة اختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، صدر عن المركز الوطني للدراسات الاستراتيجية بدار الاستشارات الطبية والتأهيلية بالرياض.
يقع الإصدار في ١٣٢ صفحة فاخرة بالألوان، ويحتوي على معلومات ومواضيع ثرية عن الرياض الثقافية والعمرانية والحضارية، وحوارات كثيرة مع أصحاب السمو الأمراء وأصحاب المعالي الوزراء والمسؤولين في الدولة.
كما يحتوي الإصدار أيضاً على جدول شامل عن جائزة الملك فيصل العالمية والفائزين بها منذ نشأتها وحتى الآن وعرض لكتاب الشيخ حمد الجاسر «الرياض عبر أطوار التاريخ»، وموضوعات أخرى ذات علاقة بموضوع الثقافة.
العنوان: ص.ب: ٩١٤٠٩ الرياض ١١٦٣٣ السعودية

الأحلام والإبداع

مصطفى العدوي
دمشق - سورية

ما الحلم؟ وما الإبداع؟ وهل من علاقة تربط بين الحلم والإبداع؟ وإذا ما كانت هناك ثمّ صلات بين الظاهرتين فكيف يحدث ذلك؟ وما آليات تفسير غوامض هذه الأمور؟ مسائل مهمة تحاول هذه المقالة الإجابة عنها باستخدام أحدث العلوم النفسية.

الحلم ظاهرة معقدة، ترتبط مع أغلب العلوم. فعلم وظائف الأعضاء (الفيزيولوجيا) والطب والكيمياء والوراثة لها مجال واسع في تعريف الأحلام وتحليلها وتفسيرها. كذلك الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) وعلم الأساطير (الميثولوجيا) وعلم النفس جربت أيضاً الخوض والتعمق في لجج علم الأحلام.

الحل في النوم

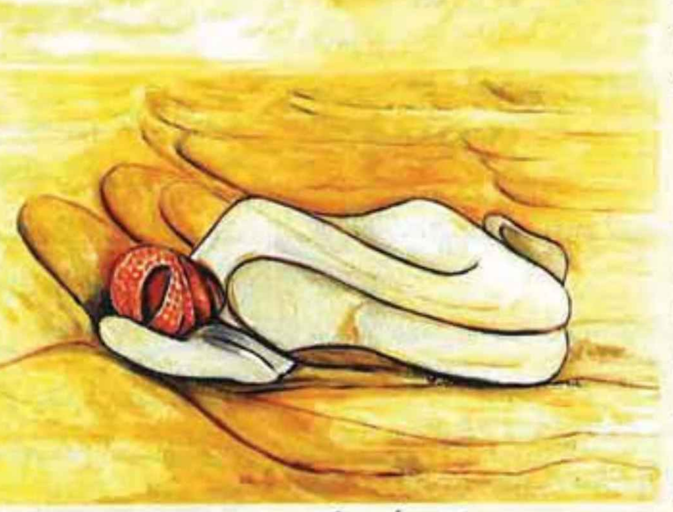
الحلم: ظاهرة نفسية تحدث في أثناء النوم، وتنطوي على مجموعة من الصور والأحداث والشخصيات يراها النائم وكأنها تجري حقيقة، معبرة عن بعض الدوافع والنوازع النفسية.

أما الظاهرة الإبداعية فلها مئات التعاريف، ولكن جوهرها الكشف والاختراع لكل ما هو جديد، في أي علم أو فن أو فكر، بتطبيق أساليب وطرائق ومناهج مبتكرة في التفكير وحل المشكلات، تتسم بالجد والأصالة والمرونة والطلاقة، بحيث إنك تصرخ: هذا عظيم.. هذا رائع.. هذا جديد..! لم يسبقك أحد إلى ذلك. فكثرة المبدعين والخارقين مقياس يرشد إلى مقدار تطور الأمم ثقافياً وحضارياً.

علاقة لا تنكر

تؤكد الدراسات النفسية المعاصرة وجود علاقة قوية بين الحلم والإبداع لا يمكن نكرانها، تتجلى في رؤوس المبدعين في لحظات خاطفة كالبرق، تخلف وراءها آثار النشوة والانتصار. ولإيضاح هذه العملية المهمة لا تثريب علينا أن نضرب بعض الأمثلة التي تؤكد لنا ذلك:

يذكر الفيلسوف الطبيب المبدع «ابن سينا» (ت:٤٢٨هـ/١٠٣٧م) الذي عاش في القرن العاشر الميلادي، أنه عندما تتعسر عليه مشكلة ما، كان يذهب إلى المسجد، ويدعو الله أن يفتح له عيونه، ويعود بعد ذلك إلى منزله، ويواصل العمل والدرس، ثم يشرب قليلاً من الماء البارد وينام. وفي أثناء النوم كان يحلم «بتلك الأسئلة بالذات» وكثير منها «اتضح في النوم» حتى إن ابن سينا يذكر: «بهذه الطريقة قد ترسّخت فيّ جميع العلوم، وتمكنت منها، بقدر ما يستطيعه الإنسان». إلا أن أشهر مثال في تاريخ علم نفس الإبداع والأحلام يقدمه عالم الكيمياء كيكوليه (١٨٢٩ - ١٨٩٦م) مكتشف بنية حلقة البنزول في حلمه، بينما كان غافياً على كرسيه أمام الموقد حلم بما يلي: «تلاعبت الذرات أمام عينيّ، مجموعات أصغر اكتفت بالبقاء في الخلفية. ذهني المشحون بوساطة صور متكررة لنوع مشابه يميز الآن أشكالاً أكبر لهيئات متنوعة. صفوف طويلة متجمعة بتلاصق مضاعف، كل شيء يتحرك، يلتف ويدور بسرعة، وانظر ماذا كان ذلك؟ أحد الصفوف يدرك ذيله، وفي سخرية ماجت الهيئة أمام عينيّ، صحوت كالبرق، وقضيت بقية الليل في إعداد النتائج الحتمية للفرضية».



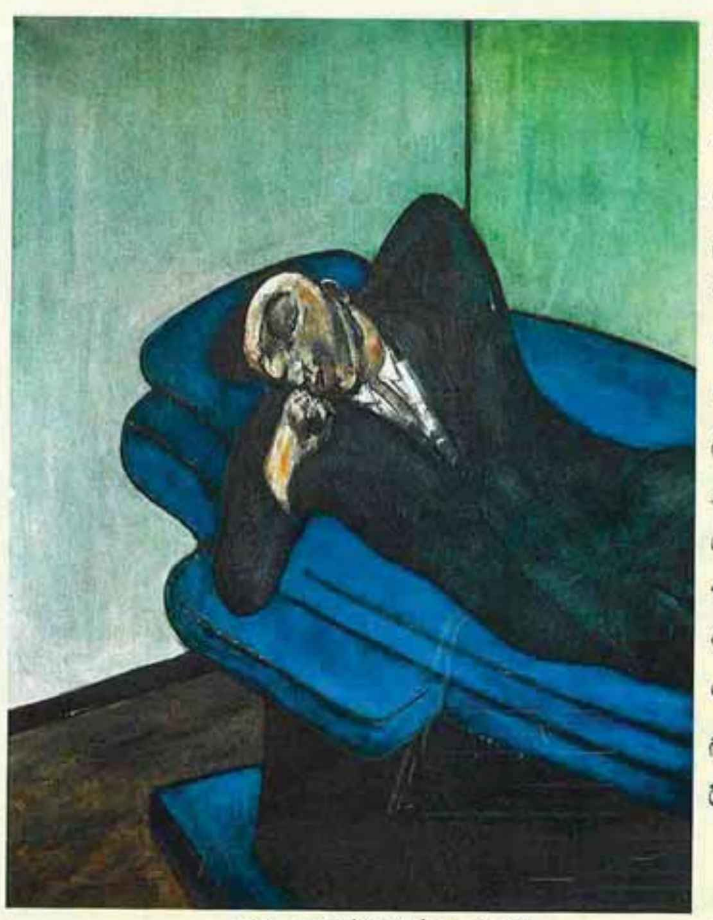
«انتماء جداً» لوحة للفنان عبدالجبار اليحيا

بديهي أن كيكوليه قد عالج مسألة بنية البنزول قبل الحلم بوقت طويل، وعلى نحو ما ذكر ابن سينا، فإن هذه المشكلات قد شغلته باستمرار ووجدت مدخلاً إلى حلمه أيضاً عبر تجلي «الفكرة الأخاذة».

وبذلك، فقد وسع كيكوليه محيط المشكلة واستطاع أن يتخيل كذلك ذرات كربون البنزول على شكل ترتيب حلقي الشكل.

ومن روسيا شهد العالم الكيماوي الشهير مينديلييف(١٨٣٤ - ١٩٠٧م) خبرة مماثلة في الحلم. لقد اشتغل منذ وقت طويل بتركيب النظام الدوري

للعناصر، إلا أنه لم يتسنّ له ذلك تماماً، لقد حاول ترتيب العناصر، وذلك حسب ذراتها، إلا أن ذلك لم يؤد إلى حل عملي، وفي إحدى الليالي حلم مينديلييف حلماً سرده على النحو التالي: «رأيت جدولاً في الحلم، تتوزع العناصر فيه، كما يجب أن تكون. استيقظت مباشرة، وكتبت كل شيء على قطعة ورق، في مكان واحد، وبدا لي بعد ذلك ضرورة القيام بتصحيح»، إن مفتاح هذا الحلم هو في الصياغة، إن العناصر موزعة كما يجب أن تكون، يعني موزعة حسب الذرات، و ليس حسب حجمها، إن إعادة تركيب محاولة حل المشكلة بإبداع تشبه هنا محاولة كيكوليه. فالترتيب حسب حجم الذرات لم يقد إلى حل مُرضٍ، إلا أنه في الحلم تمكن إبداع مينديلييف توسيع مجال المشكلة واعتبار أن الوزن الذري هو الأصل في تنظيم جدول العناصر. وكذلك الرياضيات التي تدين في حل إحدى مشكلاتها لحلم أحد أكبر الموهوبين. فقد قام هنري بوانكاريه (١٨٥٤ ـ ١٩١٢م) بحل المشكلة الرياضية لبرهان أتاه «في النوم» يقول: «منذ خمسة عشر يوماً أحاول البرهنة على المسألة فلا أصيب، إلى أن كان يومٌ كنت أجلس فيه متعباً أفكر بالحل، فغلبتني سنة من النوم فحلمت بارتباطات جديدة مذهلة قادت إلى الحل، وبعدها لم أكن لأحتاج إلا إلى بضع ساعات قليلة لكتابة النتائج».



النوم في لوحة للفنان فرانسيس باكون

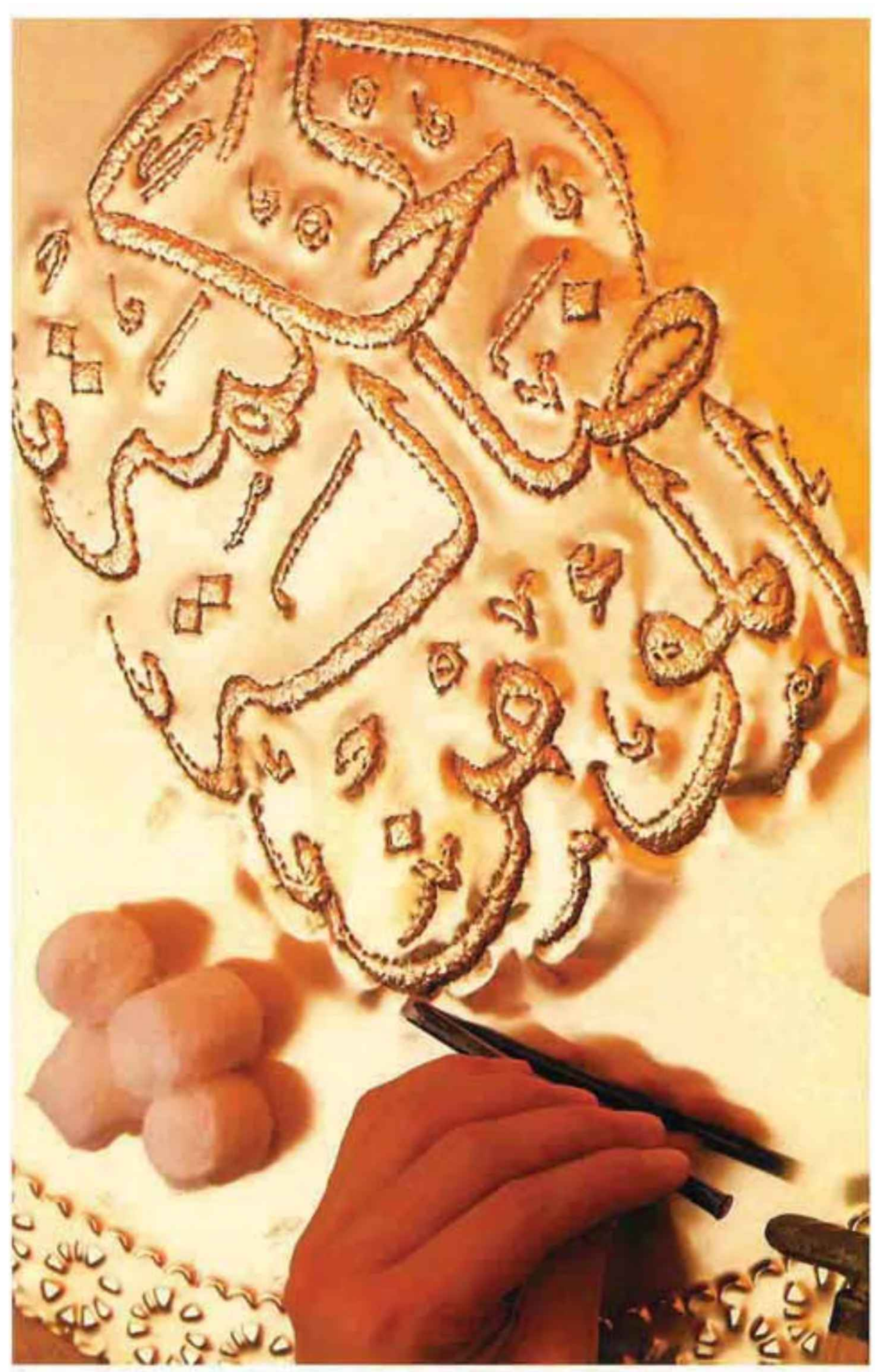
كتابة في الظلام

ويورد عالم المصريات الألماني هاينرش بروغش باشا (١٨٢٧ـ ١٨٩٤م) حالة وصف فيها بدقة كيف توصل إلى حل بعض مقاطع النصوص الهيروغليفية الغامضة في الحلم:

«جلست حتى وقت متأخر من الليل مكبّاً أمام مخطوطتي المصرية، محاولاً إيجاد اللفظ والمعنى القواعدي لرسمة أو لمجموعة كلمات على سبيل المثال، إلا أنني لم أجد الحل، مع كل التفكير والتمعن، وألقيت بنفسي مرهقاً في سريري لأغرق في نوم عميق. في الحلم تابعت البحث الباقي غير المكمل، ووجدت الحل فجأة، تركت سريري مباشرة، وجلست بعيون مغمضة، مثل الذي يسير في النوم أمام الطاولة، وكتبت النتيجة بقلم رصاص على قطعة ورق، نهضت وعدت إلى موضعي ثانية، وتابعت نومي من جديد، بعد أن صحوت في الصباح فوجئت برؤية حل اللغز بخط واضح أمامي، لقد تذكرت الحلم، إلا أنني سألت نفسي دون جدوى كيف أمكنني كتابة علامات قابلة للقراءة بوضوح في الظلام الدامس»؟

ويُعدّ العالم أوتولوفي (١٨٧٣ ـ ١٩٦١م) مكتشف مادة الأستيل العنصر الكيماوي الناقل لموجات الأعصاب في حلمه، وجرت الوقائع بطريقة مشابهة إلى حد كبير لحالة بروغش.

وها هو بسمارك يحلم بأنه إذا غزا النمسا فسوف ينتصر ويحل كل مشكلاته الداخلية، وفي اليوم التالي يتحقق حلمه بحذافيره، وكم من شعراء وأدباء وفنانين عباقرة نهلوا من معين أحلامهم، فقدموا أجود الآثار عظمة وروعة! أما تفسير العلاقة بين الحلم والإبداع فيمكن وصفه على النحو التالي: بما أن موطن الحلم هو اللا شعور، واللا شعور ليس مساحة جامدة أو ميتة في الشخصية، بل إنه نابض بالحياة، دائم العمل والنشاط، فعندما يضيق الشعور بمسألة معقدة ما، فهو لا يتوقف عن التفكير بها، فيدفع بها إلى اللا شعور، الذي يمثل مرجلاً يطبخ أفكاره على نار هادئة، ويعيد صياغتها وفق روابط جديدة ومبتكرة، خلال فترة زمنية تطول أو تقصُر، وقد يُدخلها في مرحلة من الكمون، حيث السُبات والإنضاج فتتسرب عبر الأحلام على شاكلة معادلة أو جدول أو نظرية أو عمل فني يتسم بالجدة والإبداع. هنيهات صغيرة تتسارع في الهروب والذوبان.



قيم نبيلة سامية، وتقاليد عريقة راسخة

من نبع تراثنا الأصيل، كانت وماتزال المعين

الذي لا ينضب لمسيرة هذا الوطن.

استلهمنا منها أعمالنا واتخذناها منهاجاً

وعلى طريقها القويم تابعنا مسيرة النجاح.

اليوم وفي المستقبل، سنبقى أوفياء لقيمنا

الأصيلة متمسكين بها ملتزمين بنهجها

لتبقى دائماً الأساس المتين لنجاحنا المستمر.

نعتزّ بقيمنا